

العاقبة

في ذكر الموت والآخرة

تأليف

الإمام أبي محمد عبد الحق الإشبيلي

٥١٠ - ٥٥٨١ هـ

تحقيق

الشيخ خضر محمد خضر

العالية لكلية الشريعة بالأزهر - ليسانس
العالية مع إجازة التدريس بالأزهر - مامستير

مكتبة دار الأقصى
الكويت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

مكتبة دار الاقصى

حولي / شارع تونس - مجمع الرميح - ميزانين
تلفون: ٢٥٤٠١٠٩ ص.ب ٢٨٢٣٩ الضاحية. الكويت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي لا يموت ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور .

وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الموت نهاية كل حي ، وقال في محكم كتابه اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة .
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، حث على ذكر الموت والاتعاظ به فقال : أكثروا ذكر هادم اللذات .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه الذي عملوا لما بعد الموت ففازوا بسعادة الدنيا ورضوان الله في الآخرة .

وبعد فإن الموت حق ، وهو الحق المكروه ، وقد ألف العلماء كثيرا من الكتب في الموت وما بعده من البعث والحساب وأمور الجنة والنار ، وأحوال الناس فيهما .

ومن هذه الكتب :

١ - كتاب البعث والنشور لأبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة

٢٤٣ هـ .

٢ - كتاب البعث لأبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥

هـ .

٣ - كتاب البعث والنشور لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨

هـ .

٤ - كشف علوم الآخرة لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥

هـ .

- ٥ - كتاب ذكر الموت وما بعده ضمن كتاب إحياء علوم الدين لابي حامد الغزالي أيضا طبع .
- ٦ - الثبات عند الممات لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .
- ٧ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبدالله القرطبي المتوفي سنة ٦٧١ هـ وهو مطبوع .
- ٨ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لمحمد بن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١ هـ وهو مطبوع .
- ٩ - أهوال القبور لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي المتوفي سنة ٧٩٥ هـ وقد حققه السيد محمد مصطفى القضاة .
- ١٠ - التخويف من النار لابن رجب أيضا وقد طبع .
- ١١ - البدور السافرة عن أمور الآخرة لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ .
- ١٢ - البعث للضياء محمد بن عبدالواحد المقدسي .
- ١٣ - التثييت عند التثييت للسيوطي أيضا وقد تكون هناك كتب أخرى تحدثت عن الموت وأمور الآخرة، وما ذكرته هنا إنما هي نماذج .
والحق أن أمر الموت لعظيم وجدير أن يؤلف فيه الكثير كي يعرف المسلم ما يكون من أمره عند الموت وبعده، فيستعد لرحلة الآخرة ويكثر من العمل الصالح الذي ينفعه في دار البقاء حيث هناك جزاء ولا عمل وفي دارنا هذه عمل ولا جزاء .
وكان ممن ألف في ذكر الموت والآخرة أبو محمد عبدالحق الإشبيلي فكان كتاب العاقبة هذا .



ترجمة المؤلف

عبدالحق الإشبيلي^(١)

نسبه وحياته :

هو أبو محمد عبدالحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد الأزدي الإشبيلي المالكي ، وقد عرف أيضا بابن الخراط .
ولد عبدالحق سنة عشر وخمسمائة للهجرة الموافقة لسنة ست عشرة ومائة وألف للميلاد .

(١) له ترجمة في المراجع التالية :

- ١- الاعلام : خير الدين الزركلي ٥٢/٤
- ٢- بغية الملتبس : احمد بن عميرة الضبي ٣٧٨
- ٣- تاريخ الأدب : العربي كارل بروكلمان ٣٧١/١
- ٤- تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي ١٨٣
- ٥- تذكرة الحفاظ : ابو عبد الله الذهبي ١٣٩/٤
- ٦- تكملة الصلة : عبد الواحد المراكشي ٦٤٧
- ٧- تهذيب الأسماء واللغات : محيى الدين النووي ٢٩٢/١
- ٨- الديباج المذهب : ابراهيم بن فرحون المالكي ١٧٥
- ٩- سير النبلاء : ابو عبد الله الذهبي
- ١٠- شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي ٢٧١/٤
- ١١- العبر : ابو عبد الله الذهبي ٢٤٣/٤
- ١٢- عنوان الدراية : الجبريني ٢٠/٣
- ١٣- فوات الوفيات : ابن شاکر الکتبي ٥١٨/١
- ١٤- كشف الظنون : حاجي خليفة ١٩ ، ٢٠ ، ٤٨١ وغيرها
- ١٥- مرآة الجنان : عبد الله اليافعي ٤٢٢/٣
- ١٦- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ٩٢/٤
- ١٧- الوفيات : ابن قنفذ

كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلمه ورجاله ، مشاركاً في اللغة والأدب وقول الشعر.

نزل بجاية بالجزائر زمن فتنة الاندلس ، فبث بها علمه وصنف التصانيف ، وولي الخطبة والصلاة بها .

كان موصوفاً بالخير والصلاح والزهد والورع والتقلل من الدنيا . توفي رحمه الله في بجاية بعد محنة نالته من قبل الولاية ، وكانت وفاته في أواخر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة للهجرة الموافقة لسنة خمس وثمانين ومائة وألف للميلاد .

روى عن شريح بن محمد وأبي الحكم بن بركان وغيرهم ، وروى عنه أبو الحسن المعافري .

كتبه :-

ألف عبدالحق الإشبيلي نحو ستة عشر كتاباً هي :-

- ١ - الأحكام الشرعية الكبرى في ستة مجلدات .
- ٢ - الأحكام الشرعية الوسطى .
- ٣ - الأحكام الشرعية الصغرى .
- ٤ - تلقين الوليد .
- ٥ - التهجد .
- ٦ - التوبة .
- ٧ - الجامع الكبير في نحو عشرين مجلداً .
- ٨ - الجمع بين الصحيحين .
- ٩ - الوافي في اللغة .
- ١٠ - الرقائق .
- ١١ - الزهد .
- ١٢ - العاقبة في ذكر الموت وهو هذا الكتاب .

- ١٣ - الغريب في لغة القرآن والحديث .
١٤ - مختصر كتاب «اقتباس الأنوار» لمحمد الرشتكاني .
١٥ - المستصفى في الحديث .
١٦ - المعتل من الحديث .

كتاب العاقبة

هذا الكتاب يبحث في الموت والاستعداد له وعلاماته وتلقين الميت وسؤال القبر وعذابه ، والبعث والنشور والحشر والصراط والميزان ، وأحوال أهل الجنة ، وأحوال أهل النار وفي الشفاعة ، وفي الخلود .
وقد قسم المؤلف كتابه إلى اثنين وعشرين بابا ومقدمة طويلة في الحديث عن الموت وهجمته الشرسة ، وبغته القاصمة .
أما أبواب الكتاب فقد جاءت على النحو التالي .
باب من أخبار بعض الأموات عند الموت ، ما يستحب من أحوال الميت عند الموت ، الجنائز وفضل اتباعها ، الثناء الحسن علي الميت ، ما يقال عند حضور الميت ، وما يحذر من سوء الخاتمة ، تلقين الميت والدعاء له ، القبور ، زيارة القبور ومعرفة الميت من زاره ، منامات لبعض الصالحين ، منامات رثيت لبعض الأشرار الأرواح وعذاب القبر ، القيامة وأهوالها ، النفخ في الصور ، البعث من القبور ، الحوض ، الشفاعة الأولى ، المحاسبة ، الشفاعة الثانية ، صفة أهل الجنة ، صفة أهل النار ، الخلود .



مخطوطات الكتاب

- (١) نسخة بمكتبة الاحقاف بتريم باليمن الجنوبية، صورها معهد المخطوطات العربية بالكويت. عدد أوراقها ثلاث وتسعون مقاس ١٧,٥×٢٥ في الصفحة سبعة وعشرون سطرا، معدل كلمات السطر خمس عشر كلمة.
- (٢) كتبت سنة ثمانمائة وست وعشرين للهجرة. وقد رمزت إليه بحرف «ي». نسخة بمكتبة الأزهر. عدد أوراقها مائتان وخمس وعشرون مقاس ١٥×٢٠ سم، في الصفحة سبعة عشر سطرا بمعدل اثني عشرة كلمة في السطر.
- (٣) كتبت بخط نسخ قديم بخط أحمد بن علوي بن حمزة الحنبلي سنة ثمانمائة وخمس عشرة للهجرة. وقد رمزت إليها بحرف «ز». نسخة بمكتبة شستربتي في مدينة دبلن بايرلندا، عدد أوراقها مائة وثمان وثلاثون، مقاس ١٤×٢٠ سم. في الصفحة ثلاثة وعشرون سطرا بمعدل احدى عشرة كلمة في السطر صورتها مكتبة المخطوطات بجامعة الكويت.
- كتبت سنة سبعمائة وثلاث وعشرين للهجرة. وقد رمزت إليها بحرف «ش».
- (٤) نسخة بمكتبة ليدن بهولندا رقم ٢٠٠٨ عدد أوراقها مائتان واحدى سبعون ورقة، مقاس ١٨×٢٦ سم في الصفحة خمسة عشر سطر، في كل سطر إحدى عشر كلمة، الخط اقرب إلى النسخ ورمزها «ل».
- (٥) نسخة بمكتبة برلين بالمانيا رقم ٢٦٥٢. عدد أوراقها مائتان وثلاث وتسعون.

- (٦) نسخة بمكتبة يني جامع بتركيا رقم ٧٢٥ .
- (٧) نسخة بمكتبة آق حصار زين الزادة بتركيا رقم ٩٣ عدد أوراقها مائة وثمان وستون . كتبت سنة ثمانمائة وخمس عشرة هـ .
- (٨) نسخة بمكتبة با يزيد عمومي بتركيا رقم ١٥٢٣ عدد أوراقها مائة وعشر كتبت سنة ثمانمائة وأربعين .
- (٩) نسخة بمكتبة أحمد الثالث الملحق بطوبقوسراي بتركيا رقم ١٥٤٦ عدد أوراقها مائتان وتسع عشرة مقاس ٢٥×١٧ .
- (١٠) نسخة بمكتبة خزينة الملحق بطوبقوسراي بتركيا رقم ٢٤٢ عدد أوراقها مائتان واثنان وعشرون مقاس ٢١×١٦ .
- (١١) نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٢٣٥ عدد أوراقها مائة وثلاث عشرة مقاس ٢٨×٢٠ سم .



عملي في التحقيق

- ١ - كانت الخطوة الأولى هي الحصول على مخطوطات الكتاب ولم يكن ذلك سهلاً.
 - ٢ - قارنت بين النسخ الخطية وأثبتت الفروق الجوهرية فيما بينها. أما الفروق البسيطة فقد تركناها لعدم أهميتها ومن هذه الفروق التي لا يؤبه لها أن تكون في نسخة «قال الله تعالى» وفي أخرى «قال الله عز وجل» وفي ثالثة «قال جل شأنه» ونحو ذلك.
 - ٣ - دققت الآيات القرآنية الكريمة وعزوتها إلى أماكنها في المصحف.
 - ٤ - خرجت أحاديث الكتاب بالرجوع إلى كتب السنة وقد وجدت أن أكثر ما ذكره المؤلف يدخل ضمن الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، أما الأحاديث الضعيفة فهي قليلة جداً بل نادرة.
 - ٥ - رقمت أبواب الكتاب حيث لم تكن مرقمة.
 - ٦ - شرحت بعض المفردات والتراكيب الصعبة.
 - ٧ - ترجمت للمؤلف وذكرت كتبه وأحصيت مراجع ترجمته وبالجمله فقد بذلت قصاري جهدي في إخراج الكتاب على النحو المطابق لأصوله الخطية. سائلاً المولى العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقنا لخدمة تراثنا الإسلامي العظيم والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.
- الكويت في الخامس عشر من ذي الحجة سنة ١٤٠٤هـ
الموافق العاشر من سبتمبر سنة ١٩٨٤م

خضر محمد خضر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه تعينى والشيخ الامام الاوحد الزاهد
 ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الازدي الاشيلي المالكى رضي الله
 عنه (الحمد لله الذي اذل باء موت رقاب الجبابرة) وكسر جسد مته ظهورة الاكاسره
 وفقر بعثته امال القياصره الذي ادار عليهم حلقته الدابره واخذهم بيد
 القاهره فقد فهم في ظلمات الحافره وصبرهم بها رهنا الى وقفة الساهره فاصبر
 قد خسر الدنيا ولم يحصلوا على شئ من الآخرة ^{والله لا يجبر مصابها}
 ولا يتخير صاحبها ولا تنقضي الامم وانقلبها لم ينجم ما حصلوا من المعاقل
 والحصون ولا اصر ضيقهم ما بغتوه من العراس والعيون ولا فداهم من ريس
 المنون ما دخره من علق مصونه وذهب مخزون بل جدد مهم بركنه الشده
 وصبرهم بحبيشه اللد يد وانفذ فيهم مالتب عليهم من الوعيد نقيهم من لين اللود
 الى خشونة اللود وصبرهم بين حجرها المنضود وجند لها المعقود ^{كذلك لا اله الا الله}
 طعما للدد ونظر اليهم بعينه الشرسا وارسل عليهم كتيبه الخرسا فاذل عزتهم
 المعنسا وابدل من نعمهم باسا وانطق بالعويل السنه خرسا وصبرهم حبيشا
 بذكرهم الزمان ولا ينشئ تركوا عن الارايك والكلال والاسره والحال الى
 الحجاره والرمال والاراقم والصدال وشظف التيش وضيق المجال وخلوا برفع
 غير محال بحيث لازوال ولا انتقال ولا عثرة تقال ولا يسمج فيها مقال ولا
 يلتفت عند هامس قال ارسل عليهم ربك جنود العاتيه واخذهم
 انذته الرايه وسلك بهم مسلك الامم الخاليه والقرون الماضيه
 فهل تحس منهم من احد او هل لهم من رايه وفهم قبل وفي امثالهم
 حدث حديث القوم من فارس ومن بني قبط وبنو ناز
 ومن بني الاصفر اعجب بهم وسيد الاثراك خاقان
 والاقدم من الاعظمين الاولى من حمير ابناء محطائين
 من تبع العرب ومن قصر الروم وكسرى الساسان
 من كل قدم شاخ من نفسه وكل فرعون وهامان
 وان نسيت اليوم شيئا فلا تنس نساء الخت كلدان
 واذكر ملوك الارض من بعدهم من عروب صمد وعجمان

الى

الورقة الاولى من مخطوطة مكتبة الاحفاف بتريم - اليمن الجنوبية

من كل منصوب الورى الى ريع
مجمع الشمل على عز
قد رزق الارض وراع الورى
وذلل الارض بسلاطنته
انظر اليهم هل ترى منهم
وانظر الى الموت واعماله
وتبصر الظفر من وما والقوا
قد صفعتم يده صفعة
وذكر في الارض بتبعها لهم
من حجر صلب وحق ومن
وانزلوا بطون الترى بخدما
واطمع الذين ان لهما لهم
فلم هناك من فتى ناعس
ومن هزير مرع في الوغا
كانوا لدا ثم اغتدوا عبدة
ولم ينافع عنهم حنفل
ولا نبوت ملئت كلها
بل مريدكم كلته منسرحا
واصبح الملك لمن ملكه
فسمعان من نفور وبالغزة والبريا وتوحد بالديومة والبقاء
وطوق عباده بطوق الفنا وفرخص بالكتب عليهم من السعا
والشقاء وجعل الموت مخلصا لا وليا لله السعداء ومهلكا
لاعداء لله الاشقياء
واخرج طريقا فيهم الى الله فريقا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
عسا ان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون واشهد

سليلا اطلقوا ويجاب
شدت باساس واركان
من يمشيه الضعم بطوفان
كانه رب لهم ثبات
غير احاديث با فنان
فيهم ترى الملك بيرهان
بالموت من ذل وخسار
خرو الاناف والبقان
والسوا تيجان صمات
ترب ومصصاء وصيدان
كانوا فعود افوق كيون
يا لك لحي من لحم وخذ ايد
ومن فتاة ذات ابن ولدت
وظيفة تشرح في ما فسم
لنا زح الدار والذرايب
قد طبق الارض بفرسان
من لو لو حبت وعقبان
كالرحم موت بين قضبان
باق وكل غيرة فان
فسمعان من نفور وبالغزة والبريا وتوحد بالديومة والبقاء
وطوق عباده بطوق الفنا وفرخص بالكتب عليهم من السعا
والشقاء وجعل الموت مخلصا لا وليا لله السعداء ومهلكا
لاعداء لله الاشقياء
واخرج طريقا فيهم الى الله فريقا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
عسا ان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون واشهد

الخلق

واصل عنه
هريقا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ
 ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ الْأَشْجَلِيُّ هَذَا الْقِتَابُ الَّذِي أَذِلَّ بِالْوَفِّ
 قَرَابَ الْجِدَارَةِ وَكَسْرَ بَصَائِطِ الْهَوَىٰ وَتَضَرُّعَ أَمَالِ الْقِيَامَةِ الَّذِي
 أَدَارَ عَلَيْهِمْ حَلْقَةَ الدَّائِرَةِ وَأَعْدَدَ لَهُمُ الْخَامِرَ فَاصْطَرَوْا قَدَحَهُ وَاللَّيْلَ
 وَلَمْ يَحْضُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ فَاصْطَرَوْا بِهَا وَمِنْهَا
 وَلَا يَجْتَرِعُ صَابِئَهَا وَلَا تَشْقِطُ نَيْلَهَا وَأَوْصَابُهَا لَمْ
 يَنْعَهُمْ بِأَحْضَوْهَ مِنَ الْعَاقِلِ وَالْمُحْصِي رَسَلَهُمْ مَا بَعَثُوهُ
 مِنَ الْحَرَامِ وَالْعَبُورِ وَلَا فَلَاحُ مِنْ رَبِّ الْخَلْقِ مَا أَدْرَكُوهُ
 مِنْ عِلْقِ مَصُونٍ وَذَهَبِ مَخْرُوجٍ بِلَصْدِهِمْ بِرُكْنِ الشَّدِيدِ وَ
 صَحَّتْهُمْ بِجَيْشِهِ الْمَدِيدِ وَانْقَضَتْ لَهُمْ مَا كَبَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَيْدِ
 نَقَلَهُمْ مِنْ لَبِنِ الْهُودِ إِلَى حُسْرَةِ الْهُودِ وَصَيَّرَهُمْ بَيْنَ جَرَحِهَا
 الْمَنْضُودِ وَجَنْدِهَا الْمَعْقُودِ أَكْلًا لِلْهُوَامِ وَطَعْمًا لِلذُّرُودِ
 نَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِهِ الشُّوشَا وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابَهُ خَرَسَا وَأَذَلَّ
 عِزَّتَهُمُ الْقَعَسَا وَأَزَالَ مِنْ نَعْمَانِهِمْ بَاسَنَا وَأَنْطَقَ بِالْعَوِيلِ
 مِنْهُمْ الْمَيْتَةَ خَرَسَا وَصَيَّرَهُمْ حَدِيثًا يُذَكِّرُ عَلَى مَرَاتِلِ الْأَزْمَانِ
 وَلَا يُنْسَى نَزْلُوْا عَنْ الْأَرْفَاقِ وَالْكَلالِ وَالْمَاسَةِ وَالْجَحَالِ
 لِلْأُضْيَاسِ الْجِدَارَةِ وَالرِّمَاقِ وَالْمَرَاقِمِ وَالْأَصْلَاقِ وَشَنْطَفِ الْعَيْشِ

وضيق المجال وحلوا بربع غير محلال بحيث لازوال ولا يشقال
ولا عثرة نقال ولا يسمع فيها كل مقال ولا يلفت عندها الى
كل من قال ارسل اليكم ربك جنوده العائيه واخذهم اخذ
الرأيه وسلك بهم مسلك الامم الخائيه والتروك المماضيه
فهل تحسن منهم من احد او هلك تری لهم من باقية وفيهم
قيل وفي امثالهم

حدث حديث القوم من فارس ومن بني قبط وبونان
ومن بني الاصفر اعجب بهم وسيد الاثراك خاقان
والا قدمين الا عظيم الاولى من عير ابناء فخطان
من تبع العرب ومن قصير الروم وكسرى آل ساسان
من كل قهرم شامخ انفه وكل فرعون وهامان
وان نسي اليوم شافلا تنس بيضا اخت كلان
واذكر ملوك الارض من بعدهم من عرب صيد وعجمان
من كل منصور التوى اروع سليل اطواق وبيجان
مجمع الشمل على عزة شدت باساس واركان
قد نزل الارض وراع الورك من جيشه النخيل بلوفان
وذلل الخلق بسلطانه كثر رب له شأن

أَمَا سَمِعْتَ بِأَجْسَادِهِمْ تَسْتَحِثُّ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ غَلِيظِ النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ مَا يُكَلِّفُونَ مِنَ الزَّهَادِ جِبَالُ النَّارِ فِي النَّارِ
حَتَّى إِذَا مَا عَلَوْا عَلَى سُورِهِمْ ضَبُّوا بِعُتْفٍ إِلَى أَسْفَلِ النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِرُفُوفِ نَسْوَعِهِمْ مَاءٌ وَصَلْدُهُمْ وَلَا تَسْتَوِي فِي النَّارِ
يُسْقَوْنَ مِنْهُ كَوْثُورًا مَلَأَتْ نَحْوَهُ تَرَى بِأَمْعَاظِهِمْ مِثْلَ عَلَى النَّارِ
يَشْوِي الْجُودُ وَجُوهَ النَّاسِ بِبَيْتِ الشَّرَابِ لَمْ يَأْسَلْنِي النَّارُ
وَلَا يَنْمُونُ لِرِصَافِ الْمَنَامِ وَلَا مَنَامُ لَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ
أَوْ يَسْتَقْبِلُوا أَلْفَ نَقْلٍ عِشْرَتُهُمْ أَوْ سَتَعِيثُوا فَلَا غِيَاثَ فِي النَّارِ
وَإِنْ أَرَادُوا خَرَجَ دَخَارِهِمْ نَمَحَ مِنَ النَّارِ مَدْجُورٌ إِلَى النَّارِ
نَصَرَ إِلَى النَّارِ مَدْفُوعُونَ إِلَى النَّارِ وَهُمْ مِنَ النَّارِ مَجْرُوبُونَ لِلنَّارِ
مَا أَنْ خَفَفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ وَلَا تَفْتَرِ عَنْ صُورَةِ النَّارِ
وَهَذِهِ صَدْرَتْ أَلْفَا سَامِعَاهُ مِنْ ذِي الْحِجَى وَمِنْ التَّالِيدِ فِي النَّارِ
وَلَوْ كُنْ إِلَى وَقْتِ عَذَابِهِمْ فِي النَّارِ هُتُونَ أَلْفَ نَفْحَةٍ النَّارِ
فِي أَلْفِ وَمِنْ أَلْفِ مَدَّ سَبَقَ فِي الْفَرَسَيْنِ مِنْ أَلْفِ مَدَّ النَّارِ
رُحْمَاكَ يَا رَبِّ ضَعُفٌ فِي ضَعْفِي فَمَا وَجُودُكَ لِي صَبْرٌ عَلَى النَّارِ
وَلَا عَلَى حَرِّ شَمْسٍ أَنْ مَرَّتْ بِهَا فَكَيْفَ أَصْبِرُ بِأَمْوَالِي لِلنَّارِ
فَإِنْ تَعَذَّرَ بِي عَفْوٌ وَثِقْتُ بِهِ مِنْكُمْ وَلَا فَا تَنِي طَعْمُ النَّارِ

دعوى العبد

وَجُنِّتْ شَيْعِنُ بِاللَّهِ مِنْ غَدَائِرِ الَّذِي لَا يَقُومُ لَهُ جَمِيعُ الْوُجُودِ
فَكَيْفَ الْحَشَرَاتِ وَالذُّرُودِ، وَمِنْ غَضَبِهِ الَّذِي لَا يَسْتَطَاعُ
ذِكْرُهُ، وَلَا يُقَدَّرُ قُدْرُهُ، وَنَشَلُهُ رَحْمَتُهُ الَّتِي تَنْقَلِبُ مِنْهَا
بِأَعْمَالِنَا، وَتَتْبَاعِدُ عَنْهَا بِقَبِيحِ أَعْمَالِنَا، بِمَنْعِهِ وَطَوْلِهِ لَا رَيْبَ غَيْرُهُ
وَلَا مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَحَجْبِهِ وَالْهَامِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَامٌ سَلَامًا كَثِيرًا
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ حَسْبِي، تَرْكَابُ الْعَاقِبَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى
، وَغُورِهِ وَجُسْنِ تَوْفِيقِهِ،

عَلَيْكَ يَا كَاتِبُ الْعَمَلِ الْمُسْفِرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أحمد بن علوي بن حمزة الجنبلي

، غَامِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى

، بِلطْفِهِ،
وَعَفْوِهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ قَرَأَهُ أَوْ كَتَبَهُ أَوْ نَظَرَ فِيهِ وَدَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ
وَالْمَغْفِرَةِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
وَوَافَقَ الْفَرَاغَ مِنْ تَعْلِيْقِهِ فِي الْمِلَّةِ الشَّهْرِ صَبَاحُ حَافِظِ ثَامِنِ عَشْرِ
رَجَبِ الْبَزْدِ ثَمَنَ عَشْرَةِ وَثَمَانِ مِائَةِ أَحْسَنَ اللَّهُ تَعَالَى خَاتَمَهَا
بِمَنْعِهِ وَكَرَمِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم
والسلام على سيدنا محمد وآله
ابن عبد الله الذي لا يشبهه
بالموت فاب للموت كسر صاعقه ظهور الأكاسير
أمالا الصاعقه الذي دار عليهم حلقه الدين واخذهم بيد القاهر
فعلهم بظلمات الحاهي وصيرهم بهرقة الى وقفة الساهر
فاصبحوا قد خروا الكرش اوله تخلصوا على شئ من الاخر من نصيبه وله
لا يخبر صابها ولا يخرج صابها ولا يتقضى الامها ولا اوصاها
لزمعهم ما حاصوا من المعامل والخصوت ولا حرسهم ما بعثوه من
للمراسم والعيون ولا انما لهم من ربيهم ما ذكروه من
عالم مضمون وذهب بخزون بل غصتهم بركة الشديك
وصبحهم بخيشه المديون وانما لهم ما كتبت لهم من الوعد والقيام
من انهم قد انكسروا الى كسرهم من كسرهم من كسرهم من كسرهم
وحيث انهم المعقود اظلم لهم والهم والهم والهم والهم
الشوكة وارسل لهم كسبه اخر شاة اوله زتهم الفضة
واذا من تغاير انما وانطق الهوى بهم السنة خاسا
وصيرهم حردا انكر علم من الزمان ولا يشي نزوا عن الاراد
الكاراك والاسوة الى الحجاز والرمال والاراقم
طال الصلابة وصنفوا اوتش وضيق الحاك دخلوا برع عن
محلات تحت لار والبر لا انتقال ولا عتق نقاب ولا اسمع
منها وقاها لار ولا عتقها لار ولا عتقها لار ولا عتقها لار
صيرهم العانية واخذهم اعداء الاسباب ملكهم ملك
ارهم الحاله والمفرد لما فيه من حتى حرمهم من اعداؤهم

الورقة الاولى من مخطوطة مكتبة شترتي - دبلن - ايرلندا

الملك والامير والوزير
الوزير والامير والملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَبَارَكَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

خَيْرُ رُسُلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَالْكَرِيمُ عِشْرُ
 الْعَالَمِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ
 وَحُجْرَتُهُ فِي قَرْيَةِ بَيْتِ الْمَرْيَمَ وَوَقْتُ رُجْعِهِ
 عَشْرَةُ وَتَوَلَّى فِي رَجْعِهِ
 الْأَمْرَ مِنْهَا فِي رَجْعِهِ
 وَكَانَ مِنْ رَجُلٍ عَظِيمٍ

الْحَدِيثُ الَّذِي أَذَلَّ الْمَوْتَ وَفَاءَ الْحَيَاةِ وَكَتَبَ سَدَّةً
 طَهَّرَ الْأَكْبَادَ وَجَبَّ سَمْنَهُ أَقْبَابَ بَيْتِهِ
 الَّذِي لَا رَأْيَ لِمَنْ خَلَقَهُ الدَّيْرُ وَأَخَذَهُمْ بِيَدِ الْفَاهِرَةِ
 فَتَدَفَّرُوا خَلَاءَ الْكَافِرَةِ وَصَبَّحْتُمْ بِأَرْهَافِ الْوَقْفَةِ
 الشَّاهِدِ فَأَضْمُوا أَفْئِدَتَهُمُورَ الدُّنَا وَأَمْ يَحْصِلُوا أَعْلَى شَرْ
 مِنَ الْآخِرَةِ مُصِيبَةً وَاللَّهِ لَا تُجْبِرُ مَصْلَاهَا وَلَا تُنْجِي
 فَسَادُهَا وَلَا تُقْضِي الْأَمْثَالَ وَلَا أَوْسَايَاهَا أَمْ يَجْتَمِعُ مَا
 حَصَلَتْهُ مِنَ الْمَقَائِلِ وَالْحُصُونِ وَلَا حَرَسَتْهُمُ عَابِقَتُهُ مِنَ
 الْمَرَسِ وَالْعَبُورِ وَلَا قَالَهُمْ مِنْ وَبَيْتِ الْمَنَورِ مَا أَذْخَرَهُ
 مِنْ عِلْقِ مَصُونٍ وَدَهِيٍّ تَخْزُونُ بِالْصَدَقَةِ هُمُ يَرْكُنُهُ

الورقة الاولى من مخطوطة مكتبة ليدن - هولندا

الشديدة وصية ^{من} يشد الايدي وانفذ فيهم ما كنت
 عليهم من الوجع نقتلهم من لين المهود الى خشونه
 اللود واصبرهم بنزجرها المنضود وجند لها العفود
 اكلا للمولم ولحقا للود تطوا لهم عينه الشوشاء وائل
 عليهم كنبته الحرجاء فاذل غنم العفشاء واذال من
 نعيم باسنا واظن بالعويل منهم الشنة خرساء وصبرهم
 حديثا يذكر على من الرمان ولا ينشأ نزلوا عن الارياك والكلال
 والاشنة والجمال الى الحجان والرمال والارام والصلال
 وشدة العيش خيق الجوال وحلوا ببيع غير حلال
 تحيث لا زوال ولا انتقال ولا عش نغال ولا يسمع فيها
 كل مقال ولا يكتف عند الى كل من قال ارسل ربك
 عليهم جنود العاشية واخذهم اندته الائمة وسلك
 منهم مستلك الام الخالية والقرون الماضية ^{راية} فعل محسن
 منهم من اكل قوتهم من اقبه وبقم قبل وفي امثالهم
 حديث حريش المنزوم من ارش ومن بني قنيطر يسونان

اَمَّا سَمِعْتِ مَا يَكْفُونَ مِنْ اَزْمَانٍ وَجِئَالِ النَّارِ فِي السَّارِ
 حَتَّى اِذَا مَا عَلُوا عَلَى شَوْاهِقِهَا صَبُّوا بَعْضُ السَّارِ فِي النَّارِ
 اَمَّا سَمِعْتِ بَرْدَ نَوْمٍ يَسْبُوغُهُ مَا صَدِيدٌ وَلَا تَسْوِغَ فِي السَّارِ
 يُسْقُونَ مِنْهُ كَوْنًا مَلِكٌ تَسْقَى تَرْمِي بِمَا عَابَهُمْ رَمِيًا عَلَى النَّارِ
 تَبْشُرُ الْوُجُوهُ وَجُوهًا الْبَشَرُ طَلَا يَبْسُرُ الشَّرَابُ شَرَابًا كِي النَّارِ
 وَلَا يَأْمُونَ اِنْ طَافَ لِنَامٍ بِهِمْ وَلَا مَنَامَ لَاهِلِ النَّارِ فِي السَّارِ
 اِنْ يَسْتَقِيلُوا فَلَنَالَا عَشْمٌ اِنْ يَسْتَعِشُوا فَلَا عَاشَ النَّارِ
 وَاِنْ اَزَادُوا وَخَرَجُوا دَخَارِ جَهَنَّمَ مَخْرَجَ النَّارِ مَدْحُورًا اِلَى السَّارِ
 نَعْمَ اِلَى النَّارِ مَدْفُوعُونَ بِالنَّارِ وَهُمْ اِلَى النَّارِ مَصْرُوفُونَ لِلنَّارِ
 مَا اِنْ حَقَّقْتِهِمْ مِنْ قَدِيمِهِمْ وَلَا سَنُوْعْتِهِمْ سَنُوْعُهُ السَّارِ
 وَهَذِهِ صَدَقَتْ كَمَا اَسَامِيهَا يَشْفِي فِي الْحَيَاةِ وَالْغَلْبَةِ فِي النَّارِ
 - وَلَوْ يَكُونُ لَا وَفِي عَذَابِهِمْ فِي النَّارِ هَوْنٌ فَاكُمُ نَحْمُ النَّسَائِرِ
 يَا اَلْهِ وَيَسْأَلُ حَكْمُهُ سَبَقَتْ فِي الْغُرْبَةِ مِنَ الْخَائِبِ وَالنَّارِ
 زُجْجَالِ يَابَرِ فِي مَضْغِي وَمَا وَجُودَكَ اِلَى صَبْرٍ عَلَى النَّارِ
 وَلَا عَلَ حَرِّ شَيْءٍ اِنْ تَبَزَّزَ لَهَا لِكَيْفَ صَبْرًا يَمْوَلَا عَلَى السَّارِ

توبہ

فَمِ الْكِتَابِ نَجْمٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
أَلِهِ وَجِبْرِائِيلَ يَا وَسَّامُ نَيْلَمَا كَمُرَ الْأَسْمَعِ لِلدِّينِ
حَسْبَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ وَالْقَوْلُ وَالْقَوْلُ الْأَبَدُ لِلْعَالِ الْعَظِيمِ



مفتی محمد امجد علی صاحب
 دارالعلوم دیوبند
 دارالافتاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقني

قال الشيخ الإمام الأوحـد الزاهد أبو محمد عبدالحق بن عبد الرحمن ابن عبد الله الأزدي الإشبيلي المالكي رضي الله عنه .
الحمد لله الذي أذل بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر بصدمته ظهور الأكاسرة ، وقصر ببيغته آمال القياصرة^(١) ، الذي أدار عليهم حلقة الدائرة ، وأخذهم بيده القاهرة ، فـقـذفهم في ظلمات الحافرة ، وصيرهم بها رهنا إلى وقفة الساهرة^(٢) ، فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولم يحصلوا على شيء من الآخرة .
مصيبتهم والله لا يجبر مصابها ، ولا يتجرع صائبها ، ولا تنقضي آلامها ولا أوصانها .

لم يمنعهم ما حصنوه من المعازل والحصون ، ولا حرسهم ما بعثوه من الحرس والعيون ولا فداهم من ريب المنون ما ادخروه من علق مصون وذهب مخزون .

بل صدمهم بركنة الشديد ، وصبحهم بجيشه المديد . وأنفذ فيهم ما كتب عليهم من الوعيد .

نقلهم من لين المهود إلى خشونة اللحود ، وصيرهم بين حجرها المنضود وجندها المعقود أكلا للهوام وطعما للدود .

نظر إليهم بعينه الشوساء^(٣) وأرسل عليهم كتيبته الخرساء ، فأذل عزتهم

(١) مفتتح كتاب ذكر الموت من إحياء علوم الدين للغزالي ٤/٤٨٨ مع تصرف قليل .

(٢) من : فـقـذفهم الى هنا سقط من ز .

(٣) الشوساء : الشوس : النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغظا . يقال رجل أشوس ، وامرأة شوساء .

القعساء^(٤)، وأبدل من نعمتهم بؤسا، وأنطق بالعويل ألسنة خرسا، وصيرهم حديثا يذكر على مر الزمان ولا ينسى .

نزلوا عن الأرائك والكلال^(٥) والأسرة والحجال^(٦) إلى الحجارة والرمال والأرقام والصلال، وشظف العيش وضيق المجال، وحلوا بربع غير محلال، بحيث لا زوال ولا انتقال، ولا عشرة تقال، ولا يسمع فيها مقال، ولا يلتفت عندها إلى من قال .

أرسل عليهم ربك جنوده العاتية، وأخذهم أخذته الرابعة، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية والقرون الماضية، فهل تحس منهم من أحد، أو هل ترى لهم من باقية، وفيهم قيل وفي أمثالهم :

حدث حديث القوم من فارس	ومن بني قبط ويونان
ومن بني الأصفر ^(٧) أعجب بهم	وسيد الأتراك خاقان
والأقدمين الأعظمين الألى	من حمير أبناء قحطان
من تبع العرب ومن قيصر	الروم وكسرى آل ساسان
من كل قرم ^(٨) شامخ أنفه	وكل فرعون وهامان
وإن نسيت اليوم شيئا فلا	تنس نبطا أخت كلدان
واذكر ملوك الأرض من بعدهم	من عرب صيد وعجمان
من كل منصور اللوا أروع	سليل أطواق وتيجان
مجمع الشمل على عزة	شيدت بأساس واركبان
قد زلزل الأرض وراع الورى	من جيشه الضخم بطوفان
وذلل الخلق بسلطانه	كأنه رَبُّ لهم ثان
انظر إليهم هل ترى منهم	غير أحاديث بأفنان

(٤) القعساء : الثابتة .

(٥) الكلال : جمع كلة وهي ما نسميه الناموسية .

(٦) الحجال : جمع حجله وهو بيت يزين بالستور للعروس .

(٧) بني الأصفر : الروم .

(٨) قرم : القرم السيد العظيم وهو في الأصل الفحل من الابل إذا ترك عن الركوب والعمل ، وشبه به العظيم من الرجال .

وانظر إلى الموت وأعماله
وأبصر القوم وماذا لقوا
قد صفعتهم يده صفقة
ودك في الأرض يبتجانهم
من حجر صلد ورخو ومن
وأنزلوا بطن الثرى بعدما
واطعم الديدان لحما نهم
فكم هناكم من فتى ناعم
ومن هزبر^(٩) مرح في الوغى
كانوا كذا ثم اغتدوا عبدة
ولم يدافع عنهم جحفل^(١٠)
ولا بيوت ملئت كلها
بل مرّ ذاكم كله مسرعا
وأصبح الملك لمن ملكه
فسبحان من تفرد بالعزة والكبرياء، وتوحد بالديمومة والبقاء، وطوق
عباده بطوق الفناء، وفرقهم بما كتب عليه من السعادة والشقاء، وجعل الموت
مخلصا لأوليائه السعداء، ومهلكا لأعدائه الأشقياء.

خلق خذلانا وقدر توفيقا، وأنهج سبيلا وأوضح طريقا، فهدى إليه فريقا
وأضل عنه فريقا. لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء، وإليه ترجعون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق لها في الأزل،
وكتب له بها في القسم الأول، ففتح لها كل باب، وهتك دونها كل حجاب،
وخلصها من الشبهة والارتباب، وظهرت عليه فيها نعمة العزيز الوهاب الغفور
التواب، ملك الملوك ورب الأرباب.

(٩) هزبر: اسد، اراد به الرجل الشجاع.

(١٠) جحفل: جيش عظيم.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرفوع عليه علم التحقيق ، المختص
بخصائص التوفيق ، الداعي إلى أنهج سبيل وأوضح طريق .

صلى الله عليه صلاة تزيده شرفا ، وترفعه زلفى ، وتوردنا مورده الذي
عذب وصفا . وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى
يوم الدين ، وسلّم وكرّم وشرفّ وعظّم .

أما بعد فإن الموت أمر كُبار لمن أنجد^(١١) وأغار ، وكأس تدار فيمن أقام أو
سار ، وباب تسوقك إليه يد الأقدار ، ويزعجك فيه حكم الأضرار ، ويخرج بك
إما إلى الجنة وإما إلى النار .

خبر - علم الله - يضمّ الأسع ويغير الطباع ، ويكثر من الآلام والأوجاع .
واعلموا أنه لو لم يكن في الموت إلا الإعدام وانحلال الأجسام ونسيانك
أخرى الليالي والأيام ، لكان والله لأهل اللذات مكذرا ولأصحاب النعيم مغيرا ،
ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجرا ومنفرا . كما قال مطرف بن
عبدالله بن الشخير :

إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم ، فأطلبوا نعيما لاموت فيه ،
فكيف ووراء يوم يُعدم فيه الجواب ، وتدهش فيه الألباب ، وتفنى في شرحه
الأقلام والكتاب ، ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب .

واعلموا رحمكم الله أن الناس في ذكر الموت على ضروب فمنهم المنهمك
في لذاته المثابر على شهواته ، المضيع فيها مالا يرجع من أوقاته ، لا يخطر الموت له
على بال ، ولا يحدث نفسه بزوال ، قد أطرح أخراه واكبّ على دنياه ، واتخذ إلهه
هواه فأصمّه ذلك وأعماه ، وأهلكه وأرداه .

فإن ذكر له الموت نفرو وشرد ، وإن وعظ أنف وبعد وقام في أمره الأول
وقعد . قد حاد عن سواء نهجه . ونكب عن طريق فلجه^(١٢) وأقبل على بطنه
وفرجه ، تبت يدها وخاب مسعاه وكأنه لم يسمع قول الله عز وجل ﴿ كل نفس

(١١) انجد : دخل في نجد وهو الأرض المرتفعة . وأغار : دخل في غور وهو الأرض المنخفضة .
والمراد لكل إنسان .

(١٢) نكب عن طريق فلجه : ابتعد عن الطريق الصحيح .

ذائقة الموت ﴿١٣﴾ ولا سمع قول القائل فيه وفي أمثاله حيث قال :

ياراكب	الروح	للذاته	كانه	في	أُتِنِ (١٤)	عَيْرُ
وأكلا	كل	الذي	يشتهي	كانه	في	كلأ ثورُ
وناهضا	إن	يدعُ	داعي	الهوى	كانه	من خفة طيرُ
وكل	ما	يسمع	أو	ما	يرى	كانها
إن	كؤوس	الموت	بين	الورى	دائرة	قد حثها السيرُ
وقد	تيقنتَ	وإن	ابطأت	ان	سوف	يأتيك
ومن	يكن	في	سيره	جائرا	تالله	ما في سيرها جورُ

ثم ربما أخطَرَ الموت بخاطره، وجعله من بعض خواطره، فلا يهيج منه إلا غما، ولا يثير من قلبه إلا حزنا، مخافة أن يقطعه عما يؤمل أو يفطمه عن لذة في المستقبل، وربما فَرَّبَ فكره منه ودفع ذلك الخاطر عنه. ويا ويحه كأنه لم يسمع قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (١٥) ولا قول القائل :

فَرَّ من الموت أو اثبت له لا بد من أنك تلقاه
واكتب بهذي الدار ما شئتَه فإن في تلك ستقراه

وكذلك من كان قلبه متعلقا بالدنيا، وهمه فيها ونظره مصروفا إليها، وسعيه كله لها، وهو مع ذلك من طلابها المحرومين وأبنائها المكدودين (١٦)، لم ينل منها حظا ولا رقى منها مرقى، ولا نجح له فيها مسعى، إن ذكر له الموت تصامم عن ذكره ولم يمكنه من فكره، وتمادى على أول أمره، رجاء أن يبلغ ما أمل، أو يدرك

(١٣) آية ٣٥ سورة الأنبياء .

(١٤) الأتن : جمع أتان وهي الحمارة .

(١٥) آية ٨ سورة الجمعة .

(١٦) المكدودين : المتعبين بفتح العين .

بعض ما تخيل، فعمره ينقص وحرصه يزيد، وجسمه يخلق وأمله جديد، وحتفه^(١٧) قريب ومطلبه بعيد.

يحرص حرص مقيم، ويسير إلى الآخرة سير مجد، كأن الدنيا حق اليقين، والآخرة ظن من الظنون. وفي مثل هذا قيل:

اتحرص يا ابن آدم حرص باقٍ وأنت تمر ويحك كل حين
وتعمل طول دهرك في ظنون وأنت من المنون^(١٨) على يقين

وهذا إذا ذكر الموت أو ذكر به لم يخف أن يقطع عليه مُمهاً من الأغراض قد كان حصله، ولا عظيمًا من الآمال في نفسه قد كان أدركه، لأنه لم يصل إليه ولا قدر عليه، لكنه يخاف أن يقطعه في المستقبل عن بلوغ أمل يحدث به نفسه ويخضع به جسسه، وهو يرى فيه يومه كما قد رأى فيه أمسه.

قد ملأ قلبه بتلك الأحاديث المشغلة والأمانى المرذلة، والوساوس المتلفة، قد جعلها ديدنه^(١٩) ودينه، وإيمانه ويقينه.

وربما ضاق ذُرعه بالدنيا وطال همه فيها من تعذر مراده عليه وقلة تأتية^(٢٠) له، فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه، وهذا من جهله بالموت وبما بعد الموت. والذي يستريح بالموت غيره، والذي يفرح به سواه، إنما الفرح من وراء الصراط، والراحة بعد المغفرة.

توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحونها ويضحكون معها، فقالت عائشة رضي الله عنها: لقد استراحت فقال رسول الله ﷺ: إنها يستريح من غفر له. ذكره أبو بكر البزار في مسنده.

فلا يزال هذا البائس يتحمل من الدنيا بؤسها، ويتلقى نحوسها ويلبس

(١٧) الحنف: الموت.

(١٨) المنون: الموت.

(١٩) رديته: دأبه وعادته.

(٢٠) تأتية: إمكانه.

لكل شدة لبوسها . وهويتعلل بعسى ولعل . ويرى جنده الأفل ، وحزبه الأفل ،
وناصره الأذل فلا يرعوي^(٢١) ولا يزدجر ، ولا يفكر ولا يعتبر ، ولا ينظر ولا
يستبصر حتى إذا وقعت رايته وقامت قيامته ، وهجمت عليه منيته ، وأحاطت به
خطيئته ، فانكشف له الغطاء ، وتبدت له موارد الشقاء ، صاح واخيتاه ! واثكل
أماه ! وأسوء منقلباه !

هيهات هيهات ، ندم والله حيث لا ينفعه الندم ، وأراد التثبيت بعدما زلت به
القدم ، فخر صريعا لليدين وللقم ، إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم^(٢٢) فنعوذ
بالله من الحرمان ، ومن ضحك العدو وشاة الشيطان .

وهذا والذي قبله إن لم يكن لهما عناية أزلية ، وسابقة أولية فيمسك عليهما
الإيمان ، ويختم لهما بالاسلام ، وإلا فقد هلكا كل الهلاك ، ووقعا بحيث لا
دراك ، ولا مخلص ولا انفكاك .

فنعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء بفضله ورحمته .

ورجل آخر - وقليل ما هم - من أزيل من عينه قذاها ، وكشف عن بصيرته
عماها ، وعرضت عليه الحقيقة فراها ، وأبصر نفسه وهواها فزجرها ونهاها ،
وأبغضها وقلاها^(٢٣) ، فلبى المنادي وأجاب الداعي ، وشمر لتلافي ما فات ،
والنظر فيما هو آت ، وتأهب لهجوم الممات ، وحلول الشتات ، والانتقال إلى محلة
الأموات .

ومع هذا فإنه يكره الموت أن يشهد وقائعته أو يرى طلائعه ، أو يكون ذاكرة
حديثه أو سامعه ، وليس يكره الموت لذاته ، ولا لأنه هادم لذاته ، ولكن يخاف أن
يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد ، والاكتساب ليوم الحساب ، ويكره أن تطوى
صحيفة عمله قبل بلوغ أمله ، وأن يبادر بأجله قبل اصلاح خلله وتدارك زلله
فهو يريد البقاء في هذه الدار لقضاء هذه الأوطار^(٢٤) ، والإقامة بهذه المحلة
بسبب هذه العلة .

(٢١) يرعوى : يرجع .

(٢٢) أم قشعم : كناية عن الموت .

(٢٣) قلاها : هجرها وتركها .

(٢٤) الأوطار : جمع وطر وهو الحاجة والمطلب .

كما روى عن بعض العالمين وقد بكى عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لفراق هذه الدار حرصاً على غرس الأشجار وإجراء الأنهار، لكن على ما يفوتني من الادخار ليوم الافتقار، والافتقار ليوم الحساب.

قال في هذا او معناه:

أهون بداركم الدنيا وأهلها واضرب بها صفحات من محبتها
الله يعلم اني لست وامقها (٢٥) ولا اريد بقاء ساعة فيها
لكن تمرغت في ادناسها حَقَباً وبتُ أنشرها حيناً وأطويها
أيام أسحب ذيلي في ملاعبها جهلاً وأهدم من ديني وأبنيها
وكم تحملت فيها غير مكرث من شاخات ذنوب لست أحصيها
فقلت أبقى لعلي أهدم ما بنيت منها وأدناسي أنقيها
ومن ورائي عقاب لست أقطعها حتى أخفف أحمالي وألقيها
ياويلتي وبحار العفوزاخرة إن لم تصبني برش في تشنيها
وهذا إذا مات فيالله دره من ميت، ما أفضل حياته وأطيب مماته، وأعظم

سعادته وأكرم وفادته، وأتم سروره وأكمل حبوره (٢٦)

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه» لأن هذا لم يكره لقاء الله تعالى لذات اللقاء، إنما كره أن يقدم على الله عز وجل متدنساً بأوضاره (٢٧)، ثقيل الظهر بأوزاره، ملآن من عاره وشناره (٢٨) فأراد أن يتطيب للقاء ويستعد لفصل القضاء.

قال أبو سليمان الداراني: قلت لأم هارون العابدة: أتحيين أن تموتي؟ قالت: لا قلت: ولم؟ قالت: والله لو عصيت مخلوقاً لكرهت لقاءه، فكيف بالخالق جل جلاله؟!!

(٢٥) وامقها: الواثق: الناظر الى الشيء.

(٢٦) الحبور: السرور.

(٢٧) الأوضار: جمع وضرو وهو وسخ الدسم.

(٢٨) الشنار: أقيح العيب.

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب . قال : كيف القدوم على الله عز وجل؟ فقال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيء فكالعبد الأبق (٢٩) يأتي مولاه خائفاً محزوناً .

قال أبو بكر الكتاني : كان رجل يحاسب نفسه ، فحسب يوماً سنيه فوجدها ستين سنة ، فحسب أيامها فوجدها واحداً وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم ، فصرخ صرخة وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : يا ويلتاه ! أنا آتي ربي بواحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب؟ !

يقول هذا لو كان ذنب واحد في كل يوم ، فكيف بذنوب كثيرة لا تحصى؟ !

ثم قال : آه عليّ ، عمرت دنياي وخربت أخراي ، وعصيت مولاي ، ثم لا أشتهي النقلة من العمران إلى الخراب؟ ! وكيف أشتهي النقلة إلى دار الكتاب والحساب والعتاب والعذاب ، بلا عمل ولا ثواب؟ ! وأنشد :

منازل دنياك شيدتها وخربت دارك في الآخرة
فأصبحت تكرهها للخراب وترغب في دارك العامرة

ثم شهق شهقة عظيمة ، فحركه فإذا هو ميت .
على أن هذا الحديث «من كره لقاء الله كره الله لقاءه» قد جاء مفسراً ، فعن عائشة رضي الله عنها :

قال رسول الله ﷺ : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقلت : يانبي الله أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت؟ قال : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله ، فأحب الله

لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه وعقوبته كره لقاء الله فكره الله لقاءه. (٣٠)

ذكره مسلم بن الحجاج.

وقال البخاري في هذا الحديث: ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته. فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه.

ورجل آخر هو من القليل قليل، قد عرف الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلا، وشاهد ما شاهد من كمال الربوبية وجمال الحضرة الإلهية فملأت عينه وقلبه، وأطاشت عقله ولُبُّه، فهو يحن إلى ذلك المشهد، ويحوم على ذلك المورِد، ويستعجل إنجاز ذلك الموعد، وقد علم أن الحياة حجاب بينه وبين محبوبه، وستر مسدل بينه وبين مطلوبه، وباب مغلق يمنعه من الوصول إلى مرغوبه.

فلو أصاب سييلا إلى هتك ذلك الحجاب هتكه، أو رفع ذلك الستر رفعه، أو كسر ذلك الباب حطمه وكسره، فعذابه في الحياة، وراحته في المات. كما يروى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لما نزل به الموت قال: حبيب جاء على فاقة.

وقد قيل: إن الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب.

وأنشد بعضهم:

يا حبذا الموت وأهواله	وسكرة منه تلي سكره
وزفرة في اثرها زفرة	كأنها في كبدي جمره
وروعة تقطع مني الحشا	كأنها في أضلعي شفره
يا حبذا يا حبذا كل ما	لاقيت من ضر ومن عسره
أهون به ثمت أهون به	ولو غدا مثل الحصى كثره

(٣٠) رواه البخاري في الرقاق ٣٠٨/١١، ومسلم في الذكر والدعاء رقم ٢٦٨٣. والترمذي في الجنائز رقم ١٠٦٦. انظر جامع الأصول ٥٩٥/٩ و ٥٩٦.

إذ كان ذاكم مُعْقِبِي نظرة في وجه ذي العزوذي القدره (٣١)
يا لأماني تمنيتها تفقد نفسي دونها حسرة
والموت جسر للقاء المنى فليعمل الغافل ما سره (٣٢)
ويروى عن علي بن الفتح أنه رأى الناس في يوم عيد يتقربون بقرابينهم -
يعني بضحاياهم - فقال : يا رب وأنا اتقرب إليك بأحزاني . ثم غشي عليه ، فلما
أفاق قال : إلهي إلى كم ترددني في هذه الدنيا؟! فمات من ساعته .
ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ما وراءها من الوصال والاتصال والأنس
بذلك الجلال والجلال .

وآخر قد شاهد ما شاهد ذلك ، وربما زاد عليه ، ولكنه فوض الأمر إلى خالقه ،
وسلم الحكم لبارئيه ، فلم يرض إلا ما رضي له ، ولم يُرد إلا ما أُريدَ به ، ولا
اختار إلا ما حكم فيه ، ان أبقاه في هذه الدار أبقاه ، وان أخذه اليه أخذه .

قال أحمد بن أبي الحواري : قال أبو سليمان الداراني :
الناس رجلان : رجل أحب الله تعالى ، فأحب الموت شوقاً إلى لقاء الله ،
ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله تعالى .

قال : فوثب اليه غلام لم يحتلم فقال : ورجل ثالث! أوقال ورجل آخر ،
فقال أبو سليمان : ومن هويابني (٣٣)؟ قال : من لم يختر هذا ولا هذا اختار ما اختار
الله عز وجل له . فقال أبو سليمان : احتفظوا بالغلام فانه صديق .

واجتمع يوما وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط رحمهم
الله تعالى ، فقال الثوري : كنت أكره موت الفجأة ووددت اليوم أني مت . فقال
له يوسف بن اسباط : لم؟ قال : لما اتخوف من الفتنه في الدين . فقال يوسف :
لكني أحب الحياة وطول البقاء . فقال له سفيان : لم؟ قال : لعلني أن أصادف يوما
أتوب فيه وأعمل صالحا .

(٣١) الى هنا سقط من ش .

(٣٢) في زول : فيثبت المرء لها جسره .

(٣٣) يابني : ليس في زول .

فَقِيلَ لَوْهَيْبُ : اَي شَيْءٍ تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ : أَنَا لَا أَخْتَارُ شَيْئًا ، أَحَبُّ ذَلِكَ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَبَّلَ الثَّوْرِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : رُوحَانِيَّةٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَهْضَمٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ سَهْلٍ : دَخَلْتُ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ وَهُوَ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي تُوْفِي فِيهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ : أَجْدُ سَرِيٍّ وَاقِفًا مِثْلَ الْمَاءِ لَا يَخْتَارُ النُّقْلَةَ وَلَا الْمَقَامَ .

يَعْنِي مِثْلَ الْمَاءِ فِي الْإِنَاءِ أَوِ الْقَرَارِ مِنَ الْأَرْضِ . يَقُولُ لَا يَخْتَارُ الْحَيَاةَ وَلَا الْمَوْتَ . وَقَالَ الْقَائِلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

كُلُّ مَا يَفْعَلُ الْحَبِيبُ حَبِيبٌ وَالَّذِي شَاءَ بِي فَشَيْءٌ عَجِيبٌ
إِنْ سَكُنَ أَرَادَ بِي فَسَكُونٌ أَوْ وَحِيبٌ أَرَادَ بِي فَوَجِيبٌ
وَإِذَا مَا أَرَادَ مَوْتِي فَمَوْتِي أَوْ حَيَاتِي لِكُلِّ ذَاكَ أَجِيبٌ
كُلُّ مَا كَانَ مِنْ قَضَاءٍ فَيَحْلُو بِفَوَادِي نَزْوِلِهِ وَيَطِيبُ
فَهَذَا إِذَا مَاتَ لَا يُسْأَلُ عَنْ حَالِهِ وَلَا يَقَالُ مَا فَعَلَ بِهِ؟

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ وَيَسْتَهْيِيهِ ، وَيَسْأَلُهُ رَبُّهُ تَعَالَى وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ وَرَاءَهُ يَوْمًا ثَقِيلًا وَحَسْبًا طَوِيلًا ، وَمَقَامًا يَقُومُ فِيهِ ذَلِيلًا ، لَكِنْ لَمَّا رَأَى نَفْسَهُ مَنْصُوبًا لِلْمَحَنِّ مَعْرُضًا لِلْفِتَنِ ، مَرْتَنًا بِمَا هُوَ بِهِ مَرْتَنٌ ، وَأَبْصَرَ تَفْرِيطَهُ فِي الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَفِي الْإِسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْأَشْهَادِ ، وَخَافَ أَنْ يَقْتَطِعَ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَخْتَلِجَ عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ ، تَمَنَّى الْمَوْتَ لِيَنْجُوَ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ ، وَيَسْلَمَ مِنْ هَذَا الْغَرَرِ ، وَأَنْ يَقْدَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِيمَانِ كَائِنًا مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا كَانَ . وَهَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا مَاتَ خَرَجَتْ لَهُ الْبَشَرَى بِالْأَمَانِ ، وَأَنْ يَحْتَلَّ فِي جَوَارِ الرَّحْمَنِ حَيْثُ شَاءَ مِنْ دَارِ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضَرِّ نَزَلَ بِهِ» . فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا أَرَادَ الضَّرْرَ الدُّنْيَوِيَّ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ مَحَنِّ الدُّنْيَا فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ . وَهَذَا إِنَّمَا تَمَنَاهُ مَخَافَةً أَنْ يَنْزَلَ بِهِ الضَّرْرُ الْآخِرِيُّ ، وَأَنْ يَقْتَطِعَ بِالْمَعَاصِي عَنْ اللَّهِ ، وَأَنْ يَصْدَ بِالْفِتَنِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .

وبالجملة فالموت طريق نجاة يركبها المؤمنون، ومورد سلامة يردّها المسلمون، لقوا فيه مالمقوا، وسقوا منه ما سقوا كل ذلك يهون، لما يفضي بهم إليه من السعادة الأبدية، والحياة السرمدية .
نسأل الله جميل الخاتمة، وحسن العقابة، ومردّاً غير مخز ولا فاضح برحمته لا رب سواه .

والأحاديث التي وردت في النهى عن تمني الموت صحيحة مشهورة .
ذكر مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أنس بن مالك قال :
قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنيا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي (٣٤) » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا (٣٥) » .

وذكر البخاري من حديث أبي هريرة أيضا أن رسول الله ﷺ قال :
« لا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسنا فلعله أن يزداد ، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب (٣٦) » .

وذكر أبو بكر البزار من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة » .

وسأذكر لك إن شاء الله جملة كافية مما ورد في الموت ، ومما يعين على ذكره والفكرة فيه ، وذكر الصالحين له ، وكلامهم عند نزوله مع كلام غيرهم من

(٣٤) رواه مسلم رقم ٢٦٨٠ في الذكر والدعاء ، والبخاري ١٠٧/١٠ و١٠٨ في المرضى .
والترمذي رقم ٩٧١ في الجنائز . وأبو داود رقم ٣١٠٨ في الجنائز . والنسائي في الجنائز .
(جامع الأصول ٢/٥٥٤) .

(٣٥) رواه مسلم رقم ٢٦٨٢ . والبخاري ١٠٩/١٠ والنسائي في الجنائز . نفس المرجع .
(٣٦) رواه أيضا النسائي . انظر جامع الأصول ٢/٥٥٥ . ومعنى يستعتب : يستقبل من شيء فعله أو قاله .

المغترين والجهلة المخدوعين، وما وراءه من السؤال والحساب، والثواب والعقاب، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولعلك تظن بقولي هذا وبالجملـة «فالموت طريق نـجاة يركبها المؤمنون» الكلام إلى آخره - أني إنما أردت بذلك تهوين الموت وتسهيل كربه، وتحقير خطبه والازدراء بشأنه وقلة المبـالاة به. كلا ومن كَتَبَه على البشر، وجعله عبرة من العبر، وإحدى آياته الكُبر ما قلت ذلك لهذا، وإنما قلته للحالة التي يؤول المؤمنون إليها ويقيمون عليها، ويكرمون بها ويخلدون فيها، فذلك يهون الموت وما هو أعظم من الموت، بل الإقامة في سكراته وتجرع مراراته آلافا من السنين، وأضعاف ما تعدّه مئـين.

وإلا فالموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وإنه الحادث الهادم للذات، والأقطع للراحات، والأجلب للكرهيات.

وإن أمرا يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويفتت أعضادك ويهد أركانك، هو الأمر العظيم والخطب الجسيم، وإن يومه هو اليوم العقيم. وما ظنك رحمك الله بنازل ينزل بك فيذهب رونقك وبهاءك، ويغير منظرك ورواءك^(٣٧)، ويمحو صورة جمالك، ويمنع من اجتماعك واتصالك، ويردك بعد النعمة والنصرة، والسطوة والقدرة ٧/أ والنخوة والعزة إلى حالة يبادر فيها أحب الناس لك وأرحمهم بك وأعطفهم عليك، فيقذفك في حفرة من الأرض قريبة أنحائها، مظلمة أرجاؤها^(٣٨)، محكم عليك حجرها وصيدانها متحكم فيك هوامها وديدانها.

ثم بعد ذلك يتمكن منك الإعدام، وتختلط بالرغام^(٣٩)، وتصير ترابا تطؤه الأقدام.

(٣٧) الرواء: الحسن بضم الحاء.

(٣٨) الأرجاء: النواحي.

(٣٩) الرغام: التراب.

وربما ضُرب منك إناء فخار أو أحكم منك بناء جدار، أو طلي منك محبس ماء أو موقد نار، كما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أتى بإناء ماء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه، وقال كم فيك من عين كحيل وخذ أسيل (٤٠)؟!

وكان بقرطبة امرأة صالحة مذكورة بالخير معروفة، اسمها عزيزة بنت القلفيطي، وكانت لها رؤيا صادقة، فرأت فيما يرى النائم كأنها خارجة على باب الضاغط بقرطبة عن يسار الخارج بنيانا من أعضاء بني آدم وشعورهم، ولهم صياح وضجيج، ورجل طويل واقف وعليه ثياب خضرة نيرة، ويداه على عينيه، وهو يقول عيناى يا قوم في الحائط، فأخبرت بهذا الرؤيا أبا بكر بن مؤمن رحمه الله تعالى، فخرج إلى الموضع، فوجد فيه مسجدا ودورا قد بنيت في طرف مقبرة كانت هنالك، تعرف بمقبرة عباس.

وبنيت تلك الدور والمسجد لمصلحة رأى الجيران في ذلك
... (٤١) ذلك، حدثني بهذه الحكاية صاحبنا الوجيه أبو الحسن بن أبي بكر بن مؤمن عن أبيه، وعن المرأة أيضا وقد سمعت أيضا الحكاية قبل هذا من أبي الحسن بن كامل الصوفي ومن غيره من أصحابه.

ويحكى أن رجلين تنازعا وتخاصما في أرض، فانطق الله عز وجل لبنة في حائط من تلك الأرض، فقالت: يا هذان إني كنت ملكا من الملوك، ملكت كذا وكذا سنة، ثم مت وصرت ترابا، فبقيت كذلك ألف سنة، ثم أخذني خزاف - يعني فخارا - فعمل مني إناء، فاستعملت حتى تكسرت، ثم عدت ترابا فبقيت ألف سنة، ثم أخذني رجل فضرب مني لبنة فجعلني في هذا الحائط، ففيم تنازعكما؟ وفيم تخاصمكما؟!

وهذا التغيير إنما يحل بجسدك وينزل بيدك، لا بروحك، لأن الروح لها حكم آخر، وما مضى منك فغير مضاع، وتفرقه لا يمنعه من الاجتماع. (٤٢)

(٤٠) أسيل: لين أملس.

(٤١) ثلاث كلمات غير مقروءة.

(٤٢) حكاية عزيزة بنت القلفيطي هذه انفردت بها نسخة ل. ولا توجد في النسخ الثلاث الأخرى.

قال الله تعالى : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ (٤٣).
 والحكايات في هذا الباب أكثر من هذا، والكلام فيه متسع .
 وقد دونت في الموت الأخبار، وصيغت فيه الأشعار، وضربت بشدته
 الأمثال، وكثر فيه القيل والقال، وعملت بسببه أعمال وأعمال . قال بعضهم :
 قالوا صف الموت يا هذا وشدته فقلت وامتد مني عندها الصوت
 يكفيكم منه أن الناس إن عجزوا عن وصف ضربهم قالوا هو الموت
 وقد أمر عليه الصلاة والسلام بذكر الموت وأعاد القول فيه ، تهويلا لأمره
 وتعظيما لشأنه .

ذكر النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :
 « أكثروا ذكر هادم اللذات ، الموت » (٤٤) .

وهذا كلام مختصر وجيز، وقد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة ، فإن من ذكر الموت
 حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيتها في المستقبل ، وزهده فيما
 كان منها يؤمل .

ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ
 وتزويق الألفاظ . وإلا ففيما ذكر من قوله عليه الصلاة والسلام : « أكثروا من ذكر
 هادم اللذات ، الموت » ما يكفي السامع له ، ويشغل الناظر فيه . (٤٥) .
 ويروى عن عطاء الخراساني أنه قال :

مر رسول الله ﷺ بمجلس قد ارتفع فيه الضحك فقال : « شوبوا » (٤٦)
 مجلسكم بذكر مكدر اللذات . قالوا : وما مكدر اللذات ؟ قال : الموت .
 وخرج يوما عليه الصلاة والسلام إلى المسجد ، فإذا قوم يتحدثون
 ويضحكون ، فقال : اذكروا الموت ، أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم
 لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا .

(٤٣) آية ٤ من سورة ق .

(٤٤) رواه النسائي ٤/٤ في الجنائز . جامع الأصول ١١/١٤ .

(٤٥) تذكرة القرطبي ص ٨ .

(٤٦) شوبوا : امزجوا ، اخلطوا .

وعن ابن عمر قال: أتيت رسول الله ﷺ عاشر عشرة، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله مَنْ أكيس (٤٧) الناس، قال: أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم له استعدادا. قبل أن ينزل به أولئك الأكياس (٤٨) ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة.

وقال عليه الصلاة والسلام: أنا النذير، والموت المغير، والساعة الموعد (٤٩).

ويروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: تركت فيكم واعظين ناطقا وصامتا، فالناطق القرآن والصامت الموت.

ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به. وهذه الأحاديث رواها من طريق أبي بكر البزار، والقاضي أبي الحسن بن صخر، وأبي علي الغساني، وغيرهم.

وقال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده. وقال بعض أصحاب الحسن: كنا ندخل على الحسن فما هو إلا النار والقيامة والآخرة وذكر الموت.

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت، مات كل عضو منه على حدته وقال التيمي رحمه الله: شيئان قطعاً عني لذاذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الوقوف بين يدي الله عز وجل.

وقال مطرف بن عبد الله: رأيت في ما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط جامع البصرة: قطع ذكر الموت قلوب الخائفين، فوالله ما تراهم إلا والهين محزونين (٥٠).

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد.

(٤٧) أكيس: أفضن وأذكى.

(٤٨) الأكياس: جمع كيّس بتشديد الياء وهم العقلاء الأذكياء.

(٤٩) هذا الحديث سقط من ل.

(٥٠) الإحياء: ٤٠١/٤ والواهين: جمع واله وهو شديد الحزن.

وقال لعتبة : أكثر ذكر الموت ، فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك ، وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك (٥١) .

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ! من ذا الذي يصلي عنك بعد الموت ؟ ! من ذا الذي يصوم عنك بعد الموت ؟ ! من ذا الذي يُرضي عنك ربك بعد الموت ؟ !

ثم يقول : أيها الناس ، ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم ؟ ويا من الموت موعده ، والقبر بيته ، والثرى فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ، كيف يكون حاله ؟ ! ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه (٥٢) . ويروى أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت والقيامة يقطر جسده دما .

وعن داود عليه السلام أنه كان إذا ذكر عنده الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله ، فإذا ذكرت الرحمة رجعت .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، فيكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .
وأشد بعضهم :

يا باكيا من خيفة الموت	أصبت فارفع من مدى الصوت
وناد يالهفى على فسحة	في العمر فاتت أيما فوت
ضيعتها ظالم نفسي ولم	أصغ إلى موت ولا ميت
ياليتهأ عادت وهيئات أن	يعود ما قد فات ياليت
فخل عن هذي الأماني ودع	خوضك في هات وفي هيت
وبادر الأمر فما غائب	أسرع إتيانا من الموت
كم شائد بيتا ليغنى به	مات ولم يفرغ من البيت
وأعلم أن كثرة الموت تردع عن المعاصي ، وتلين القلب القاسي وتذهب	
الفرح بالدنيا وتهون المصائب فيها ، وإن من لم يخففه في هذه الدار ، ربما تمناه في	

(٥١) الإحياء ٤/٤٥١ .

(٥٢) تذكرة القرطبي ص ٩ .

الآخرة فلا يؤتاه، وسأل فيه ولا يعطاه .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه :

يا أخي احذر الموت في هذه الدار، من قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا يوجد، ويطلب فيها فلا يدرك .

ويروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها، فقالت لها: اكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة .

وقال الحسن : فضح الدنيا والله هذا الموت ، فلم يترك فيها لذي لب (٥٣) فرحا .

وقال : ما رأيت عاقلا قط إلا وجدته حذرا من الموت حزينا من أجله .

وقال كعب الأحبار : من ذكر الموت هانت عليه المصائب .

وقال حامد اللفاف : ويح ابن آدم إن أمامه ثلاثة أشياء : موت كربه المذاق، ونار أليمة العذاب ، وجنة عظيمة الثواب .

وأعلم أن الموت لن يمنعه منك مانع ، ولا يدفعه عنك دافع وإن فيه لزجرا للبيب، وشغلا للأريب، ومنبهة للنائم، وتنشيطا للمستيقظ . وانه للطالب المدرك، والمتبع اللاحق، والمغير الذي يبعث الطليعة ويعجل الرجعة، ويسبق النذير العريان . لا يرده الباب الشديد، ولا البرج المشيد، ولا اللجب العرمم (٥٤) ولا البلد البعيد .

وروى خيثمة عن سليمان بن مهران الأعمش قال وحَدَّثَ به غيره أيضا - إن رجلا كان جالسا مع نبي الله سليمان عليه السلام ، فدخل عليه داخل ، فجعل ينظر إلى الرجل الجالس مع سليمان ، ويديم النظر إليه . فلما خرج قال له الرجل : يا نبي الله من هذا الرجل الداخل عليك؟

قال : ملك الموت . قال : يا نبي الله لقد رأيته يديم النظر إلي ويشخص فيّ وإني لأظنه يريدني . قال : فما تريد؟ قال : يا نبي الله أريد أن تأمر الريح فتأخذني فتلقيني في أبعد جزائر البحر، فإنه قد أطاش عقلي وأذهب لبي ونقض كل عضو

(٥٣) اللب : العقل .

(٥٤) العرمم : الكثير .

في بدني .

فأوحى الله تعالى إلي سليمان أو ألقى في نفسه أن يفعل ذلك ، فأمر الريح فأخذته فألقته حيث أراد . فما استقر بالأرض حتى نزل عليه ملك الموت فقبض روحه ، ثم رجع إلى سليمان فقال له سليمان : رأيته تديم النظر إلى جليسي . قال : نعم كنت أتعجب منه ، لأنني أمرت بقبض روحه في أبعد بلاد الهند في ساعة قريبة من الوقت الذي كان عندك فما هو إلا أن خرجت ، قيل لي انزل عليه فإنه بها فنزلت عليه فوجدته بها ، فقبضت روحه . وأنشد بعضهم :

ما أنت والرشأ الأحوى ^(٥٥) تغازله	والركب تسأل عنه بانه الواد
وقد أظلك جيش للردى لجب	كالبحر يوصل أمدادا بأمداد
من كل داهية لو أنها مثلت	شخصا لأظلم منها كل وقاد
لا يمنع المرء منها رأس شاهقة	ولا يرد شباها ^(٥٦) نسج زراد
وأنت غاد على ظهر الطريق وما	لديك من ناصر يرجى ولا فاد
كأنني بك مصروعا لوطأته	هذا أو ان مغار الفارس العاد
قم قد أتيت ولا منجي ولا وزر	للوليل أصبحت من ركض وانشاد
صح بالندى وبالقصر المشيد عسى	هيهات هيهات كان القصر والناد
يا راقدا وعيون الموت ساهرة	لقد أعرت لأمر غير رقاد

واعلم أن في النظر إلى الميت ومشاهدة حاله ، وسكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ، . ويطرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ، ويبعث على العمل ، ويزيد في الاجتهاد والتعب .

يروى أن الحسن البصري رحمه الله دخل على مريض يعوده ، فوجده في سكرات الموت ، فنظر إلى كربه وعلته ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم ، فقالوا له : الطعام يرحمك الله ، أتناكل ؟ فقال :

(٥٥) الرشأ : ولد الظبية . والأحوى : الذي به حوة وهي سواد يضرب إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد . والمراد هنا المرأة الجميلة .

(٥٦) شباها : اشتعالها والمراد شدتها وكأنها نار مشتعلة .

يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

وقال بعض العلماء : أي عيش يطيب وليس للموت طيب ؟ ! .

وقال بعض الزهاد : لنا من كل ميت عظة بحاله ، وعبرة بماله .

وقال ابن مسعود : كفى بالموت واعظا ، وباليقين غنى وبالعبد شغلا .

واعلم أن الموت وإن كان هو المصيبة العظمى ، والرزية الكبرى ، فأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وترك العمل له ، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن تفكر .

وفي خبر مروي عن النبي ﷺ : « لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا (٥٧) » .

ويروى أن رجلا من الأغنياء نزل به داء في وجهه ، فعجز أطباء بلاده عن معالجته ، ولم يجدوا سبيلا إلى شفائه ، فخرج يضرب في الأرض ويخترق البلاد ، ويطلب علاجا لدائه ، وفرجا لبلائه ، فدل على طبيب حاذق ببلاد الهند ، فقطع إليها المفاوز (٥٨) البعيدة ، وركب إليه البحار الخطرة ، واللجج الهائلة ، حتى وصل إليه بعدما كاد أن يهلك فدخل عليه فوجد رجلا ملقى على فراشه جلده على عظم ، فسلم عليه ، فأحسن الرد وأظهر البشر ، وسأله عن ٩ / أ حاله ومن أي البلاد هو ، وما الذي جاء به فأخبره خبره ، وأنه إنما جاء يلتمس معالجة دائه . فقال له : كم معك من المال ؟ وما جئت به من البضاعة ؟ فأخبره . فقال له : آخذ منك نصف ما معك وأعالجك حتى تستريح ؟ فأجابه إلى ذلك ودفع إليه نصف ما عنده ، فعالجه ولا طفه حتى ذهب عنه الألم وجميع ما كان بوجهه ، ولم يبق به شيء ، إلا أن موضع الداء بقي أسود دون ألم يجده فيه . فقال له : لقد بريء داؤك وذهبت علتك ، وقد استوجب ما أخذته منك . فقال له : أيها الفاضل أو ما ترى الموضوع قد بقي أسود مخالفا لونه لوني ؟ وكيف يكون هذا البرء ؟ وكيف تكون هذه الصحة ؟ وكيف تستوجب ما أخذته مني ؟

(٥٧) تذكرة القرطبي ص ٤ .

(٥٨) المفاوز: جمع مفازة وهي الصحراء سميت بذلك تفاؤلا .

فقال له : لم أشارطك على نقاء اللون وبياض البشرة ، وإنما شارطتك على ذهاب الألم وحسم الداء ، ولست أنظر لك فيما تريده من إزالة هذا السواد إلا بأن تدفع إلي النصف الثاني من مالك .

فقال له : أيها الفاضل أنا رجل غريب بعيد الدار، ناءٍ عن الأهل ، وإذا دفعت لك النصف الثاني بقيت منقطعاً بي عن أهلي ووطني ، فقيراً بأرض غربة ، عالة على من لا يعرفني .

فقال له : لا بد لك من أن تعطيني ما قلت لك ، وإلا لم أنظر لك في شيء مما تريد .

فلما رأى الرجل أنه لا يجيبه إلى معالجته والنظر في أمره حتى يعطيه ما سأل ، أجابه إلى ما أراد ، ودفع إليه النصف الثاني ، فعالجه حتى ذهب عنه سواده .

فلما برىء قال له : أبقى لك شيء ؟ فقال لا ، قال فاستوجبت ما أخذته منك ؟ قال نعم .

فقال له : يا هذا إني لم آخذ مالك رغبة فيه ولا لأستأثر به دونك ، ولكن أردت أن أدري مقدار نفسك عندك ، وأيهما أحب إليك ، المال أم هي . فقد رأيت ، وهذا مالك كله مردود عليك ، لا والله لا آخذ منه درهما واحداً ، فردّه عليه ، ثم قال له : ما نحلّتكم التي تنتحلون ؟ وما شريعتكم التي بها تتشرعون ؟ فقال له : نحن مسلمون . فقال : وما مسلمون ؟ فقال : نحن أمة محمد ﷺ قال : وما محمد ؟ قال : رجل من العرب ثم من قريش بعثه الله تعالى إلينا رسولا ، واختاره صفياً أميناً ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وذكر لنا أن بين أيدينا يوماً يبعث فيه الأموات ، ويجازي فيه بالسيئات والحسنات .

فقال له : وكيف انتم في اتباعه ؟ قال : إنا لنسلك في غير (٥٩) هديه ، ونترك كثيراً من أمره .

قال : والله يا هذا ما أقول بما تقولون ، وما ردني كما ترى جلدة على عظم إلا الفكرة في الموت خاصة ، وفيها هو ، فكيف لو قلت بما تقولون مما بعد الموت من

(٥٩) غير : سقطت من ل .

الحساب والعقاب، والجزاء والثواب؟ ما رأيت أقل عقولا منكم .
ثم دفع إليه ماله وانصرف .

حدثني بهذه الحكاية أبو عمرو الشريف رحمه الله تعالى .
وهذا الكلام الأخير منها في ذكر الموت وغيره شككت هل ذكره في الحكاية
أم لا . ولكني قد سمعته من غيره .

ويروى أن أعرابيا كان يسير على جبل له ، ٩/ب فخر الجمل ميتا ، فنزل
الأعرابي عنه وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول :

ما لك لا تقوم؟ مالك لا تنبعث؟ هذه أعضاؤك كاملة ، وجوارحك
سالمة ، ما شأنك ، ما الذي كان يحملك ، ما الذي كان يبعثك ، ما الذي
صرعك ، ما الذي عن الحركة منعك؟ ثم تركه وانصرف متفكرا في شأنه ،
متعجبا من أمره .

وأنشدوا في هذا المعنى (٦٠) :

ومجرر خطية ^(٦١) يوم الوغى	منسابةً من خلفه كالأرقم
تتضاءل الأبطال ساعة ذكره	وتبيت منه في إباءة ضيغم
شرس المقادة لا يزال ربيثة	فمتى يحس بنار حرب يقدم
تقع الفريسة منه في فوهاء ^(٦٢) إن	يطرح بها صم الحجارة يحطم
ظمان للدم لا يقوم برّيه	إلا المروق في الجسوم من الدم
جاءته من قبل المنون إشارة	فهوى صريعا لليدين وللقم
ورمى بدحكم درعه وبرمحه	وامتد ملقى كالغنيق ^(٦٣) الأعظم
لا يستجيب لصارخ إن يدعه	أبدا ولا يرجى لخطب معظم
ذهبت بسالته ومرغرامه	لما رأى خيل المنية ترتّم
يا ويحه من فارس ما باله	ذهبت فروسته ولما يكلم

(٦٠) القرطبي ص ٤ . وقد ذكر أن الأبيات انشدت في بعض الشجعان مات حتف أنفه .

(٦١) خطية : رماح منسوبة الى الخط وهوبلد عرف بصنع الرماح .

(٦٢) فوهاء : الفرس الفوهاء واسعة الفم ، مذكروها أفوه .

(٦٣) الغنيق : الجمل الضخم ، او الغرارة .

هذي يده وهذه أعضاؤه ما منه من عضو غدا بمثلهم
هيهات ما خيل الردى محتاجة للمشرقي ولا السنان اللهم
هي وبحكم أمر الاله وحكمه والله يقضي بالقضاء المحكم
يا حسرة لو كان يقدر قدرها ومصيبة عظمت ولما تعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه وكأننا في حالنا لم نعلم
فكيف إذا أضاف إلى الفكرة في الموت ، الفكرة فيما بعد الموت ، وفي حال
الميت ومآله . وما يجازي به من أقوال وأفعال ، وفي أي متجرفاته ، وأي بضاعة
فرط فيها ، وأي علق نفيس من العمر ضيعة ؟ !

هنالك تطيش الأبواب ، وتذهل العقول ، وتخرس الألسن ، وتنبذ الدنيا
بالعراء وتطرح بجميع ما فيها بالوراء .

وقال ابن السماك رحمه الله تعالى : إن الموتى لم ييكونوا من الموت ، ولكنهم
يكونون من حسرة الفوت ، فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ، ودخلوا دارا لم يتزودوا
لها ، فأية ساعة مرت على من مضى ؟ وأية ساعة بقيت علينا ؟ والله إن المتفكر في
هذا الجدير أن يترك الأوطان ، ويهجر الخلال ، ويدع ما عز وما هان .

ويروى أن ملكا من ملوك بني اسرائيل كان كلما ولد له ولد فبلغ مبلغ
الرجال وعقل ما يعقله الرجال ، لبس مسوحوه وتعلق بروؤوس الجبال ، وسلكت
بطون الأودية ، يعبد الله عز وجل ، فلم يزل ذلك دأبه حتى ولد له ولد ، فشب
إلى أن ولد له ولد ، فجمع رجاله وخاصته وقال : تعلمون ما كان من أمر بني ،
وأنه ليس منهم واحد بقي معي ولا التفت إلي ، وإنه ليس يصلح لكم ولا
يستقيم أمركم إلا بأن يليكم واحد من ولدي ، وإني أخاف إن لم يكن ذلك أن
تهلكوا ١٠ / أهلاكي ، فخذوا ولدي هذا فربوه ، وقوموا بأمره ، فإذا شب وعقل
فرينوا له الدنيا ، وعظموا قدرها عنده .

ثم أمر فبني له قصر عظيم فرسخا في فرسخ ، وجمع له المراضع ، وأكثر له
من الخواضن ، ووكل به رجالا من عقلاء أصحابه ووجوه دولته .
وأمر إذا فهم وعقل - أن لا يخرج من ذلك القصر ، ولا يذكر عنده الموت ، ولا
يبصر ميتا في موضع يكون فيه ، مخافة أن يسمع بالموت أو يرى ميتا فيسأل عنه

يفسر له ، فتتغصص عليه لذته ، وتتكدر عليه حياته ، ويزهد في الملك ويسلك مسلك إخوته ويلحق بهم ويحذو حذوهم .

فبقي الغلام على ذلك لا يذكر عنده موتا ولا يسمعونه حديث ميت ، ولا يطلعونه عليه ، ولا يذكر عنده إلا الدنيا وتعظيمها والفرح بها والإقبال عليها ، وتعظيم آبائه الملوك ، وأجداده العظماء ، والترغيب في الاقتداء بهم ، والمشي على طريقهم والاستئناس بهم .

إلى أن شب الغلام وعقل ما يعقله الناس ، فمشى ذات يوم في فلك القصر وطاف في أرجائه ، وقد أحرق به خاصته والموكلون به ، فانتهى إلى سور القصر ، فقال : ما وراء هذا السور؟ وما خلف هذا الحائط؟ فقالوا له : وراءه الأرض الواسعة والبلاد الكثيرة ، والجم الغفير من الناس ، وكل ذلك لك وللملك أبيك . فقال أخرجوني حتى أنظر وأرى . فأبوا حتى يشاوروا أباه ، فشاؤروه وأخبروه بأنه يريد أن يخرج ويرى الناس ، وظنوا أنه يحكمهم .

فأذن لهم فأخرجوه ، فرأى ونظر ، فأول ما وقع بصره من الناس على شيخ كبير قد سال لعبه من فيه ، وسقط حاجباه على عينيه من الكبر .

فقال : ما هذا؟ فقالوا : شيخ كبير . فقال : وما شيخ كبير؟ قالوا كأن شابا فعمرو وعاش حتى أصابه الهرم فعمل به ما ترى . قال : وما الهرم؟ قالوا : الكبر وطول العمر يعيش إلى أن تقل طاقته وتضعف حركته حتى لا يقدر أن يمسك لعبه في فيه ، مع علل أخر تعتريه من طول الحياة .

قال : أويصيبكم هذا أو هو شيء يصيب قوما دون قوم؟ قالوا : هو ليس مختصا بأحد دون أحد ، بل يصيب كل من طال عمره ، قال : ويصيبني أنا مع ما أنا فيه من النعيم وضروب اللذات وبلوغ الشهوات؟ قالوا نعم ويصيبك أنت إن طالت بك الحياة . فقال : أف لعيش يكون آخره هذا .

ثم رجع إلى قصره ، وقد تكدر عليه بعض نعيمه ، وتغصص عليه بعض ما كان فيه . فعالجوه بكل هو وكل باطل ، حتى استخرجوا من قلبه ما كان وقع فيه من أمر الهرم والكبر .

فأقام عاما، ثم أمرهم أن يخرجوه ثانية، فأبوا عليه وخافوا من أبيه. ثم إنه عزم عليهم فأخرجوه، فأول من رأى من الناس شاب به جذام أو غيره من الأدواء. فقال: ماهذا ومم يكون؟ فقالوا هذا فساد في المزاج، وتحريك في الأخلاط فيتولد عنه هذا وغيره. قال أهذا وحده أصابه أم كلكم يخاف أن يصيبه هذا الداء؟ ١٠/ب قالوا: ما عند أحد أمان، كل أحد خائف من هذا الداء ومن غيره، فإن الدنيا دار أمراض وأسقام ورزايا وبلايا.

قال: وأنا أخاف؟ قالوا وأنت، قد أخبرناك أنه ليس لأحد أمان على نفسه، قال: فأصابه من الغم أكثر مما أصابه في المرة الأولى. فرجع ورجعوا، ولم يزالوا يشغلونه بضروب المحاب وأصناف الملاذ حتى أخرجوا من قلبه ما كان وقع فيه أو كادوا.

وأقام كذلك حولا، ثم قال: أخرجوني، فأخرجوه فنظر فإذا برجل ميت يحمل، قال: ماهذا؟ قالوا ميت. قال: وما ميت؟ قالوا رجل مثلنا نزل به قضاء إلهي وحادث سماوي فأطفأ شرارته، وأخذ حرارته، ورده حجرا من الحجارة، وجمادا من الجمادات، فقال: علي به حتى أراه، فجاءوا به، وكشف له عنه.

فقال: كلموه. فقالوا: إنه لا يتكلم.

فقال: أجلسوه. فقالوا: إنه لا يجلس.

فجعل ينظر إليه ويتفكر فيه، ثم قال: وهذا وحده خص بهذا الحادث أو انتم كلكم ينزل بكم مثل ما نزل بهذا؟

قالوا: كلنا فيه سواء، وكلنا ينزل به هذا الحادث. قال: وأنا؟ قالوا:

وأنت، وقد أخبرناك. قال: لا يدفع عني أبي؟ قالوا: ولا يدفع عنك أبوك ولا يدفع عن نفسه. فقال: إن نعيما يصير آخره إلى هذا لجدير أن يتكدر، وإن قلبا يخطر به ذكر هذا لتحقيق أن يتفطر.

قال: وما تصنعون به؟ قالوا: نحفر له حفرة في الأرض، ونرد عليه التراب إلى يوم النشور والعرض. قال: وما النشور والعرض؟ قالوا: هويوم يبعث فيه الأموات، وتظهر فيه المخبات، ويكون... ويكون... قال: ولا بد منه؟ قالوا: لا بد منه. فقال: وهذه أشد.

فعمل الكلام في نفسه عمله ، وأخذ الكلام في قلبه مأخذه فتغير وجهه ، وضعف جسمه ، وشحب لونه ، وأقصر عما كان فيه من تلك الراحة وتلك البطالات .

فأخبر أبوه بخبره ، ووصف له حديثه ، فقال : أو قد فعلها؟ قالوا : نعم . فداراه أبوه بكل شيء ، فلم ينفع فيه شيء ، وهون عليه الأمر فلم يهن ، وسلاه فلم يتسل . فقال له أبوه : لا جرم والله لأدعنك تلحق بإخوتك . فبعث إليه ثيابه من المسوح فلبسها وخرج في جوف الليل ، فتعلق بالجبال ، ولحق بإخوته فتعبد معهم . وكان يقول في مناجاته : اللهم إني أسألك أمرا ليس إليّ قد سبقت به المقادير . لوددت أني كنت الطير في الهواء ، أو السمك في الماء ، ولم أكن شيئا مذكورا مخافة الحساب والعقاب .

واعلم رحمك الله أن كثرة الاشتغال بالدنيا ، وإفراغ المجهود فيها ، والميل بالكلفة إليها ، وحلاوة أحاديثها ، ولذة أمانيتها ، تمنع حرارة ذكر الموت ! أن ترد على القلب وأن تلج (٦٤) فيه ، لأن القلب إذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء آخر فيه مدخل ولا لسواه فيه مجال . ألا ترى أن الإناء إذا ملأته بشيء لم يمكنك أن تدخل عليه شيئا آخر؟ وجهك إذا صرفته إلى موضع صرفته عن موضع آخر . ومتى دام القلب على هذا لم يكن لذكر الموت فيه تأثير ولا لترداده عليه حلاوة (٦٥) ١١/ أ وكيف يؤثر فيه وهو لا يجد مكانا ينزل فيه ، ولا موضعا يتعلق به ، قد ملأه حب الشهوات الفانية ، واللذات المنصرمة ، فهو شبعان ريان حيران سكران ، أصم أعمى . إن عرض عليه طريق هدى لم يره ، أو نودي باجتئاب رديء لم يسمع .

فإذا أراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة ، والانتفاع بالموعظة لم يكن له بد من تفرغه ، ليجد التذكر فيه منزلا ، وتلقى الموعظة فيه محلا قابلا ، فلا يزال يتعاهده ويتفقد بالأذكار والأفكار ، والنظر والاعتبار ، آناء الليل وأطراف النهار ، لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الرين (٦٦) ، ويعود إلى حالته الأولى من

(٦٤) تلج : تدخل .

(٦٥) حلاوة : في زجلاء .

(٦٦) الرين : الطبع والدنس .

الغين (٦٧).

وإن لم يقدر على تفريغه بمرة فرغ منه ما أمكن ، وجعل مكان ما أزاله ضده ، فيجعل مكان الغفلة ذكرا ، ومكان الفرح حزنا ، ومكان الاغتراب ندما ، ومكان السهو تيقظا ، ولا يزال هكذا يزيل شيئا ويجعل مكانه ضده ، ويستعين بجعل هذا على إزالة هذا ، وبإزالة هذا على جعل هذا ، وبالله تعالى يستعان على كل ما يحاول ، وبمته وتيسيره سبحانه يتناول كل ما يتناول ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

وأعلم - رحمك الله - أن مما يعينك على الفكرة في الموت ويفرغك له ، ويكثر اشتغالك به ، تذكُّر من مضى من إخوانك وخلانك وأصحابك وأقرانك الذين مضوا قبلك ، وتقدموا أمامك ، كانوا يحرصون حرصك ، ويسعون سعيك ، ويأملون أملك ، ويعملون في هذه الدنيا عملك ، وقصت المنون أعناقهم ، وقلعت أعراقهم ، وقصمت أصلابهم ، وفجعت فيهم أهليهم وأحباءهم ، فأصبحوا آية للمتوسمين (٦٨) ، وعبرة للمعتبرين .

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جمعاء ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس وعظام وخرق بالية وعذرات ، فقال : يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم ، وتأمل كأملكم ، ثم هي اليوم عظام لا جلد عليها ، ثم هي صائرة رمادا . وهذه العذرات (٦٩) ألوان أطعمتهم ، اكتسبوها من حيث اكتسبوها ، ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها (٧٠) ، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم (٧١) فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد ، فمن كان باكيا على الدنيا فليبك ، قال : فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا .

(٦٧) الغين : لغة في الغيم .

(٦٨) المتوسمين : توسم الرجل الشيء ، تفرسه وتعرفه .

(٦٩) العذرات : جمع عذرة وهي الغائط .

(٧٠) يتحامونها : يبتعدون عنها .

(٧١) الرياش : الفاخر من اللباس والمتاع .

رويت هذا الحديث من طريق أسد بن موسى .

ويتذكر أيضا ما كانوا عليه من حدة الجلباب ، ونضرة الإهاب ، وما كانوا يسحبونه من أردية الشباب ، وأنهم كانوا في ظلال النعيم يتقلبون ، وعلى أسرة السرور يتكثون ، وبما شاءوا من محابهم يتنعمون ، وفي أمانهم يقومون ويقعدون ١١/ب لا يتحدثون بزوال ، ولا يهمون بانتقال ، ولا يخطر الموت لهم ببال .

قد خدعتهم الدنيا بزخرفها ، وخلبتهم برونقها ، وحدثتهم بأحاديثها الكاذبة ، ووعدتهم بمواعيدها المخلفة ، لم تزل تقرب لهم بعيدها ، وترفع لهم مشيدها ، وتلبسهم غضها (٧٢) وجديدها ، حتى إذا تمكنت منهم علائقها ، وتحكمت فيهم رواشقها ، وتكشفت لهم حقائقها ، ورمقتهم (٧٣) من المنية رواقها ، فوثبت عليهم وثبة الحنق ، وأغصتهم غصة الشرق ، وقتلتهم قتلة المختنق .

فكم عليهم من عيون باكية ، ودموع جارية ، وخدود دامية ، وقلوب من الفرح والسرور لفقدتهم خالية .

وأشدوا في هذا المعنى :

يميل على حكم الصبا ويميدُ
خلوبا ألباء (٧٤) الرجال تصيدُ
وللمرء منها قائم حصيدُ
فينقص من أطماعه ويزيدُ
وتفعل تدني الشيء وهو بعيدُ
فراح بها المغررو وهو حصيدُ
وعاد حديثا يـ قضي ويبيدُ
ولا طلعت فيه عليه سعودُ
وتدمي جفون إثره وخدودُ

وريان من ماء الشباب إذا مشى
تعلق من دنياه إذ عرضت له
فأصبح منها في حصيد وقائم
خلا بالأمان واستطاب حديثها
وأدنت له أشياء وهي بعيدة
أتيحت له من جانب الموت رمية
وصار هشيما بعد أن كان يانعا
كأن لم ينل يوما من الدهر لذة
ليبكي عليه زهوه وشبابه

(٧٢) الغض : النضر الطري .

(٧٣) رمقه : أطال النظر اليه .

(٧٤) ألباء : جمع لبيب وهو الرجل العاقل .

تبارك من يُجري على الخلق حكمه فليس لشيء منه عنه محيدٌ
يا الله مصرعهم كم فيهم من مجرر ذيل إعجابه، متطاول على أصحابه،
متعاضم على أقرانه وأترابه، تجمع له الأماني، وترتاح إلى وصله الغواني، إن
بُصر لا يستبصر، وإن أمر لا ياتمر، وإن زُجر لا يكف ولا ينزجر، لا يسمع إلا
داعي الهوى، ولا يستجيب إلا لمن إليه دعا، يلهو ويفرح، ويمزح ويمرح،
ويبيت من دنياه مثل ما كان أصبح. قد أبدأ في أمره وأعاد، وأحكم غيه^(٧٥)
فأجاد، وأشاد من أمله ما أشاد، حتى إذا نال مراده أو كاد، صاحت به المنية
صيحة الغضبان، وصدمة صدمة اللفهان، فهدت أركانه وكسرت أغصانه،
وفرقت أنصاره وأعوانه، فأصبح قد باع النفيس بالدون، وأعطى الثمين
بالمثمون، ومضى يعرض بنانه المغبون، لم يرح بئال، ولا حصل على طائل.
فنعوذ بالله من سوء الأقدار وسوء الاختيار.
وأنشدوا:

جر ذيل التيه ^(٧٦) والغني	وقال من مثلي في الحي
ومر يرتاح إلى وصله	ما شاء من زينب أو مي
لا ينثني عن خوف شيء ولا	يسمع إلا داعي الغني
وبات من دنياه في مثل ما	أصبح من نشر ومن طي
حتى إذا ما نال أو كاد أن	ينال منها جرعة الري
صيح به في سربه ^(٧٧) صيحة	ضعضع منه كل ما شي
وإنفذ الأمر على رغمه	وأنجز الوعد بلا لي
ولم يرح من ذاك إلا بما	راح الذي يقبض في الفبي ^(٧٨)
تبارك الله وسبحانه	ما أقرب الموت من الحي

ويا الله كم هنالك من ملك طويل النجاد رفيع العماد، عظيم الأجناد كثير

(٧٥) الغني: الضلال.

(٧٦) التيه: الاعجاب بالنفس.

(٧٧) السرب: الطريق، البيت.

(٧٨) الفبي: الظل.

الأمداد، قد ملك البلاد وقهر العباد، ووصل من دنياه إلى كثير مما أراد، قعد ونهض، وأبرم ونقض، وجعل أمره المفترض وحكمه الذي لا يرد ولا ينقض، ولما حرق وهدم، وكسر وحطم وزلزل ودمدم، واسترحم فلم يرحم. ومضى على ما شاء من رأيه وصمّم.

بنى المدائن والحصون، وأكثر من ماله المخزون، واستعد لما قد يكون أو لا يكون، حتى إذا استحكمت له الأمور، وأطال الفرح والسرور، وزخرف الدساكر والقصور، وظن أن قد ساعده فيما بقي من أمله المقدور، قلبت له الدنيا ظهر المجن، وكسته من خطبها ما أجنّ، وسقته من كزها ما يسكر به ويجنّ، نظرت بعينها الشوساء^(٧٩) إليه، وقبضت ما كان في يديه، وأتت بنيانه من قواعده فألقته عليه، فأصبح وقد هدم ذلك البنيان، وسقط ذلك الإيوان، وتبددت تلك المقاتلة والفرسان، وتفرقوا شذر^(٨٠) مذر بكل مكان، وأصبح كل ما كان كأنه ما كان، وقيل ملّك في سالف الزمان ملك يقال له فلان بن فلان، لم يحصل مما ملك من البلاد، ولا ما ادخر من المال وأعد من العتاد، إلا على حنوط وكفن، وحفرة ضيقة العطن، يحتبس فيها ويرتهن، بكل ما عمل من قبيح أو حسن. وأنشدوا:

ياباني القصر الكبير	بين الدساكر والقصور
ومجرد الجيش الذي	ملأ البسيطة والصدور
ومدوّخ الأرض التي	أعيت على مر الدهور
أما فزعت فلا تدع	بنيان قبرك في القبور
وانظر إليه تراه كيـ	ف إليك معترضا يشير
واذكر رقادك وسطه	تحت الجنادل والصخور
قد بددت تلك الجيو	ش وغيرت تلك الأمور
واعترضت من لين الحريـ	ر خشونة الحجر الكبير
وتركت مرتهنا به	لا مال ويك ولا عشير

(٧٩) الشوساء: العين التي تنظر بغيط وتكبر.

(٨٠) شذر مذر: أي تفرقوا في كل وجه.

حيران تعلن بالأسى
ودعيت باسمك بعدما
ولأنت أهون فيه من
إن لم يجد بالعفو من
هذا الحق اليقي

لهفان تدعو بالثبور
قد كنت تدعى بالأمير
جعل على تن يدور
يعفون الذنب الكبير
من وكل ذاك هو الغرور

وأنشدوا أيضا :

أباد ذا الدهر أملاكا وما ملكوا
أدار دورته في أرضهم فغدت
رمي بهم حيث لا قيعان تمسكهم
هوت هوي ثقيل الصخر أمهم
غدت رؤوسهم من تحت أرجلهم
يابطشة من حكيم ما بها مهل
جروا إلى اللهو ملأى من أعنتهم
خطوا بدار البلى في منزل حرج
لطال ما نقضوا ملكا وما هدموا
مروا وما بلغوا كل الذي طلبوا
أضحاهم اليوم صرف الدهر إذ هلكوا
وأنشدوا أيضا :

ودار مستعقبا عليهم الفلك
كالراح (٨١) ليس بها لناظر نبك (٨٢)
ولا مرارا بها المرمي يمتسك
فلا حسيس ولا ركز (٨٣) ولا حرك
وزلزلت بهم الأطباق والدرك
وغضبة من عزيز ما لها درك
حتى إذا ما رأوا خيل الردى برکوا
وليتهم ويحهم فيهن لو تركوا
عزا وما هتكوا سترًا وما فتكوا
ولا قضوا وطرا من كل ما تركوا
كما أضلهم بالأمس إذ ملكوا

وجرر في العز أذياله
هزبر (٨٤) يعلل أشباله
وقال فكان الذي قاله

أفاض على الملك سرياله
وصاح فوافاه ما شاء من
وزلزلت الأرض من اجله

(٨١) الراح : جمع راحة وهي الأكف .

(٨٢) النبك : أصول الاشجار، والمراد ان أرضهم اصبحت خرابا .

(٨٣) الركز : الصوت الخفي .

(٨٤) الهزير : الأسد .

ولا بد يوماً له ان يصيح
ولا أحد مستجيب له
وتأتيه في سربه روعة
ويطرح فرداً بدار البلى
فكم قائل منه لا يبعدن
فقل للذي شاد سلطانه
تأهب لتصدع صدع الزجاج
وتحمل مما جمعت الأجاج^(٨٥)
وإن ما نسيت فلا تنسين
هنالك تعلم عقبي الذنوب
ويبدى شجاءه وأحواله
ولا أحد كاشف حاله
تقطع بالموت أوصاله
ويترك فيها وأعماله
وكم قائل فيه أولى له
وطول ماشاء آماله
وتلحق هذا وأمثاله
ونترك للناس سلساله^(٨٦)
ن يوم الحساب وأحواله
وشؤم الخلاف وأنكاله

يابؤس الدنيا، شدا عن ثديها فطمتمهم، ومن سمها أطمتمهم، وببدها
الباطشة لطمتمهم، وفي ظلمات الأرض وغيابات الثرى طرحتهم فقلبت قائم
تلك الأعيان، وطمست تلك الوجوه الحسان، وأعمت تلك الأبصار، وأصمت
تلك الأذان، وأسالت الأحداق على الخدود والوجنات، وغسلت بالصديد
جميل القسمات، وملأت بالتراب اللهازم واللهوات^(٨٧)، وكسرت تلك
الضواحك والرباعيات، وعبثت بجسوم أولئك الفتيان والفتيات.

لطالما أغربوا ضاحكين، وتقلبوا فاكهين، وباتوا على سررهم مطمئين
آمنين، فكم بها من لسان فصيح لطال ما أنشد، وخطب، وأرهب ورغب، ومدح
فأطنب^(٨٨)، وكم بها الآن من فصيح لسان وعظيم بيان أخرسه الحدثان،
وتحكمت فيه الهوام والديدان.

وأنشدوا:

وذي بيان إذا ما قال أو خطباً أتى بسحر يزين القول والخطباً

(٨٥) الأجاج: الماء المالح.

(٨٦) السلسال: الماء العذب.

(٨٧) اللهازم: جمع لهزمة وهي عظم ناق؛ في اللحي تحت الأذن، واللهوات: جمع لهة وهي
اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٨٨) أطنب: أطال.

أتى بسهل من الألفاظ ممتنع
فلو تميع أضحى مشربا سلسا
رمت هذي المنايا وهي صائبه
فأخرسته فما يبدي بضاحكة
وبات مطرحا في قعر موحشة
أعطى يديه لدنياء بما طلبت

وكم هناك من مسعر حرب قد لبس أوزارها، وأضرم نارها وأوصل إلى
القلوب أوراها، وأقام سوقها ورفع غبارها.

كم أغار من غارة شعواء، وفتك من فتكة شنعاء، وأثار من فتنة عمياء،
وصال بجنان، وطعن بسنان، وركض بحصان ولعب بفرسان وفرسان، وقال:
خذها وأنا فلان بن فلان.

ها هو اليوم قد خبل جنانه (٨٩) وتكسر سنامه (٩٠)، وأكبّ به حصانه، لأمه
الويل، وحسرة سوداء مثل الليل.
وأنشدوا:

ومقدام على الأهوال صدق
تبیت لذكره الأبطال سكرى
يرضّ فرائص (٩١) الفرسان رضا
طموح السيف لا يثنيه شيء
أشار الموت من بعد إليه
وكبّ حصانه ونبا شباه
وأنسى أن يقيم لواء روع
وإن أنت أطلت اعتبارك، وأمعت استبصارك فكم بها من عادة قد هضم

لدى الفتكات والأمر الكبير
وتضحى منه ضيقة الصدور
ويحطمهن كالأسد الهصور
جهول بالبشير وبالنذير
فخرّ موسدا إحدى الصخور
وأعلن نادبوه بالشبور (٩٢)
بروعات أتته من القبور
وإن أنت أطلت اعتبارك، وأمعت استبصارك فكم بها من عادة قد هضم

(٨٩) الجنان: بفتح الجيم، القلب.

(٩٠) السنان: الرمح.

(٩١) الفرائص: جمع فريضة وهي اللحمية بين الجنبو الكتف ترتعد عند الفرع.

(٩٢) الشبور: الهلاك.

وشاحها، ونور مصباحها، ومليء فتنة غدوها ورواحها، قد فتكت بذلك الأسد الهصور، واقتنصت ذلك الفارس المذكور.

أدلت إدلأها، وجرت أذيالها، وأرسلت جمالها، فعملت أعمالها، وسلبت الملوك قلوبها وأموالها.

ما كان بأوشك من أن صارت جيفة من الجيف، تبعد وتصرف وتنكر ولا تعرف، أحسن أحوالها أن تلف في سربالها، وتدفع لحملها، فتطرح في شق من الأرض قريب الطول والعرض، مظلم القعر إلى يوم القيامة والحشر. قضاء الله النازل من سمائه، وحكمه في عبيده وإمائه.

وأنشد بعضهم:

عرج على القبر بدار البلى	حيث مُنى نفسي مقبور
حيث هوى بدر الدجى ساقطا	قد زال عن صفحتيه النور
وحيث حلت داعيات الهوى	أجمع مسموع ومنظور
ياظبية بطن الثرى أسكنت	وبيتها في القصر معمور
حقا تمطّيت على رزمة ^(٩٣)	جنبك منها اليوم مكسور
وطال ما بت على سندس ^(٩٤)	بالذهب الإبريز مضافور
وجسمك الناعم حقا به	للرب تشقيق وتفطير
وطال ما أثر من قبل ذا	في لينة هم وتفكير
وثغرك ^(٩٥) العذب وياويلتي	فيه من الديدان جهور
ولو به علّ قتل الهوى	قبل لأضحى وهو منشور
وشعرك الجثل ^(٩٦) وعهدي به	فيه فتيت المسك منشور
قد عششت فيه بنات ^(٩٧) الثرى	ففيه تشعيث وتغيير
ياحسرتا ثمت يا حسرتا	لو كان يغني اليوم تحسير

(٩٣) رزمة: صخرة عظيمة.

(٩٤) سندس: نوع من الحرير.

(٩٥) الثغر: الفم.

(٩٦) الجثل: الكثير الملتف الاسود.

(٩٧) بنات الثرى: الديدان وهولم الأرض.

ياتا التي أعجبها عطفها قبرك في الأقبر محفور
وكلنا ذاك ولكننا كل بهذي الدار مسحور

فأنت إذا تذكرت بهذه الأذكار، وأطلت لها الترداد والتكرار، وأعملت فيها النظر والاعتبار، ورأيت أنك واحد من المذكورين، ملك أو غير ذلك من أصناف الناس، ورأيت خلقك كخلقهم وصفتك كصفتهم، وأنه لا بد أن يصيبك من الموت ما أصابهم، وينزل بك منه ما نزل بهم، وأنت تشاهد بهذه الدار أنواع المصيبات وأجناس البليات، وضروبا من المهلكات، وأن الموت واحد وأسبابه كثيرة.

فمن رجل باشر الكفاح فتخللته الرماح، وتمكنت من رقبتة الصفاح (٩٨) وربما كان هذا أسهلهم مماتا وأكرمهم وفاة.
وثان قد طرح في أيدي أعدائه، وأسلم لبلائه، فقطعوه إربا إربا، وفصلوه عضوا عضوا.

وثالث ردوا مشارع العقاب إليه، وصبوا العذاب عليه وما مات حتى كان الموت أحب عائد إليه، وأكرم قادم يقدم عليه.
ورابع قد أمسى اكلة حوت في ظلمات البحار.
 وخامس فريسة أسد في موحشات القفار.
إلى غير ذلك من الأمراض الصعبة، والآلام الشاقة وما تظنه وما لا تظنه، حتى إن الرجل ليغص بالطعام، ويشرق بالشراب، فيكون في ذلك حتفه، وتذهب فيه نفسه.

كما قال القائل :

وما طريق الموت في ذا الورى واحدة بل حمة (٩٩) لاجبه (١٠٠)
وربما لذ لامريء شربة فانقلبت وهي له شاربه

(٩٨) الصفاح : صفحات السيوف .

(٩٩) حمة : كثيرة .

(١٠٠) لاجبة : شديدة .

وأَسباب الموت أكثر من أن أحصِيها لك، وأَعدها عليك، ولا تدري ما السبب الواصل إليك منها، ولا النصيب الذي قَسَم لك من جملتها، وإنك لا تدري متى يهجم عليك الموت فيقصمك، ولا متى ينزل بك فيحطمك، ولعله لا يمهلك حتى ينقضي نَفْسُكَ.

فأنت إذا واطبت على هذا تمكّن ذكر الموت من قلبك، وملكْتَ القيادَةَ من نَفْسِكَ، ونظرت بعون الله عز وجل في أمرِكَ، ومهدت المضجع من قبرِكَ، وأعددت به الأنيس ليوم حَشْرِكَ.

وإلا فقد نبه من حذر، وأعذر من أنذر، ولا لوم إلا على المقصر، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولعلك تقول: يا هذا قد أرعدت في ذكر الموت وأبرقت، وطولت فيه وعرضت، وعرضت في كلامك بمن عرضت، وأمرت بالتفكير فيه والاشتغال بذكره، وجمع الهمم له، وتقصير الأمل والخوف من انقضاء الأجل.

وأي فائدة في ذكر الموت وأنواعه، وضيق العمر واتساعه، وهذا أمر قد فرغ منه وأعجزت الحيلة فيه؟

وكما تقول لي لا تكثُر الاشتغال بأمر الرزق، ولا تغتم له ولا تتفكر فيه فإنه مقدر مفروغ منه، وما ترزق يأتيك، فكذلك الموت أيضا وأسبابه، والعمر ومدته، وكل ذلك أمر مقدر مفروغ منه، ما قدر علي يصيبي، وما كتب عليّ يأتيني.

فأقول نعم كلاهما قد سبق في الأزل، وكتب في القسم الأول، والسبب الذي كتب عليك في الموت لن تتعده ١٤/ أ والعمر الذي قسم لك لن تتخطاه. ولكن بين الأمرين في الاشتغال بهما فرقان: وذلك أن الرزق المقدر المفروغ منه لا يزيد فيه حرصك، وكذا لا ينقص منه كسلك وعجزك، وإن كانت له أسباب، ولطلبه أبواب، فقد تتعلق بأسبابه، وتأتيه في الظاهر من أبوابه، فتكون أحد المحرومين والمجاهدين والمجدودين (١٠١)، فهذا أمر قد شوه بالعيان وعلم به كل إنسان، فلا يفيدك الطلب إلا العناء والتعب.

(١٠١) المحدودين: المحظوظين.

ولست بمأجور في ألم الحرص ، ولا فيما تتحمل من مشقة الطلب لاكثر مما تحتاج إليه ، وربها تبرمت في الحال ولم تنظر في المآل وسخطت قضاء الله وقدره عليك ، وحكمه فيك ، وإرادته لك من أفعال الخير وأعمال البر (١٠٢) ، وفي هذا مافيه .

وقد تؤجر فيما يصيبك من ألم المشقة في طلب أكثر مما تحتاج إليه إذا كان لك فيه نية صالحة من صدقة أو صلة رحم ، أو غير ذلك من أفعال الخير وأعمال البر .

وأما إن كان سعيك ذلك للتكاثر والتفاخر ومحبة في المال فلا ، والحول والقوة لله وحده .

وأما ذكر الموت والتفكير فيه فإنه وإن كان أمراً مقدراً مفروغاً منه ، فإنه يكسبك بتوفيق الله سبحانه التجافي عن دار الغرور ، والإنابة (١٠٣) إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت والنظر فيما تقدم عليه ، وفيما يصير أمرك إليه ، ويهون عليك مصائب الدنيا ، ويصغر عندك نوائبها ، فإن كان سبب موتك سهلاً وأمره قريباً هيناً فهو ذاك ، وإن كانت الأخرى كنت مأجوراً فيما تقاسيه ، مثاباً على ما تتحملة .

واعلم أن ذكر الموت وغيره من الأذكار إنما يكون بالقلب وإقبالك على ما تذكره ، وإي فائدة لك - رحمك الله - في تحريك لسانك إذا لم يخطر بجنانك (١٠٤) ؟

وإنما مثل ذلك مثل من يكون في بعض أعضائه جراحة ، فيريد أن يداوئها فيجعل الدواء على عضو آخر صحيح ، ويدع العضو المريض ليس عليه شيء فانظر كيف يستريح هذا بهذا التداعي؟ ومتى يستريح؟ إلا أن يأتيه البرء من بآرئته ، والشفاء من خالقه سبحانه وتعالى .

أو مثل من يريد أن يوقظ نائماً فيدعه في غمرة نومه ، ويوقظ غيره ، فانظر كيف يستيقظ له ذلك الذي أراد إيقاظه بإيقاظ هذا الآخر ، أو متى يستيقظ؟!

(١٠٢) من أفعال الخير وأعمال البر: هذه العبارة سقطت من ز .

(١٠٣) الآتية: الرجوع .

(١٠٤) يخطر: في ز تحضر . والجنان: القلب .

وإنما سنة الله تعالى الجارية أن يقصد العضو المريض بدوائه، والنائم بما يوقظ به، اللهم إلا أن يكون في إيقاظ هذا النائم حركة عظيمة، ومعالجة كثيرة تتعدى إلى ذلك النائم الآخر فيستيقظ، فيكون إذن كأنه قصده بالإيقاظ مع صاحبه، وإما إن كانت حركته لا تتعداه فإن النائم الآخر يبقى بحاله، وفي غمرات نومه حتى يوقظه الذي أنامه، ويحركه الذي أسكنه تبارك وتعالى.

وإنما مثل الذكر الذي يعقب التنبيه، ويكون له معه البرء من السقم، والإيقاظ من النوم، أن تحضر المذكور قلبك، وتجمع له ذهنك وتجعله نصب عينيك، ومثالا حاضرا بين يديك، وأن تنظر إلى كل ما تحبه من الدنيا من ولد أو أهل أو جاه أو غير ذلك، فتعلم أنه لا بد لك من مفارقتها ١٤/ب، إما في الحياة أو في الممات، سنة الله الجارية، وحكمه المطرد.

وتشعر هذا قلبك، وتفرغ له نفسك، فتمنعها بذلك عن الميل إلى ذلك المحبوب، والتعلق به، والهلكة بسببه.

كما قيل: يا ابن آدم لا تعلق قلبك بما يأخذه منك الفوت أو يأخذ! أنت عنه الموت.

ونظر رجل إلى بُني له صغير يمشي بين يديه، فأعجبه حسنه، وأهله حركته، فقال: يا بُني لولا الموت لعلقت قلبي بك ولأكثرت من حبي لك.

ونظر ابن مطيع يوما إلى داره، فأعجبه حسنهما، فبكى ثم قال: والله لولا الموت لكنت بك مسرورا، ولولا ما أصير إليه من ضيق القبر لقرت عيني بك، ثم بكى حتى ارتفع بكاءه وعلا نحيبه.

واعلم أن طول الأمل داء عضال، ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، واشتد علاجه، ولم يفارقه داء، ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء، ويش من برئه الحكماء والعلماء.

وقد روى في طول الأمل وذمه، وفي التحريض على العمل والترغيب فيه ما في بعضه الكفاية، وما بأقل منه يوصل إلى المقصود، بعون الله تعالى.

قال، الله تعالى: ﴿ذُرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يزال قلب الشيخ شابا في اثنتين: حب الدنيا وطول الأمل» (١٠٦). ذكره البخاري ومسلم وغيرهما.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا وقال: هذا الأجل، وخط في وسطه خطا، وقال هذا الإنسان، وخط في عرضه - يعني في جانبه - خطوطا فقال: هذه الأعراض، وخط خطا خارجا وقال: هذا الأمل، قال: فالأعراض تنهشه وعينه إلى الأمل (١٠٧)».


يريد عليه الصلاة والسلام أن الإنسان قد أحاط به أجله، وأنه دائره، فحيثما توجه لقيه، وأن فتن الدنيا ومحنها تعترضه وتنهشه، وتلقاه وتستقبله، وهو مع ذلك بعيد الأمل، مصروف النظر إليه.

ويروى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ عودا فغرز بين يديه وغرز عودا آخر إلى جنبه قريبا منه، ثم أخذ عودا ثالثا فغرز بعيدا منه، ثم قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم.

فقال: هذا الانسان، وأشار إلى العود الذي بين يديه، وهذا الأجل، وأشار إلى العود الذي إلى جنبه، ثم قال: وذلك الأمل وأشار إلى العود الثالث البعيد. فالإنسان يتعاطى الأمل ويختلج به قبل ذلك الأجل (١٠٨).

ويروى أن النبي ﷺ اطلع ذات يوم على الناس فقال: ألا تستحيون من الله؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: تجمعون مالا تأكلون، وتأملون مالا تدركون. (١٠٩)

(١٠٦) البخاري ٢٠٥/١١ في الرقاق. ومسلم رقم ١٠٤٦ في الزكاة. والترمذي رقم ٢٣٣٩ في الزكاة. وابن ماجه رقم ٤٢٣٣ في الزهد. وهو في جامع الأصول بلفظ: قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: حب العيش او قال: طول الحياة وحب المال.

(١٠٧) رواه البخاري ١١/١٤ و١٢ في الرقاق. والترمذي رقم ٢٤٥٦ في الزهد. ورسمه ابن حجر في فتح الباري ١١/١٨٧ هكذا:  انظر جامع الأصول ١/٣٩٠.

(١٠٨) أخرجه احمد وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري. واسناده حسن. تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ٤/٤٦٣.

(١٠٩) أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي في الشعب بإسناد ضعيف. (تخريج أحاديث =

وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر، فسمعت رسول الله ﷺ ١٥ / أ يقول : ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر؟ إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيني إلا ظننت أن شفيَّ لا يلتقيان حتى تقبض روحي، ولا طعمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت، ثم قال : يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، فوالذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين . (١١٠) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان رسول الله ﷺ يهريق الماء فيتيمم بالتراب، فأقول : يارسول الله إن الماء منك قريب، فيقول : ما يدريني لعل لا أبلغه (١١١) . ذكره الحارث بن أبي أسامة في مسنده .
وروى عنه عليه السلام أنه قال : نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل . (١١٢)

ومن كلام بعضهم : (١١٣) أيها الجاري في أمله، رويدك فإن الزمان يقتل قيدك، وربما صرعتك قبل أن تنال ما به خدعتك، وقتلك قبل أن تستوفي أملك، فأوردك منهل رداك، وأشمت بك عداك وأخذك بما كسبت يداك، وربما أدركت ما طلبت واستوفيت ما أملت، فأخذك أخذة أسف قبل فلَّ عرشك وهدم حوضك، وأطبق ساءك وزلزل أرضك، ورمى بك حيث لا يرعى لك ذمة، ولا تدرك رمة، ولا تنكشف عنك كربة، ولا تنجلي عنك غمة .
وأنشدوا :

أمل من دنياه ما أملا وقال ما قال لأن يفعل
وصال في هذا الورى ضولة بز بها الآخر والأولا
وطبق الأرض بفرسانه وهذ منها شعفات الفلا

= الاحياء للعراقي ٤ / ٤٥٣ .

(١١٠) أخرجه ابن ابي الدنيا والطبراني وابونعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب بسند ضعيف .

(١١١) أخرجه ابن المبارك وابن أبي الغنيا والبزار بسند ضعيف .

(١١٢) أخرجه احمد وابن أبي الدنيا .

(١١٣) من هنا الى قوله : لا ولا انفردت به نسخة ل .

وقال هذي ثمرات المنى فليجنها الأفضل والأفضلا
فمن حريم فض ختامه ومن مليك في الثرى جندلا
حتى إذا بات على عرشه مستوفيا كل الذي أملا
صاح به صرف الردى صيحة ألقى بأعلى عرشه أسفلا
ودك في الأرض ببايوانه وزلزلت أرجاء ذاك الملا
ومر لا ينعش من عثرة إلا إلى ثمت إلا إلى
فلا سقت مصرعه مزنة ولا انجلت كربته لا ولا

وخطب علي رضي الله عنه فقال : ألا وإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ،
وان الآخرة قد أقبلت وآذنت باطلاع ، ألا وإن المضمار اليوم ، والسباق غدا ، ألا
وإن السبقة الجنة ، والغاية الموت ، ألا وإنكم في أيام مهل ، ومن ورائه أجل يحثه
عجل ، فمن عمل في أيام مهله قبل حضور أجله نفعه عمله ، ولم يضره أمله ،
ومن لم يعمل في أيام مهله قبل حضور أجله ضره أمله ، وساء عمله .

وقال علي رضي الله عنه : ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة
قد أشرفت مقبلة ، وإن لكل واحدة منهما بنين ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا
من أبناء الدنيا . ألا وإن اليوم عمل بلا حساب ، وغدا حساب بلا عمل ، ألا
وإن من أشد ما أخاف عليكم خصلتين : طول الأمل ، واتباع الهوى . أما طول
الأمل فإنه ينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فإنه يصد عن سبيل الله .

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : ثلاث أعجبني حتى أضحكنتي ،
وثلاث أحزنتني حتى أبكتني ، أما الثلاث الأول : فمؤمل دنيا والموت يطلبه ،
وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط عليه رب
العالمين أم راضٍ عنه .

أما الثلاث التي أحزنتني حتى أبكتني ففراق محمد ﷺ ، وفراق الأحبة
أصحابه ، والوقوف بين يدي الله تعالى ولا أدري أيؤمر بي إلى الجنة أم إلى
النار؟

وقال أبو بكر زكريا التيمي : بينا هشام بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ
أتى بحجر مكتوب فيه باللسان العجمي ، فطلب من يقرؤه له فأتى بوهب بن

منبه رحمه الله ، فقرأه ، فإذا فيه : يا ابن آدم لورأيت قرب ما بقي من أجلك
لزهدت في طول أملك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ، ولقصرت من حرصك
وحيلك ، وإنما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك
وحشمك (١١٤) ، ففارقك الولد والقريب ، ورفضك الوالد والنسيب .
فلا أنت لدنياك عائد ، ولا في حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم
الحسرة والندامة .

١٥/ ب وقال الحسن البصري رحمه الله : كان آدم عليه السلام قبل أن
يخطيء الخطيئة أمله خلف ظهره ، والموت نصب عينيه ، فلما أصاب الخطيئة
تحول أمله فصار بين عينيه ، وصار أجله خلف ظهره .
وقال الحسن : ما أطال عبد الأمل إلا نسي العمل .
ويروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قام على درج مسجد دمشق ،
فقال : يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح . إن من كان قبلكم كانوا
يجمعون كثيرا ، ويننون مشيدا ، ويأملون بعيدا ، فأصبح جمعهم بورا (١١٥) ،
وبنيانهم قبورا ، وأملهم غرورا ، هذه عاد قد ملأت البلاد أهلا ومالا وخيلاً
ورجالا ، فمن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين ؟
وقيل لبعض الزهاد بالبصرة : ألك حاجة ببغداد؟ فقال : ما أحب أن
أبسط أجلي حتى تمضي إلى بغداد وتجيء .
وأنشدوا :

يا ذا المؤمل آمالا وإن بعدت	عنه ويزعم أن يحظى بأقصاها
أنى تفوز بما ترجوه ويك وما	أصبحت في ثقة من نيل أدناها
وأنشدوا أيضا :	
ما الأمر أمرك في حل ولا ظعن	تجول في جلد جذلان ومنفسح
ردت أوائلها بالموت فانقبضت	والموت يقبض ذا الأحزان والفرح

(١١٤) حشمك : الحشم : من يغضب للرجل من أهل وعبيد أو جيرة .
(١١٥) بورا : البور ، الهلاك .

ويادر الأمر ما أصبحت في مهل من المشيب ومن مذاك في فسح
فربما سكنت في الحال عاصفة وعاد غور مياه القوم للنضح

وقال بعض الحكماء: الأمل كالسراب، غرّ من رآه، وخيب من رجاه .
وخطب عمر بن عبدالعزيز يوماً فقال: ألا إن لكل سفرزادا، فتزودوا
التقوى لسفركم من الدنيا إلى الآخرة، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه
وعقابه، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسد قلوبكم وتتقادوا لعدوكم، وإنه والله ما
بسط الأمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه .
وبين ذلك خطفات المنايا وهجمات المنون، وإنما تفرعين من وثق بالنجاة
من عذاب الله تعالى، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة .
وأما من لا يداوي جرحاً إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح؟
أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي وتظهر غباوتي . إنكم
قد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لا نكدت (١١٦) أو الجبال لذابت، أو الأرض
لتشقت .

أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزل، وأنكم صائرون إلى
أحدهما .

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بينما نحن نصلح خُصّاً لنا إذ مر
بنا رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا؟ فقلنا يارسول الله قد وهى فنحن نصلحه .
فقال ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك» ذكره الترمذي (١١٧) .

والخص بيت من قصب، يريد عليه السلام تعجيل الأمر وتقريبه وخوف
بغته، والحذر من فجأته .

وقيل للحسن البصري رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك؟
فقال: الأمر أعجل من ذلك . وكان الحسن رحمه الله تعالى قصير الأمل طويل

(١١٦) انكدت: تناثرت .

(١١٧) الترمذي رقم ٢٣٣٦ في الزهد، وأبو داود رقم ٥٢٣٥ و٥٢٣٦ في الأدب، وابن ماجه رقم
٤١٦٠ في الزهد . جامع الأصول ١/٦١٥ .

الخوف، وكان يأتي عليه الأحيان يظن الظان أن الموت قد نزل به، وأنه في سياقه من كثرة تفكره فيه وتخيله له.

وقال داود الطائي رحمه الله تعالى: لو أملت أن أعيش شهرا لرأيت أني قد أتيت عظيما، وكيف أمل ذلك وأنا أرى الفجائع تنزل بالخلائق آناء الليل والنهار.

وقيل للربيع بن خيثم رحمه الله تعالى: كيف أصبحت؟ فقال: كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدري أنه يمسي، وإذا أمسى لا يدري أنه يصبح؟
امتثل الربيع رحمه الله الحديث ١٦/أ المروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب. رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي^(١١٨) وقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور، فإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن غداك لفقرك، ومن صحتك لسقمك، فإنك لا تدري يا عبدالله ما اسمك غدا.

وقوله: إذا أصبحت.. الكلام إلى آخره.. أكثر ما يروى من قول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.
ذكر الحديث الترمذي وغيره. (١١٩)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله ﷺ بمثل كتاب كتبه إليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهو: أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليديره، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا، ولا بما فاتك منها ترحا، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل فكأن قد نزل بك الأجل، والسلام.

وقال بعض الحكماء [في موعظة له: كلنا نتيقن الموت وما نرى له منا

(١١٨) المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد. وهما منكبان.

(١١٩) رواه البخاري ١٩٩/١١ في الرقاق. والترمذي رقم ٢٣٣٤ في الزهد. جامع الأصول ٣٩٢/١.

مستعدا، وكلنا نتيقن الجنة وما نرى لها منا عاملا، وكلنا نتيقن النار وما نرى لها منا خائفا، فعلام تعرجون^(١٢١)؟ وما عسى تنتظرون؟ وماذا ترجون أو ماذا تأملون؟ الموت أول قادم يقدم عليكم بخير أو شر، فيا إخوتنا سيروا سيرا جميلا^(١٢٠)].

وقال آخر: العاقل يعتمد على عمله، والجاهل يعتمد على أمله.
وقال آخر: بطول الأمل تقسو القلوب، وبإخلاص النية تقل الذنوب.
ويروى عن شقيق البخعي أنه جاء إلى استاذ له يقال له أبوهشام وفي طرف كسائه شيء مصرور، فضرب عليه الباب، فخرج إليه، فرأى ما في كسائه، فقال له: ما هذا الذي في كسائك؟ فقال: يا أستاذ دفع إليّ أخ لي لوزيات^(١٢٢)، وقال: أحب أن تفرط عليها، فقال له: يا شقيق وأنت تحدث نفسك أن تعيش إلى الليل؟
لا أكلمك. ثم أغلق الباب في وجهه ودخل.

ويروى عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أكلكم يجب أن يدخل الجنة؟ قالوا نعم يا رسول الله. قال: فقصروا آمالكم، وثبتوا آجالكم بين أبصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء.
وقال بعضهم: رأيت زرارة بن أبي أوفى في المنام بعد موته، فقلت له: أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل.
وقال بعضهم في موعظة له: أيها الناس حسنوا أعمالكم، وقصروا آمالكم واعلموا أن الموت معقود بنواصيكم، وأن الدنيا تطوى من ورائكم. وأنشدوا:

عقد الموت منكم بالنواصي	ودفعت منه لهول القصاص
ففراراً ولات حين فرار	ومناصا ولات حين مناص
قد طوتكم صروف هذي الليالي	عن كمال فعدتم لانتقاص

(١٢٠) ما بين المربعين سقط من ش وز.

(١٢١) تعرجون: تميلون وتتركون.

(١٢٢) لوزيات: تصغير لوزات واحدة اللوز.

أحكمت أسركم وما من أسير
كم ركضتم وراءها من جياذ
وانتضيتم لحربها من نصالٍ
ونزلتم مساربا وغياضا
وإلى ذا فما وجدتم نجاة
رحتم مشخنين جرحا وقتلا
فاطلبوها بما لكم من قصاص
فذروها ذميمة دار دنيا
وإذا امتدت الاماني فيها
فاقطعوا ذكرها بذكر مقام
وان ارتاع من حديث فؤادي
وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل وليس أكل الخشن ولبس
العباءة، وصدق الثوري رحمه الله : فإن من قصر أمله لم يتأنق في المأكولات
والمطعمومات، ولا يتفنن بالملبوسات، وأخذ من الدنيا ما تيسر، واجتزأ منها بما
يبلغه .

وفي بعض الخطب: أيها الناس إن سهام الموت قد فوقت (١٢٣) إليكم
فانظروها، ١٦/ب وحباله الأمل قد نصبت بين أيديكم فاحذروها، وفتن الدنيا
قد أحاطت بكم من كل جانب فاتقوها ولا تغتروا بما أنتم فيه من حسن الحال
فإنه إلى زوال، ومقيمه إلى ارتحال، ومتمده إلى تقلص واضمحلال. (١٢٤)

أما تسمعون أيها الناس لما به توعظون؟ أما تعتبرون بما إليه تنظرون؟ أما
تفكرون فيما عنه تزولون وفيما إليه ترجعون وعليه تقدمون؟ أين من تقدمكم
وكان قبلكم ممن أمّل أملككم وسعى سعيكم، وعمل عملكم؟ أين الذين بنوا
المدائن وملأوا الخزائن واستعدوا لما هو عندهم كائن؟ أين الذين غرسوا في روضة
الملك ونظموا الآمال في سلك؟ وهتكوا حجبها أيما (١٢٥) هتك؟ وكانوا في ظاهر

(١٢٣) فوقت: صوّت.

(١٢٤) اضمحلال: تلاشي وانحلال.

(١٢٥) أيها هتك: أي هتكاً شديداً.

أعمالهم في ريب من الزمان وفي شك؟

انظروا إليهم كيف نضبت لهم تلك المياه، وذبلت منهم تلك الشفاه،
وتكسرت عند سقوطهم تلك الوجنات وتثلمت تلك الجباه، وتغيرت الأحوال،
وانكملت الآمال، وبقيت شاهدة عليهم تلك الرسوم والأطلال (١٢٦).
وأنشدوا:

وما بها لليب ترفع العرشُ	رفعت عرشك في الدنيا وتنت به
ولو عقلت لما لانت لك الفرشُ	وبت فيها على فرش ملىنة
وللمواريث ما تسعى وتفرشُ	وظلت تسعى لآمال وتفرشها
بالحرص تلدغ جنباه وتنتهشُ	كم كان قبلك من مأسور رغبته
يضم هذا إلى هذا ويحتوشُ	يمسي ويصبح في حل وفي ظعن
ألقى على صدره (١٢٧) لسانه العطشُ	عطشان للمال محماة جوانحه
وطاف من حوله أهله واحتوشوا	حتى إذا قيل قد تمت مطالبه
خسنا لا دهش فيها ولا رعش	مدت إليه يد للموت باطشة
وأجهشته ولما يدرما الجهشُ	فقصعته (١٢٨) وقدا كان ذا جيد
وقد تغطوا بذاك المال وافترشوا	فبات مستلبا وبات وارثه
شم الأنوف بروض الملك قد عرشوا	أما سمعت بأمالك مضوا قدما
أو غلبوا غلبوا أو بوطشوا بطشوا	إن دوفعوا دفعوا أو زوحوا زحوا
كتائب للمنايا كلها حبش	جاءتهم وجنود الله غالبه
منارهم بظلام ما به غبش	فضعضعت جنبات عزهم ورمت
وطال ما رفعوا الآجام واعترشوا	لطال ما أكلوا وطال ما شربوا
ولا حسيس ولا ركز ولا وقش (١٢٩)	مروا فلا أثر منهم بدارهم
فأصبحوا قبضوا الآمال وانكمشوا	قد كان للقوم آمال مبسطة

(١٢٦) الأطلال: جمع طلل وهو ما بقي من البناء بعد زواله

(١٢٧) على صدره: في زعلى ظهره وهو غير مقعول.

(١٢٨) قصعته: طحنه. والجيد: طول العنق. أجهشته: أعجلته، جعلته يبيكي.

(١٢٩) وقش: حركة.

ويروى أن أمير المؤمنين المهدي رحمه الله تعالى نام ليلة، ونساؤه حوله، فانتبهن لبكائه، فقلن له: ما شأنك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما رأيتم الشيخ؟ قلن: لا والله ما رأينا أحدا، فقال: دخل عليّ شيخ وأنا بين النائم واليقظان، والله لو كان بين ألف رجل لعرفته، فأنشدني:

كأنّي بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه ركنه ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة ومملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه ينادي بويل معولات حلائله
فقلن له: أضغاث أحلام، خيرا رأيت، فوالله ما أتت عليه سابعة حتى مات. (١٣٠)

واعلم أن الناس في قصر الأمل وطوله مختلفون، وفي درجاته متفاوتون، فمنهم من يؤمل أن يعيش أقصى ما يعيشه إنسان ممن شاهد أو سمع به في زمانه، ولو كان الاختيار إليه لما مات أبدا، حبا منه للدنيا وكلفا بها، وتلذذا بالبقاء فيها، وهيهات ليس للإنسان ما تمنى، ولا أن يدرك كل ما فيه تعنى، وغاية هذا أن يتمنى طول العمر، ويود أن لويبقى الأحقاب الكثيرة من الدهر. قال الله تعالى في قوم كانوا كذلك: ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ (١٣١).

ويمكن أن يكون ١٧ / أهؤلاء تمنوا طول البقاء، لأنهم كانوا لم يتحقق في الآخرة لهم رجاء، لكفرهم بمحمد ﷺ، وتكذيبهم له مع صحة نبوته عندهم، لكن حملهم بغيهم وحسد لهم على الكفر به والإنكار لدعوته، وكانوا يقولون إنهم يدخلون النار ثم يخرجون منها فيتمنون لذلك طول العمر.

وهذه الآية نزلت في اليهود، ومنهم من يؤمل أن يعيش ستين سنة وسبعين سنة وأكثر من ذلك، ومنهم من يؤمل أن يعيش فوق ذلك ودون ذلك، حتى إن منهم من لا يجاوز أمله يومه وربما كان أمله أقصر من ذلك، بل منهم من يكون الموت نصب عينيه يتوقعه مع الأنفاس أن يثب عليه.

(١٣٠) هذه الحكاية عن المهدي انفردت بها نسخة ل.

(١٣١) آية ٩٦ البقرة.

يذكر عن الأسود الحبشي أنه كان يلتفت يمينا وشمالا ، فقليل له ما هذا
الالتفات ؟ قال : انظر ملك الموت من أين يأتيني .
وأنشد بعضهم من كلمة :

والبس لهذا الموت جبة خائف قد ضاق عنه مسلك ومقام (١٣٢)
لا نأمنن عليك من إقدامه فله على هذا الورى إقدام
واكحل جفونك بالرقاد لأجله فالسهد حلّ والمنام حرام
إلا غرارا كالغذاء تناله لولا الضرورة ما وجدت تنام
ومن العجائب أن تراه نائما من طالبوه ساهرون ينام
وكان بعض الصالحين يقول : ما أحسبني إلا رجلا قد أقعد ليقتل ، وجرّد
السيف عليه ومدت عنقه ، فهو ينتظر أن يضرب ، فيلقى رأسه بين يديه ، فشتان
ما بين الرجلين .

وآخر قد مد في عمره ، وطول في أمله ، فازداد في كسله ، ودخل
الوهن (١٣٣) في عمله .

ورجل آخر قد جعل التقوى بضاعته ، والعبادة صناعته ، ولم يتجاوز بأمله
ساعته ، بل جعل الموت نصب عينيه ، ومثالا قائما بين يديه ، وسيفا مصلتا
عليه ، فهو مرتقب له ، مستعد لنزوله ، لا يشغله عن ارتقابه شاغل ، ولا يصرفه
عن الاستعداد له صارف ، قد ملأ قلبه وجلا ، وعمره عملا ، وعد يوما واحدا
يعيشه بقاء ومهلا ، وغنيمة تملأ نفسه سرورا وجذلا ، لازدياده فيه من الخير ،
وادخاره فيه من الأجر ، واكتسابه عند الله عز وجل من جميل الذكر .
ومثل هذا قد رفع التوفيق عليه لواءه ، وألبسه رداءه ، وأعطاه جماله ،
ومباهه .

فانظر رحمك الله تعالى أي الرجلين تريد أن تكون ، وأي العاملين تريد
أن تعمل ، وبأي الرءاين تريد أن تشتمل ، وبأيهما تريد أن تتزين وتتجمل ،
فلست تلبس هناك إلا ما لبسته هنا ، ولا تحشر هناك إلا فيما كنت فيه هنا ، إن

(١٣٢) انفردت بهذه الأبيات نسخة ل .

(١٣٣) الوهن : الضعف .

صلاح فصلاح، وإن فجور ففجور.

ولعل هذا هو تأويل الخبر المروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يبعث الميت في ثيابه التي مات فيها» (١٣٤) لأنه قد صح أن الناس يبعثون حفاة عراة. وهذا الخبر ذكره أبو داود في السنن.

وأنشدوا:

قد طواك الزمان شيئاً فشيئاً وبرتك الخطوب جزءاً فجزءاً (١٣٥)
ورمت منك حادثات الليالي حبة القلب فأذن بعد أو أنأى
كان ما كان وانقضت مدة العم ر وولى الشباب خبراً ومرأى
وقديماً قد أعلمتك الليالي أن أدواءها تفوتك براء
فادرك منها فائتاً بمتاب بل بإيمان أنشئ اليوم نشأ
واتخذ للهيام ويحك رياءً واتخذ للسهم ويلك فيئاً
وإذا ما خرقت بالدين خرقة فارفينه بالإنباء رفا
وإذا ما وردت مورد دنيا فليكن ما وردت من ذاك ظمأ
ولتدعها تحيلاً وأمانى ألبيت قلبك المغفل صدأ
وإذا ما الحيام جاءك يوماً لم تجد من جميع ذلك شيئاً
واعلم أن طول الأمل حجاب على قلبك يمنعك من رؤية الموت
ومشاهدته، ووقر (١٣٦) في أذنيك يمنعك من سماع وجبته (١٣٧) ودوي وقعته،
وبقدر ما يرفع لك من الحجاب ترى، وبقدر ما يخفف عن أذنيك من الوقر
تسمع.

فانظر رحمك الله نظر من رفع الحجاب وفتح بابه، واستمع سماع من أزيل
وقره، وخوطب سره، وبادر قبل أن يبادرك، وينزل عليك وينفذ حكم الله
فيك، فتطوى صحيفة عملك، ويختتم على ما في يديك، ويقال لك: اجن ما

(١٣٤) أبو داود رقم ٣١١٤ في الجنايز. وإسناده صحيح. جامع الأصول ١١/١١٥.

(١٣٥) هذه الأبيات انفردت بها نسخة ل.

(١٣٦) الوقر: ثقل السمع.

(١٣٧) الوجبة: السقطة.

غرست ، واحصد ما زرعت ، واقرأ كتابك الذي كتبت ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، وبربك تبارك وتعالى شهيدا ورقيبا .

قال مالك بن دينار رحمه الله : رأيت ١٧/ ب في البادية في يوم شديد البرد شابا عليه ثوبان خلقتان ، وعليه آثار الدعاء ، وأنوار الاجابة ، فعرفته ، وكنت قبل ذلك عهدته في البصرة ذا ثروة وحسن حال ، وكان ذا مال وآمال .

قال فبكيت لما رأيته على تلك الحال ، فلما رأي بكى وبدأني بالسلام وقال لي : يا مالك بن دينار ، ما تقول في عبد أبق من مولاه ؟ فبكيت لقوله بكاء شديدا ، وقلت له : وهل يستطيع المسكين ذلك ؟ البلاد بلاد ، والعباد عباده ، فأين يهرب المسكين ؟ فقال : يا مالك سمعت قارئا يقرأ ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ (١٣٨) فأحسست في الحال بنار وقعت بين ضلوعي فلا تحمد ولا تهتأ من ذلك اليوم يا مالك أتراني أرحم وتطفأ هذه الجمرة من قلبي .

فقلت له : أحسن الظن بمولاك فإنه غفور رحيم .

ثم قلت له : إلى أين ؟ قال إلى مكة شرفها الله تعالى لعلني أن أكون ممن إذا التجأ إلى الحرم استحق مراعاة الذمم .

قال مالك : ففارقني ومضى ، فتعجبت من وقوع الموعظة منه موقعها ، وما تأجج بين جنبيه من نار التيقظ والإنابة ، وما حصل عليه من صدق القبول وحسن الاستماع . واعلم أن الأمل يكسل عن العمل ، ويورث التراخي والتواني ويعقب التشاغل والتعاس (١٣٩) ، ويخلد إلى الأرض ويُميل إلى الهوى وهذا أمر قد شوهد بالعيان ، فلا يحتاج إلى بيان ، ولا يطلب صاحبه ببرهان .

كما أن قصره يبعث على العمل ، ويحمل على المبادرة ، ويحث على المسابقة ، وسأضرب لك في ذلك مثلا ، مثل ملك من الملوك كتب إلى رجل يقول له : افعل كذا وكذا ، وانظر في كذا وكذا ، وأصلح كذا وكذا ، وانتظر رسولي فلانا فإني سأبعثه إليك ليأتيني بك ، وإياك ثم إياك أن يأتيك إلا وقد فرغت من أشغالك ، وتخلصت من أعمالك ، ونظرت في زادك ، وأخذت ما تحتاج

(١٣٨) آية ١٨ سورة الحاقة .

(١٣٩) التعاس : التأخر .

إليه في سفرك ، وإلا أحللت بك عقابي ، وأنزلت عليك سخطي ، وأمرته أن يأتيني بك مغلوله يداك مقيدة رجلاك مشمتا بك عداك ، مسحوبا على وجهك إلى دار خزبي وهواني وما أعددت له لمن عصاني .

وإن هو وجدك قد فرغت من أعمالك ، وقضيت جميع أشغالك أتى بك مكرما مرفعا مرفها إلى دار رضواني وكرامتي ، وما أعددت له لمن امتثل أمري وعمل بطاعتي .

واحذر أن يخذعك فلان أو فلانة عن امتثال أمري ، والاشتغال بعلمي .
وكتب إلى رجل آخر بمثل ذلك الكتاب .

فأما الرجل الأول فقال : هذا كتاب الملك جاء يأمرني فيه بكذا وكذا ، وذكر لي أن رسوله يأتيني ليحملني إليه ، وأنا لا أمضي إليه حتى يأتيني رسوله ، ولعل رسوله لا يأتيني إلا إلى خمسين سنة أو أكثر . فأنا على مهلة ، وسأنظر فيما أمرني به ، ولم يقع الكتاب منه بذلك الموقع ، ولم ينزله من نفسه بتلك المنزلة ، وقال : والله لقد أتى كتابه إلى خلق كثير بمثل ما أتاني ، ولم يأتهم رسوله إلا بعد السنين الكثيرة ، والمدد الطويلة وأنا واحد منهم ، ولعل رسوله يتأخر عني كما تأخر عنهم ، وجعل الغالب على ظنه أن الرسول لا يأتيه إلا إلى خمسين سنة كما ظن أو أكثر أو إلى المدة التي جعل لنفسه بزعمه (١٤٠) .

ثم أقبل على اشغال نفسه مما لا يحتاج إليه ، ومما كان غنيا عنه ، وترك أوامر الملك ، والشغل الذي كلفه النظر فيها والاشتغال به ، فكلما دخلت عليه سنة قال : أنا مشغول في هذه السنة وسأنظر في السنة المقبلة ، والمسافة أمامي طويلة ، والمهل (١٤١) بعيد وهكذا كلما دخلت سنة قال : أنا في هذه مشغول وسأنظر في الأخرى ، أو سأنظر في نصف السنة أو في الشهر الثاني منها ، أو سأنظر غدا .

فبينما هو على ذلك (١٤٢) من تسويفه واغتراره ، إذ جاءه رسول الملك فكسربابه ،

(١٤٠) في ش باضافة : فيما يظن .

(١٤١) في ي : والنهل .

(١٤٢) في ز : على ذلك الحال .

وهتك حجابيه ، وحصل معه في قعريته ، وقال له : أجب الملك . فقال : والله لقد جاءني كتابه يأمرني فيه بأعمال أعملها ، وأشغال انظر له فيها ، وما قضيت منها شغلا ، ولا عملت منها حتى الآن شيئا .

فقال له الرسول : ويلك ؟ وما الذي أبطأك عنها ؟ وما الذي حبسك عن الاشتغال بها والنظر فيها ؟ فقال : لم أكن أظن أنك تأتيني في هذا الوقت .

فقال له : ويلك ! ومن أين كان لك هذا الظن ، ومن أخبرك به ؟ ومن أعلمك بأنني لا آتيك إلا في الوقت الذي تظن ؟ قال : ظننت وطمعت وسوّلت لي نفسي وممتني ، وخدعني الشيطان وغرني .

فقال له : ألم يحذرك الملك في كتابه منهما ؟ وأمرك ألا تسمع لهما ؟ قال : بلى والله لقد فعل ، ولقد جاءني هذا في كتابه ، ولكنني خدعت فانخدعت ، وفنت فافتنت ، وارتبت (١٤٣) في وقت مجيئك فتربصت .

فقال له : ويلك ! غرك الغرور ، وخدعك المخادع ، أجب الملك لا أم لك . قال : أنشدك بحق الملك إلا ما تركتني حتى أنظر فيما أمرني به ، أو في بعضه أو فيما تيسر منه ، حتى لا أقدم عليه في جملة المفرطين وعصابة المقصرين .

وهذا مال قد كنت جمعته لنفسي ، وأعدته لمؤنة زماني ، فتركني حتى أخذ منه زادا أتزوده ، ودابة أركبها ، فإن الطريق شاقة ، والمفازة (١٤٤) صعبة ، والعقبة كؤود (١٤٥) ، والمنزل ليس فيه ماء .

قال : أتركك حتى أكون عاصيا مثلك ؟ ثم دفعه دفعة ألقاه على وجهه ، ثم جمع يديه إلى عنقه وانطلق به يحره من خلفه خزيان ندمان جوعان عطشان وهو ينشد بلسان الحال :

لا كحزني إذا لقيت حزيناً جل خطبي (١٤٦) فديتكم أن يهونا
ضاق صدري عن بعضه واحتمالي فاسلكوا بي حيث ألقى المنونا

(١٤٣) ارتبت : شككت .

(١٤٤) المفازة : الصحراء ، سميت بذلك تفاؤلا بالفوز .

(١٤٥) كؤود : شاقة صعبة المرتقى .

(١٤٦) جل خطبي : عظمت مصيبي .

ما تريد العدة مني وإني
 زفرات هتكن خلب^(١٤٧) فؤادي
 خنت عهد المليك قولاً وفعلًا
 غرست في الحياة كفي شرا
 ليتني لم أكن وأين لمثلي
 ياخيلي ولا خليل لي اليو
 ربح الرابحون وانقضت السو
 فابكني إن يكن بكاك مفيدا
 وأما الآخر الذي كتب إليه الملك بمثل ما كتب به إلى هذا، فإنه أخذ
 كتاب الملك وقبّله، وقرأه وتصفحه وتدبره، وقال: أرى الملك قد كتب إليّ بأن
 أعمل له كذا وكذا، وأقضي له كذا وكذا، وأنظر له في كذا وكذا، ومن أين
 سبقت لي هذه السابقة عند الملك؟ ومن الذي عني بي عنده؟ ومن الذي أنزلي
 منه هذه المنزلة؟ حتى جعلني من بعض^(١٤٩) خدامه والقائمين بأمره والناظرين
 في أعماله؟.

والله إن هذه لسعادة، والله إن هذه لعناية، الحمد لله رب العالمين. ثم
 نظر في الكتاب وقال أسمع الملك وقد قال لي في كتابه: وانتظر رسولي فإني سأبعثه
 إليك ليأتيني بك، وأراه لم يجد لي الوقت الذي يبعث فيه الرسول إلي، ولا سماء
 لي، ولعلي لا أفرغ من قراءة كتابه إلا ورسوله قد أتاني ونزل علي، والله لا قدّمت
 شغلا على شغل الملك، ولا نظرت في شيء إلا بعد فراغي مما أمرني به
 الملك^(١٥٠)، وإعدادي زادا أتزوده ومركوبا أركبه إذا جاءني رسوله وحملني إليه.
 فتعرض له رجل وقال له: لم هذه المسارعة كلها؟ وفيم هذه المبادرة كلها؟
 فقال له: ويحك! أما ترى كتاب الملك بما جاءني؟ أما تسمع ما فيه، أما تصدقه؟

(١٤٧) الخلب: بكسر الخاء: حجاب القلب.
 (١٤٨) الوثين: عرق في القلب يجري فيه الدم إلى سائر الجسد.
 (١٤٩) بعض: ليست في زوش وهي من ي.
 (١٥٠) من ولا نظرت إلى هنا سقط من ش.

أما تؤمن به؟ قال: بلى سمعت وآمنت وصدقت، ولكن لم يقل لك فيه إن رسوله يأتيك اليوم ولا غدا ولا وقتا معلوما، ولكنه سيأتيك وقد جاء كتابه إلى فلان بهذا الذي قد جاءك أنت به، وقد بقي منتظرا لرسوله أكثر من سبعين سنة، وإلى الآن ما أتاه، وبعد زمان طويل ما جاءه، وفلان أتاه بعد ثمانين سنة، وفلان أتاه بعد مائة سنة وأكثر، وفلان كاد أن لا يأتيه.

وأنت واحد من المرسل إليهم فلم هذه العجلة؟ وفيم هذا الإسراع؟ فقال: وبحك! أما ترى أنت فلانا قد جاءه كتاب الملك بهذا الذي جاءني، وجاءه الرسول في إثرجيء الكتاب، وفلان كذلك وفلان جاءه بعد سنة، وفلان كذا.

فقال له: بلى ولكن لا تنظر إلى هؤلاء خاصة، وانظر إلى الذين قلت لك ممن تأخر عنه مجيء الرسول.

فقال له: دعني يا هذا فقد شغلتنني والله، وإني لأخاف أن يأتيني الرسول وأنا أكلمك.

ثم أقبل على ما أمره به الملك فامثله، ونظر فيما حدّ له، واشتغل بما يجب أن يشتغل به، وأخذ الزاد لسفره، وأخذ الأهبة لطريقه، وجعل ينتظر الرسول أن يأتيه، وأقبل يلتفت يمينا وشمالا من أين يأتيه، ومن أين يقبل عليه.

فبينما هو كذلك وإذا برسول الملك قد أتاه، فقال: أجب الملك. قال: نعم. قال: الساعة؟ قال: الساعة. قال: وفرغت مما أمرك به، وعملت ما حدّ لك أن تعمله^(١٥١)؟ قال: نعم قال: فانطلق. قال بسم الله، فخلع عليه خلعة الأولياء وكساه ١٩/ أ كسوة الأصفياء، وأعطاه مركوبا يليق به ويجمل بمثله وانطلق به في حبور وسرور، وهوينشد بلسان الحال:

هثوني بغبطني وسروري	فجدير بأن يهنا مثلي
ربحت صفقتي وزُكِّي سعيي	وارتقى للاله قولي وفعلي
كيف لي أن أعبر اليوم عني	بمقال يبين وصف محلي
ضاقت الكتب أن تضم حديثي	بل تلاشت عن بعض ما أنا أملي

(١٥١) من وعملت: سقط من ش.

قد بلغت المنى وزدت عليها وتماثلت بالمسرة كلي
ليت قومي لو يعلمون بما للـه من نعمة عليّ وفضل
طاب عيشي وقر فيه قراري وتقلب بين ماء وظل
أنا ذاكم حقيقاً أم هو غيري اعذروني فقد تدلّه (١٥٢) عقلي

فبان لك بهذا المثل وبغيره فضيلة قصر الأمل ، وفضيلة المبادرة إلى
العمل ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، والانتظار له قبل حلوله .
وقد كثر الخس على هذا ، وكثرت الأقاويل فيه ، ولم يزل المذكرون
يذكرون ، والمنبهون ينبهون ، لو يجدون سمعا واعيا وقلبا حافظا ، ومحلا قابلا ،
والحول (١٥٣) حول الله ، والأمر كله بيد الله .
ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال لرجل وهو
يعظه :

« اغتتم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ،
وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .
وعن ابن عباس أيضا عن النبي ﷺ قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس :
الصحة والفراغ (١٥٤) » .

ذكر البخاري

وقال القائل :

إن في الموت والمعاد لشغلا وأذكارا لذي النهى وبلاغا
فاغتتم نعمتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخي والفراغا
وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه
قال :

« ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا ، أو هرما مفندا ، أو

(١٥٢) تدلّه العقل : ذهب .

(١٥٣) الحَوْل : القدرة .

(١٥٤) أخرجه الترمذي رقم ٢٣٠٧ في الزهد . وقال فيه : حسن غريب .

مرضاً مفسداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر^(١٥٥)».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة». ^(١٥٥) وقال النبي ﷺ: «أنا النذير، والموت المغير، والساعة الموعد». ذكره القاضي أبو الحسن بن صخر في الفوائد.

وقال جابر بن عبد الله: كان رسول الله ﷺ إذا خطب رفع صوته، واحمرت عيناه، كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه [السبابة والوسطى] ^(١٥٦).

ذكره مسلم بن الحجاج. يريد عليه السلام تقريب الأمر وسرعة نزوله، وكل آت قريب، وكل ما هو كائن سيكون.

قال ابن مسعود: قرأ رسول الله ﷺ: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» فقال: إن النور إذا دخل القلب انفسح، فقليل يارسل الله هل لذلك من علامة تعرف؟

قال: نعم التجافي ^(١٥٧) عن دار الغرور، والإنابة إلى دار ١٩/ب الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.

ومن كلام بعضهم: أما تسمعون أيها الناس داعي الموت يدعوكم؟ وحاديه يحدوكم، أما ترون صرعاة في منازلكم، وقتلاه بين أيديكم فقيم هذا التصامم عن الداعي، والتشاغل عن الحادي. والتعامي عن مصارع القتلى، والتغافل عن مشاهدة الهلكى؟، فرحم الله امرأً أيقظ نفسه في مهلة الحياة قبل أن توقظه روعة الممات، واستعد لما هو آت قبل الانبثات ^(١٥٨) وحلول الفوات. وكان

(١٥٥) أخرجه الترمذي رقم ٢٤٥٢ في صفة القيامة. وقال عنه: حسن غريب.

(١٥٦) مسلم رقم ٨٦٧ في الجمعة. والنسائي ١٨٨/٣ و ١٨٩ في العيدين.

(١٥٧) التجافي التباعد.

(١٥٨) الانبثات: الانقطاع.

الحكم قد وقع، والخطاب قد ارتفع، أعرض من أعرض، وسمع من سمع.
وأنشدوا:

أدير من اللهو فيه فنونا	قطعت زماني حيناً فحيناً
وهونت من ذاك ما لم يهونا	وأهملت نفسي وما أهملت
وولى فأعقب حزناً رصينا	ورب سرور شفى غلة
يكابد ما أورثته سنيـنا	وكم آكل ساعة ما يريد
يعود عليه عذاباً مهيناً	وما كان أغنى الفتى عن نعيم
لواني أصيخ إلى الواعظينا	وكم وعظتني عظات الزمان
وأسمع لو كنت في السامعيا	وكم قد دعاني داعي المنون
وقد جزت سبعا على الأربعينا	وماذا أوئل أو أرتجيه
سمعت لعمري منه أنينا	فلو كان عقلي معي حاضرا
يغط إلى أن يوافي المنونا	ولن يبرح المرء في رقدة
تقطع منه هناك الوتينـا	فتوقفه عندها روعة
وتجלו الحقائق منه الظنونا	وإذ ذاك يدري بما كان فيه

وقال أنس في قول الله عز وجل: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ قال: أكثركم للموت ذكراً، وأحسن استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً (١٥٩)

وقال حذيفة رضي الله عنه: ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي: أيها الناس، الرحيل الرحيل.

وقال بعضهم: أيها الإنسان إنما أنت نازل من الدنيا في منزل تعمره أيام عمرك، ثم تخليه عند موتك لمن ينزله من بعدك وأنشدوا:

اخل لمن ينزل ذا المنزل	وارحل فقد آن أن ترحل
وارحل بما قد كنت جمعته	واحمله إن خُلِّيتَ أن تحمل

(١٥٩) من وقال أنس: سقط من ش.

هيهات لا تخرج منه بشيء
واقعد من الغيظ وإلا فقم
فلست بالخارج إلا بما
وخل عن هذي الأماني فما
كم من فتى طوّل آماله
فجاءه الموت على غرة
فيا إلهي والذي جوده
رحماك يا رحمن في فتية
قد حجبتهاعنك آثامها
وليس إلا عفوك المرتجى

فأفعلن ما شئت أن تفعل
واطلع إلى الكوكب أو فانزل
جئت فسلم ويك واستبسل
ثمر إلا شر ما يؤكل
فقصرت دنياه ما طوّل
فمات من قبل الذي أمّل
قد غمر الآخر والأول
ليس لهم دونك من مؤمل
وانزلتها شر ما منزل
أو دلها ماذا الذي تعمل

وقال محمد بن إبراهيم: جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فجوّز في صلاته، فقال: أخبرني بما جئت له فيأني أبادر. فقلت له: وما تبادر؟ قال: ملك الموت - رحمك الله - ٢٠/أ فيأني أخاف أن ينزل بي. فقامت عنه، وقام إلى صلاته.

ومرداود الطائي - رحمه الله - فسأله رجل غريب عن حديث فقال: دعني فيأني أبادر خروج نفسي (١٦٠).

وقال الربيع بن خثيم رحمه الله: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن طال أمله ساء عمله.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: التؤدة (١٦١) خير في كل شيء إلا في أمر الآخرة، والتؤدة: هي الثبث والتأني.

وكان الحسن رحمه الله يقول في موعظته: المبادرة المبادة، فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم الأعمال التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرأة نظر (١٦٢) لنفسه وبكى على ذنبه، ثم قرأ هذه الآية: «إنما نعد لهم

(١٦٠) في ي: روجي.

(١٦١) التؤدة: التأني.

(١٦٢) في ش ايقظ نفسه.

عدًا» يعني الأنفاس آخر العدد خروج نفسك وفراق أهلك .
وقال بعض الصالحاء : اغتنم تنفس الأجل ، وإمكان العمل ، واقتطع
ذكر المعاذير والعلل ، فإنك في أجل محدود ، ونفس معدود ، وعمر غير ممدود .
وقال غيره : أعمل عمل المرتحل ، فإن حادي الموت يحذوك ليوم ليس
يعدوك ، فيطرحك في حفرة لا يخافك فيها أحد ولا يرجوك .
وكتب رجل إلى بعض إخوانه : أما بعد فإن الدنيا حلم ، والأخرة يقظة ،
والموت متوسط بينهما ، ونحن في أضغاث (١٦٣) أحلام ، والسلام .
وكتب محمد بن يوسف رحمه الله إلى أخ له : سلام عليك فإني أحمد إليك الله
الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإني محذرك من دار منقلبك إلى دار إقامتك وجزاء
أعمالك ، فتصير في باطن الأرض بعد ظهرها ، فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك
ويتهرانك فإن يكن الله معك فلا فاقة (١٦٤) ولا بأس ولا وحشة ، وإن يكن غير
ذلك فأعاذني الله وإياك يا أخي من سوء مصرع وضيق مضجع ، ثم تبلغك
صيحة النشور ونفخة الصور ، وقيام الخلائق لفصل القضاء ، وامتلأت الأرض
بأهلها ، والسموات بسكانها ، فباحث الأسرار وسعرت النار ، ووضعت الموازين
ونشرت الدواوين ، وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله
رب العالمين .

فكم من مفتضح ومستور ، ومعذب ومرحوم ، وكم من هالك وناج فياليت
شعري ماحالي وحالك يومئذ ، فإن في هذا ما هدم اللذات ، وسلى عن
الشهوات ، وقصر من الأمل ، وأيقظ النائم ونبه الغافل . أعاننا الله وإياك على
هذا الخطر العظيم ، وأوقع الدنيا من قلبك وقلبي موقعها من قلوب المتقين ، فإنما
نحن له وبه والسلام .
وأنشد بعضهم :

مرادك أن يتم لك المراد وتركض في مطالبك الجياد
وتدضي في أوامرك الليالي فلا يعصى هواك ولا يكاد

(١٦٣) أضغاث أحلام : أحلام مختلطة لا يصح تأويلها .

(١٦٤) فاقة : احتياج .

لقد ملكت مضلات الأمانى
ألم تسمع بذي أمل بعيد
رماه الموت فانقبضت إليه
ويلقاه يآثر الموت يوم
تصم لوقعه الأذان صما
فكم سالت هنالك من دموع
وكم شأهت هنالك من وجوه
وماذا الكرب يشبه ما عهدنا
وما الأسماء تعطيك اتفاقا
ولكن ربما كان اشتباه
يسمى البحر ذوالأهوال بحرا

قيادك فاعتديت بها تقاد
وآمال الفتى منها بعاد
أمانيه بشيء لا يراد
تميد لهوله السبع الشداد
وينطق من زلازله الجهاد
يغيرهن من دمه الفؤاد
على صفحاتها طلي الحداد
وأنى يشبه البحر الثماد
على معنى يتم لك المراد
قليل لا يحس ولا يكاد
وبحرا مثله الفرس الجواد^(١٦٥)

وفي بعض الخطب المروية: أيها الناس إن لكم معالم فانتهاوا إلى
معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم، وإن المؤمن بين مخافتين، بين
أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل بقي لا يدري ما الله قاض
فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الحياة قبل الموت،
فإن الدنيا خلقت لكم وخلقتكم أنتم للآخرة، ٢٠/ب والذي نفسي بيده ما بعد
الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار^(١٦٦).

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال: أيها الناس إنكم لم تخلقوا
عبثا، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للفصل وللحكم فيما
بينكم، فخاب وشقي عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنة
عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى، وباع
قليلًا بكثير، وفانيا بباقي، وشقاء بسعادة.

ألا ترون أيها الناس أنكم في أصلاب الهالكين ويستخلف بعدكم

الباقي^(١٦٧)

(١٦٥) هذه الأبيات انفردت بها نسخة ل.

(١٦٦) من خطبة للنبي ﷺ.

(١٦٧) من ألا ترون إلى هنا سقط من ي.

ألا ترون أيها الناس أنكم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل ، قد قضى نحبه وانقطع عمله وأمله ، فتضعونه في بطن قاع من الأرض غير ممهد ولا موسد ، قد قطع الأسباب وفارق الأحباب ، وواجه الحساب .

وأيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما عندي ، ولكنها سنن من الله عادلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، ثم استغفر الله تعالى ووضع كفه على وجهه^(١٦٩) وبكى ، حتى بلت دموعه لحيته ، وما عاد إلى مجلسه ذلك حتى مات رحمه الله .

ومما يروى من خطبه أيضا أنه قال : أيها الناس إن الدنيا ليست بدار قراركم ولا محل إقامتكم ، دار كتب الله عليها الفناء ، وأوجب منها على أهلها الرحيل ، فكم من عامر مؤثق^(١٧٠) عما قليل ستخرب عمارته ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل سيرحل فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة ، واحملوا خير ما يحضركم للنقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى .

إن الدنيا كظل قلص فذهب ، بينما ابن آدم فيها ينافس ، وعليها يضارب ، إذ دعاه الله بقدره ، ووفاه يوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير^(١٧١) للآخرين مصانعه^(١٧٢) ومغناه . إن الدنيا ما تسر بمقدار ما تضر ، إنها تسر قليلا ، وتحزن حزنا طويلا

وخطب المأمون يوما فقال : عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار ، فاستبدلوا بها وتعوضوا عنها .

أيها الناس استعدوا للموت فقد أظلكم ، وترحلوا فقد جد بكم ، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة ، وإن غائبا يحذوه الجديدان^(١٧٣) لجدير بسرعة الأوبة^(١٧٤) ، وإن قادما يقدم بالفوز أو بالشقوة

(١٦٨) عمله سقطت من ش وز .

(١٦٩) وجهه : في ش وز لحيته .

(١٧٠) مؤثق : من الأناقة وهي الحسن .

(١٧١) من هنا إلى : فانتبهوا سقط من ش .

(١٧٢) المصانع : هنا بمعنى القرى والحصون ، أو أحواض الماء . والمفنى : المنزل .

(١٧٣) الجديدان : الليل والنهار .

(١٧٤) الأوبة : الرجعة .

لمستحق بأفضل العدة .

اتقى عبدربه ، نصح نفسه ، وغلب شهوته ، وقدم توبته ، فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به ، يمتيه التوبة ليسوفها ، ويزين لها المعصية ليركبها ، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها ، وأنسى ما يكون لها ، وإن ما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، فيا لها من حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة ، أو أن تؤدبه أيامه إلى شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن الطاعة معصية ، ولا تحل به بعد الموت حسرة ، إنه سميع الدعاء فعال لما يشاء .

ومن كلام بعضهم^(١٧٥) : يا ابن آدم إنك لورأيت ما حل بك ، وما أحاط بأرجائك ، لبقيت مصروعا لما بك ، مذهولا عن أهليك وأصحابك ، يا ابن آدم أما علمت أن بين يديك يوما يصم سماعه الأذان ، وتشيب لروعه الولدان ، ويترك ما عز وهان ، ويهجر له الأهلون والأوطان .

يا ابن آدم أما ترى مسير الأيام بجسمك ، وذهابها بعمرك وإخراجها لك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، وبعد ذلك ما لذكر بعضه تصدع القلوب ، وتنضج له الجوانح وتذوب ، ويفر المرء على وجهه فلا يرجع ولا يؤوب .
وأنشدوا :

لأمر ما تصدعت القلوب	وباح بسرها دمع سكيب
وباتت في الجوانح نار ذكرى	لها من خارج أثر عجيب
وما خف اللبيب لغير شيء	ولا أعيأ بمنطقه الأريب
ذراه لائها فلا تلوما	فربت لائم فيه يحوب
رأى الأيام قد مرت عليه	مرور الريح تدفعها الهبوب
وما نفس يمر عليه إلا	ومن جثمانه فيه نصيب
وبين يديه لو يدري مقام	به الولدان من روع تشيب
وهذا الموت يدنيه إليه	كما يُدنى إلى الهرم المشيب
مقام تستلذ به المنايا	وتدعى فيه لو كانت تجيب
وماذا الوصف بالغه ولكن	هي الأمثال يفهمها اللبيب ^(١٧٥)
وخطب الحجاج يوما فقال : أيها الناس إن الله كتب على الدنيا الفناء ،	

(١٧٥) من : ومن كلام بعضهم ، إلى هنا انفردت به نسخة ل .

وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما ٢١/ أ كتب الله عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب الله عليه الفناء، فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل.

وفي بعض الخطب المروية: أيها الناس إن الآمال تطوى والأعمار تنفى، والأبدان تحت التراب تبلى، وإن الليل والنهار يتراكمضان كتراكمض البريد، يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، وفي ذلك عباد الله ما يليه عن الشهوات، ويسلي عن اللذات، ويرغب في الباقيات الصالحات.

وفي بعض الخطب أيضا: أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم، فرضيتم به فأجرتم، وإن ذكرتموه في غنى نغصه عليكم فجدم به فأبتم، إن المنايا قاطعات الآمال، والليالي (١٧٦) مدنيات الأجال، وإن المؤمن بين يومين: يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه، ويوم قد بقي لعله لا يصل إليه، إن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه (١٧٧) يرى جزاء ما أسلف، وقلة غناء ما خلف، ولعله من باطل جمعه أو من حق منعه.

وقال بعض الحكماء: إن للباقي بالماضي معتبرا، وللآخِر بالأول مزدجرا (١٧٨)، والسعيد لا يغتر بالطمع، ولا يركن إلى الخدع (١٧٩)، ومن ذكر المنية نسي الأمانة، ومن أطال الأمل نسي العمل وغفل عن الأجل.

وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل: ﴿فَتَنَّمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: بالشهوات واللذات ﴿وَتَرَبِّصْهُمْ﴾ قال بالتوبة ﴿وَارْتَبِّمْ﴾ قال: شككتهم ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قال: الموت. ﴿وَعَرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ قال: الشيطان.

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى يزيد بن عبد الملك إياك أن تدرك الصرعة عند الغرة (١٨٠)، فلا تقال (١٨١) العثرة، ولا تمكّن من الرجعة، ولا يحمّدك من خلفت على ما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بها به اشتغلت.

(١٧٦) والليالي: سقطت من ز

(١٧٧) رمسه: قبره.

(١٧٨) مزدجر: رادع.

(١٧٩) الخدع: جمع خدعة.

(١٨٠) الغرة: الغفلة.

(١٨١) تقال العثرة: أقال عثرته: أنهضه من سقوطه.

وقال بعض البلغاء: لا بُتَّ على غيروصية، وإن كنت من جسمك في
صحة، ومن عمرك في فسحة، فإن الدهر خائن، وكل ما هو كائن كائن.
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما منكم من أحد إلا وهو ضيف،
وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مردودة.
وقال الحسن البصري رحمه الله ياعجبا لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم
بالرحيل، وحشر أولهم على آخرهم، وهم مع ذلك قعود يلعبون.
وقال بعض الحكماء: ليس من الدين عوض، ولا من الإيمان بدل ولا من
الجسد خلف، ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يساربه وإن لم يسر.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أيها الناس اتقوا الله الذي إن
قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن قمتم أخذكم، وإن
هربتم أدرككم.

وكان عبد الله بن ثعلبة يقول في موعظته: تضحك يا هذا ولعل أكفانك
عند القصار (١٨٢).
وقال بعض الحكماء: كل يجري من عمره إلى غاية تنتهي إليها مدة
أجله، وتنطوي عليها صحيفة عمله، فخذ من نفسك لنفسك وقس يومك
بأمسك، وكف عن سيئاتك، وزد في حسناتك، قبل أن تستوفي مدة الأجل،
وتقصر عن الزيادة في السعي والعمل.
٢١/ب (١٨٣) وفي كلام بعضهم: أعلم رحمك الله أن أمانيك سترد عليك وترجع
خائبة إليك، وأن الساعات تهدم في جسدك، وربما عاجلتك المنية في ساعتك أو
في يومك أو في غدك، فأوقفك على غشك وظلمك، وأطالت في كربك،
وزادت في غمك، وأرتك ما لم تعهد، وأشهدتك مشهدا ما مثله مشهد.

وأنشد:

مرادك لا يصح ولا يتم إذا ما كنت للدنيا تدمُ*
وما فرقت منها من أمان* فلست وإن أصبت لها تضم
وما تبنيه في دنياك هذي ستلقاه من الأيام هدم

(١٨٢) القصار: الذي يحور الثياب ويبيضها.

(١٨٣) من هنا إلى: وقال أبو عبيدة، سقط من ش وز.

* تدمُ: تسرع. وأمان: جمع أمنيّة.

وجسمك ويك اسرعه انهداما
ومن تتبعه تابعة المنايا
وليتك لم تكن إلا منون
ولكن بعدها يوم عصيب
وما تلك الكروب كما عهدنا
فلا تغتر بالأسماء جهلا
يسمى الكوكب الدري نجما
وقال أبو عبيدة الناجي رحمه الله :

دخلنا على الحسن البصري رحمه الله في
يومه الذي مات فيه ، فقال : مرحبا بكم وأهلا ، وحياكم الله بالسلام ، وأحلنا
وإياكم دار المقام ، هذه علانية حسنة إن صدقتم وصبرتم ، فلا يكونن حظكم
من هذا الأمر أن تسمعوه بهذه الأذان ، وتخرجوه من هذه الأفواه ، فإن من رأى
محمدا ﷺ رآه غاديا ورائحا ، لم يضع لبنة^(١٨٥) على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ،
ولكن رفع له علم فشمريه إليه الوحي^(١٨٦) الوحي ، النجاء النجاء ، علام
تخرجون ؟ ارتبتم ورب الكعبة ، كأنكم والأمر معا ، رحم الله امرأ جعل العيش
عيشا واحدا ، فأكل كسرة ، وليس خلقا ، ولصق بالأرض ، واجتهد في العبادة ،
وبكى على الخطيئة ، وفر من العقوبة ، وطلب الرحمة ، حتى يأتيه أجله وهو على
ذلك .

وقال أبو محمد الزاهد : خرجنا في جنازة بالكوفة ، وخرج فيها داود الطائي
رحمه الله ، فانتبذ^(١٨٧) وقعد ناحية وهي تدفن ، فجئته فقعدت إليه قريبا منه ،
فتكلم فقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله ،
وكل ما هو آت قريب .

واعلم يا أخي أن كل شيء شغلك عن الله فهو عليك مشؤوم ، وأعلم أن

(١٨٤) هذه الأبيات انفردت بها نسخة ل .

(١٨٥) اللبنة : واحدة اللبن بكسر الباء وهو ما يضرب من الطين للبناء .

(١٨٦) الوحي : المبادرة والإسراع .

(١٨٧) انتبذ : اعتزل وتنجى .

أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون، ويفرحون بما يقدمون، فما عليه أهل القبور يندمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون .

وقال محمد بن أبي توبة رحمه الله : أقام معروف الكرخي رحمه الله الصلاة ثم قال لي : تقدم . فقلت : إن صليت لكم هذه الصلاة لم أصل لكم غيرها . فقال لي : أراك تحدث نفسك أنك تعيش حتى تصلي صلاة أخرى ، أعوذ بالله من طول الأمل ، فإنه يمنع من خير العمل .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ويل لمن كانت الدنيا أمله والخطايا عمله ، عظيم بطنته^(١٨٨) ، قليل فطنته ، عالم بأمر دنياه جاهل بأمر آخرته . وقال العلاء بن زياد رحمه الله تعالى : لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت ، وأنه استقال ربه فأقاله ، فليعمل بطاعة الله .

وقال بعض الحكماء : عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ، ولا يحزن على نقصان عمره ، وعجبت ممن الدنيا مدبرة عنه ، والآخرة مقبلة عليه كيف يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة .

وقال بعضهم : أيها الناس إن لكم معالم تستبقون إليها ، وإن لكم موارد تردون عليها ، وإن الجديدين يسيران بكم وإن لم تسيروا ، ويسرعان بكم ، وإن لم تسرعوا ، وإن قصاركم الموت ، وإن بعد الشأو^(١٨٩) وامتدت الغاية وطال المدى .

فرحم الله امرأ أضمر نفسه للسباق وساقها إلى الغاية أشد مساق ، واستعد للموت قبل هجومه وأخذ حذره منه قبل قدومه ، وأنفذ دموعه على ٢٢/أ ما تقدم قبل أن تزل به القدم ، ويؤخذ بها علم وبما لم يعلم . وأنشد بعضهم من كلمة له :

لمن ورقاء^(١٩٠) بالوادي المريع تشب به تباريح الضلوع
على فينانة^(١٩١) خضراء يصفو على أعطافها وشي الربيع

(١٨٨) البطنة : كثرة الأكل .

(١٨٩) الشأو : الأمد .

(١٩٠) الورقاء : الحمامة يضرب لونها إلى الخضرة .

(١٩١) فينانة : بتسكين الباء : الشجرة الطويلة الحسنة ذات الأغصان الملتفة .

تردد صوت باكية عليها
فشئت شملها وأدال^(١٩٢) منه
عجبتُ لها تكلم وهي خرسا
فهمتُ حديثها وفهمت أني
أتبكي تلك إن فقدت أنيسا
وها أنا لست أبكي فقد نفسي
ولو أني عقلت اليوم أمري
إلا يصاح والشكوى ضروب^(١٩٤)
لعلك أن تعير أخاك دمعا
وقال بلال بن سعد رحمه الله : يقال لأحدنا تريد أن تموت؟ فيقول : لا
فيقال له : لم؟ فيقول : حتى أتوب وأعمل صالحا ، فيقال له : اعمل . فيقول :
سوف أعمل ، فلا يجب أن يموت ولا يجب أن يعمل فيؤخر عمل الله تعالى ، ولا
يؤخر عمل الدنيا .
وقال^(١٩٥) بعض الحكماء : السعيد من صرف الله أمله إلى ما يبقى ، وقطعه عما
يفنى ، وأعانه في دار الفناء على عمارة دار البقاء .
والويل الطويل والحسرة التي لا تزول لمن أعرض ونأى ، ولم يمه نفسه عن
الهوى . وإن كان الكل من الله عز وجل فاللوم متوجه على المقصر وقد بدت عليه
علامة البعد ، وظهرت من أفعاله أماراة الطرد .
وقال عيسى بن مريم عليه السلام : عجبت لثلاثة : لغافل وليس
بمغفول عنه ، ومؤمل دنيا والموت يطلبه ، وبانٍ قصرا والقبر مسكنه .
وقال بعض الحكماء : ما انقضت ساعة من يومك إلا بقطعة من عمرك ،
ونصيب من جسمك .

(١٩٢) أدال منه : نزع وحول .
(١٩٣) النجيع : الدم المائل إلى السواد .
(١٩٤) ضروب : أنواع .
(١٩٥) من هنا إلى الطرد سقط من ش وز .

وقال لقمان لابنه : يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعداد له قبل أن يفجأك .

وقال الحسن رحمه الله : ما رأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت مع غفلتهم عنه ، وما رأيت صدقا أشبه بالكذب من قولهم إنا نطلب الجنة مع عجزهم عنها وتفريطهم في طلبها .

وقال بعضهم : أيها الناس إن الحكم قد وجب ، وإن الموت قد اقترب ، والعمر قد ذهب ، فكم من آسف عليه ، وناظر بعين الشفقة إليه ، وإن في تلاشي العمر ما يقصر عن أمل الأريب^(١٩٦) ويجمع من هم اللبيب ، ويرسل من عبرات^(١٩٧) الكئيب ، فرحم الله امرأً بكى على نفسه ، فليس يبكي عليها غيره ، ونظر إليها ، فليس ينظر إليها سواه .

وأنشدوا :

لبيك على الشبيبة من بكاها	كما أبكي عليها ملء جفني
ومن يك بات ذا حزن عليها	فمثلي فليبت في فرط حزن
ومن يك ساليا يوما فإني	قطعت علائق السلوان عني
عجبت لمن يبكي رسم دار	عفت ^(١٩٨) أبياتها أوسيرظعن
ويترك نفسه يبكي عليها	وقد جُبلت على ضعف ووهن
وقد صاح الحمام بها أجيبني	إلام وفيهم ويلك ذا التأن
ومن بعد الحمام له حديث	يريه من العجائب كل فن
حديث ما حديث ما حديث	يبين له اليقين من التظني ^(١٩٩)
وعمر ينقضي في غير شيء	ولكن في المحال من التمني
ويعذلني إذا أرسلت دمعا	على وجنات ذي خسروغبين

(١٩٦) الأريب : العاقل ، الماهر .

(١٩٧) عبرات : دموع .

(١٩٨) عفت : انمحت وزالت .

(١٩٩) التظني : الظن والشك .

ألا يا صاح والبلوى ضروب ودَعْتُكَ للذي تهوى فدعني
إذا أنا لم أبك ذهاب عمري فمن هذا الذي يبكيه عني

ولعلك أن تقول: لو أني قصرت أمني كما تريده مني، وقصر ذلك أمله،
وذاك أمله، وقصر الناس آمالهم وتركوا صناعاتهم وأسباب معيشتهم لخرت
الأرض وهلك الناس (٢٠٠) وفسد هذا العالم.

فأقول: نعم صدقت، لو قصر الناس آمالهم بحيث يتركوا صناعاتهم
والنظر في معيشتهم وعمارة دنياهم، وأجمعوا على ذلك لكان ما قلت، ولكنهم لا
يفعلون، وليس بتقصيرك أنت أملك يقصر الناس آمالهم، ولا بزمدك أنت في
الدنيا يزهد الناس كلهم فيها، فلا تبك يا هذا ولا تشغل نفسك به، ولا يمنعك
ذلك من تقصير أملك، ولا من زهدك وإصلاح عملك، وعليك بنفسك فعنها
تسأل وبالواجب عليها تطلب.

وليس تقصيرك أملك بالذي يمنعك أن تطلب رزقك، وإن تشتغل
بإصلاح نفسك ومعيشتك وتربية ولدك، إلى غير ذلك من جميع منافعك بل
تقدر أن تجمع بينهما، وذلك أن تنظر بمعونة الله عز وجل لك وتبنيه إياك، إلى
غير ذلك من سبب معيشتك.

فإن كان مما يتكرر كل يوم عملت فيه يومك، وأخذت منه قوتك، ولم
تعول على أنك تعيش غدا، فإن أصبحت غدا عملت كذلك أيضا.
وكذلك إن كان سببك مما يتم بعد أيام كثيرة، أو يكون مما ينظر فيه السنة
كلها كالزراعة وغيرها نظرت فيه على كماله، ولم تعول على أن تدرك إبانته، وأن
تبلغ وقته وأوانه، فإن بلغته كان الذي أردت، وإن اخترمتك المنية دونه كان ما
عملت منه معونة لغيرك، وتسهيلا لمن يأتي من بعدك.

وتقدر أن تعمل السبب الذي يكون فيه معيشتك كما وصفت لك،
وتقصر أملك عن تمامه [سواء] كان السبب مما تعمل فيه سنة أو يوما أو أقل.
وكذلك سائر الناس لو كانوا هكذا لما هلكوا، ولا خربت الأرض ولا فسد هذا

(٢٠٠) وهلك الناس: سقط من ز.

العالم كما قلت . لكنه كان يقل فرحهم بالدنيا وسعيهم لها ، واغبتا طهم بها ، وكانوا يتركون تشييد البنيان وتنصيبه ، وزخرفته وتنجيده (٢٠١) ، ويدعون التألق في ملابسهم ومراكبهم ، إلى غير ذلك من جميع أمورهم ، ويجتزئون من الدنيا بما أمكن ، ويأخذون منها ما تيسر ، ويقتصرون على ما يلغ ، فتقل تبعثهم (٢٠٢) ، ويهون حسابهم ، ويخرجون من الدنيا خفافا يقدرّون على قطع عقبات الآخرة ، وسلوك طرقها الضيقة وسبلها الشاقة ، ويسهل عليهم الأمر هنالك .

وأما قصر الأمل حتى تترك الصناعات وأسباب المعيشة فإنها يصح في بعض الأشخاص وفي القليل من الناس .

فإنه إن فعل ذلك قام غيره بمؤنته ، ونظر له سواه في معيشته ، سنة الله ٢٣/أعز وجل مع المتوكلين ، وعادته مع المنقطعين ، ويبقى أولئك مع آمالهم والنظر في أعمالهم ، فإن الأمل رحمة من الله تعالى تنتظم به أسباب المعاش ، وتستحكم به أمور الناس ، ويتقوى به الصانع على صناعته ، والعابد على عبادته .

ولأنما يذم من الأمل ما امتد وطال حتى أنسى العاقبة والمآل وثبط عن صالح الأعمال .

يروى أن الله عز وجل لما مسح ظهر آدم عليه السلام فاستخرج ذريته ، قالت الملائكة : رب لا تسعهم الأرض .

قال الله عز وجل : إني جاعل موتا : قالت الملائكة : لا يهناهم العيش . قال : إني جاعل أملا .

وقال (٢٠٣) الثوري رحمه الله : بلغني أن الانسان خلق أحق ، ولولا ذلك ما هنأه العيش .

ويروى أن عيسى عليه السلام كان جالسا وبين يديه شيخ يعمل بمسحاة (٢٠٤) في أرض له ، فنظر إليه وقال : اللهم انزع الأمل من قلبه ، فطرح

(٢٠١) تنجيد البناء : تزيينه بالفرش .

(٢٠٢) التبعة : المسؤولية .

(٢٠٣) من هنا إلى العيش سقط من ش .

(٢٠٤) المسحاة : ما يسحى به التراب ونحوه كالمجرفة .

الشيخ المسحاة في الأوض وقعد، فقال عيسى عليه السلام : اللهم رد عليه أمله، فقام الشيخ إلى مسحاته ورجع إلى عمله، فدعاه عيسى عليه السلام فقال : أيها الشيخ لم طرحت مسحاتك ثم رجعت إليها؟ فقال : ياروح الله بيننا أنا أعمل بمسحاتي إذ قلت في نفسي : وإلى متى هذا العمل؟ وإلى متى هذا التعب؟ ولعل الموت يأتيني في هذه الساعة، فطرحت المسحاة وقعدت، فبينما أنا قاعد إذ تفكرت في نفسي وقلت : لعل الموت لا يأتيني في هذا الوقت وأنا محتاج إلى قوت يقيمني، وغذاء يمسك بنيتي، ولا بد من العمل فقممت إلى مسحاتي ورجعت إلى عملي.

وقال مطرف بن عبد الله رحمه الله : لو علمت متى أحلي لخشيت ذهاب عقلي، ولكن الله منّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة عنه ما تهنأوا بعيش ولا قامت الأسواق.

وقال الحسن رحمه الله : الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم، ولولاهما ما مشى المسلمون (٢٠٥) في الطرق. يريد لو كانوا من التيقظ وقصر الأمل وخوف الموت بحيث لا ينظرون في معاشهم وما يكون سببا لحياتهم، هلكوا، وكذلك أراد مطرف رحمه الله.

ويروى أن المفضل بن فضالة رحمه الله تعالى سأل ربه أن يرفع عنه الأمل، فاستجاب له، فترك الأكل والشرب، ولم تستقم له عبادة، فدعا ربه أن يرد عليه أمله، فردّه عليه، فرجع إلى طعامه وشرابه.

وقال ابن المهيدي رحمه الله : من قوى أمله قل عمله، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله غير أنه لا بد من أممية وأمل تحيا بهما النفس ويقوي بهما القلب وتعمر بهما الدنيا.

وقال سعيد بن عبد الرحمن : إنما عمرت الدنيا بقلّة عقول أهلها يريد أنهم بقلّة عقولهم انصرفت همهم عن الآخرة، وأقبلت على الدنيا فعمروها واشتغلوا بها.

وأنشدوا:

(٢٠٥) في شئ الناس.

خذ من الآمال ما احتجت إليه
كان مالا أو كلاما أو هوى
ولدنياك قُويهُ (٢٠٧) شيم
ولأخراك وإن طال المدى
وإذا لم تك أعددت له
وصروف الدهر تخبر قبل ذا
ورأى الإنسان طرفا لهما
وإلى كم أنت في سكر الهوى
وكلا الدارين تحتاج له
فلتبادر ما هو الأولى بمن
ورآه الموت فانقض له

ففضول المرء محسوب عليه (٢٠٦)
أو فآمال مشت بين يديه
وقديما شاقنا ذاك الفويه
موقف يسلك إحدى جهتيه
نلت ما تكرهه من عدتيه
بأمور ركبت في طيتيه
فمضى يعمل فيه صفتيه
وإلى كم أنت مأسور لديه
ويمين المرء أقوى عضديه
صرفت عامله الريح لديه
كعقاب خر من جو عليه

وإعلم رحمك الله أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الإكباب عليها غير ممتسر، فإن حب الدنيا ٢٣/ب هو سبب طول الأمل فيها، والإكباب عليها يمنع من الفكرة في الخروج منها، والجهل بغوائلها وعواقبها يحمل على الإرادة لها والازدياد منها. لأن من أحب شيئا أحب الكون معه والازدياد منه، ومن كان مشغولاً بالدنيا محبا لها حريضا عليها، قد خدعته بزخرفها، وأمالته بروفقها وسحرته بزينتها كيف يريد مفارقتها؟ أم كيف يحب مزايلتها (٢٠٨)؟ هذا أمر لم تجر العادة به ولا حدثنا عنه. بل (٢٠٩) تجد من كان على هذه الصفة أعمى عن طريق الخير أصم عن داعي الرشد، قليل الرأي، سيء النظر، ضعيف الإيمان، لم تترك له الدنيا ما يسمع به ولا ما يرى الحقائق بواسطته، إنما دينه وشغله وحديثه دنياه، لها ينظر ولها يسمع، ولها يعطي ولها يأخذ قد ملأت عينه وقلبه وأذنه.

(٢٠٦) هذه الأبيات انفردت بها نسخة ل.

(٢٠٧) فويه شيم: فم جائع.

(٢٠٨) مزايلتها: تركها.

(٢٠٩) من هنا إلى: قد ملأت، سقط من ش.

كما قال القائل :

ملأت قلبه غرورا وفتنه وأصمت عن الحقيقة أذنه
ورمت عينه ببرقة سحر طمستها فما يرى ما أجنّه (٢١٠)
لم تدع فيه مطمعا لسواها فهوها لديه فرض وسنة
أي خداعة تعلق منها إنها إنها وإنه إنه
فأطرحها فما إخالك إلا مثله فالكلام شعرو جنة

فتجده قد طول أمله ومد المسافة بين يديه ، فإن كان شابا قال أنا صغير
والأيام بين يدي ، وأين حتى أبلغ ستين سنة أو سبعين سنة ؟ وأنا محتاج إلى
الزوجة ، والزوجة تحتاج إلى كذا وكذا ، وإذا كانت الزوجة كان الولد وكانت
البنت ، واحتاج الولد إلى كذا وكذا ، واحتاجت البنت أيضا إلى كذا وكذا ،
وهذا كله إنما يكون بالمال ، وإن لم يكن لي مال لم أصل إلى مرغوب ، ولم أظفر
بمطلوب ، وإن قعدت عن الطلب احتجت إلى الناس ، فإذا احتجت إلى
الناس احتقرت واستخف بي وجهل قدرتي كما قال القائل :

والمرء لا يصغر مقداره إلا إذا احتاج إلى الناس
وترى فلانا قد اكتسب وجمع ، وتزوج وتمتع ، وظفر بالمراد ، ووصل إلى ما أراد ،
وفلان كذلك .

ولا يقول ترى فلانا كان شابا مثلي ، وأراد ما أردت وسعى فيما سعيت ،
فمات قبل أن يصل إلى إرادته ، واختطف قبل أن يحصل على مطلبه .
ولا يقول ترى فلانا طلب واجتهد ، فلما اجتمع له ما اجتمع ، سرق منه
أو اعتدى عليه فاغتصب أو عطب (٢١١) في رجوعه إلى بلده وانصرافه إلى وطنه ،
فمات في عطبته ، وهلك في نكبته .
أو ترى فلانا خرج محزونا مسلوبا فقيرا حسيرا (٢١٢) .

(٢١٠) أجنّه : ستره وغطاه .

(٢١١) عطب : انكسر ، هلك .

(٢١٢) الحسير : الضعيف ، المتعب .

وترى فلانا كذلك ، وفلانا كذلك .

إنما يعرض على نفسه ، ويجرى على خاطره من بلغ إلى إرادته ووصل إلى أمنيته ، لأن ذلك هو الذي غلب على قلبه ، وشغف بجديته ، فتراه يسعى ويرغب ، ويحرص ويطلب ، ويزفر ويكد في حدود (٢١٣) وصعود ، وطلوع وهبوط ، آناء الليل وآناء النهار ، ولا يقرب به قرار ، ولا تضمه في أكثر الأوقات دار ، وكلما فرغ من شغل أخذ في آخر ، مما يحتاج إليه ، بل لا يفرغ من شغل إلا وقد عرضت له أشغال ، ولا يصل إلى أمل إلا انبعث له آمال .

فيمني نفسه بالأمانى الباطلة ، ويحدثها بالأحاديث الكاذبة .

فإن وصل إلى حظ من المال ٢٤ / أ ونصيب وافر من الكسب مما يمكن أن يعيش به عمره كله ، أو طعن في السن وقيل له يافلان أرح نفسك ودع جسمك فهذا السذي عندك يكفيك ، قال يا أخي لا تقل هذا ، الليل والنهار بين يدي ، ولا ينفيهما قليل ، ولن يدوما على أحد إلا أذهب ما في يده ، وأخذ ما كان عنده . ولا يدري ما يكون ، والآفات كثيرة ، والأمراض متوقعة ، والحاجة إلى الناس صعبة لاسيما مع الكبر ، ولا سيما إن كان الأهل والولد .

فيقيم العذر لنفسه ، ويطلب لها الحجة ، ويوجد لها الدليل ، ويصحح لها بزعمه التأويل .

فإن ذكر بالموت أو حُذِّث بموت إنسان ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله إني لفي غفلة ، والله إني لفي غرور ، والله إن هذه لمصيبة ، لا يدري الإنسان متى يخترم (٢١٤) ولا متى يختطف ، ولا متى تفجؤه المنية ، وتحل به هذه الرزية ، وتنزل به هذه المصيبة .

هكذا قولاً بلا فعل ، وكلاماً بلا نية ، ولو كان عن صدق نية وصحة (٢١٥) طوية لظهر ذلك عليه ، وبدت مخايله (٢١٦) منه .

(٢١٣) حدود : نزول .

(٢١٤) يخترم : يهلك ، يموت .

(٢١٥) طوية : نية ، ضمير .

(٢١٦) مخايله : علاماته .

وربما وعد نفسه ومناها وطمعها في التوبة، ورجاها، وقال: لو جئت من هذه السفرة، أو لو بنيت هذه الدار، أو لو جمعت ما كان لي متفرقا، أو لو جهزت هذه البنت أو هذا الولد، وأدخلته بيته ونظرت له فيما يعيش به، لتفرغت للنظر لنفسي، وقدمت ما أجده في رمسي، وكنت من داري إلى مسجدي، ومن مسجدي إلى داري، ولا أنظر في شيء ولا اشتغل في شيء.

فإن جاء من سفرته تجهز لغيرها، وإن فرغ من بنیان داره نظر فيما يصلح لها، وإن جمع ماله نظر في تفريقه في الوجه الذي ينميهِ ويزيد فيه، وإن جهز ولدا بقي له آخر، وإن لم يكن له آخر قال ما تريد؟ تريد أن آكل ما عندي وأرجع إلى ولدي حتى يطعمني ويكسوني ويعولني؟ لا يكون هذا أبدا، الموت في القفار ولجج البحار أهون علي من هذا، فهو هكذا أبدا لا مع المال ولا دون المال، ولا مع الولد ولا دون الولد.

يحدث الناس عن الأموات ولا يحدث نفسه أنه يموت ويشيع جنازتهم ولا يتخيل أن جنازته تشيع، ويقدر لنفسه العيش الطويل ولا يقدر لها الموت القريب. قد غلب عليه السهو وأطبقه الجهل، وسدت عليه الغفلة طرق الإنابة، وصرفته عن أسباب الفكرة.

كم رأى من إنسان قد أعد ثوبا ليلبسه فكان كفته، وكم رأى من يبنی دارا ليسكنها فكانت قبره، وكم رأى من آخر كان يحب الولد ويشتهيهِ، ويتضرع إلى الله عز وجل ويرغب إليه فيه، فلما أُعطيهِ ومُنَّ عليه بن جمع عليه الرجال وأنفق عليه الأموال وقال العقيقة سنة، والنفقة فيها حسنة، وربما كانت إلى الإسراف أقرب وإلى التبذير أَميل، وربما كانت نفقته سببا للمناكر، وسُلِّمَ لبعض المعاصي على روية منه ومشاهدة لذلك، كما جرت العادة في الأعراس والولائم والاجتماعات، فيجعل الإسراف شكرا لتلك النعمة، والمعصية جزاء لتلك المنة.

ولعل الولد يموت بعد ذلك بأيام، أو بأشهر أو بأعوام أو يعيش فيرى فيه من الأمراض ٢٤/ب والأسقام وأنواع الابتلاء والامتحان ما يود معه أنه هو لم يكن، فكيف ولده، هذا أمر مشاهد في العيان موجود بالبرهان، ولعله إن شب

وبلغ فيه الأمل ورأى له من العمر ذاك الذي كان أمل، صار له أعدى الأعداء وكان منه أبعد البعداء، كما قد سمع بجماعة قتلهم أولادهم ليستعجلوا ميراثهم، أوليصر لهم الملك بعدهم. ونعوذ بالله من أمر لا يستخار الله فيه، ولا يرد إليه عند تمنيه.

وكذلك إن كان صاحب تجارة في سوقه، وملتزما في دكانه إنما هو من الحانوت إلى الدار، ومن الدار إلى الحانوت، ومن الصباح إلى المصباح، ومن البكرة إلى آخر الرواح.

وإن كان ممن يصلي في المسجد ويكثر التعاهد له قل ما يخلو فيه مع ربه، ويتنصل من ذنبه، إنما هو في الحديث مع فلان والضحك مع فلان، والسؤال عن أحوال الإخوان، وما جرى في البلدان، وما اتفق في القديم من الأزمان. وربما أخرجه ذلك إلى الغيبة^(٢١٧) وكثير من البهتان.

وكذلك صاحب الصنعة والضعيف من الحرفة إنما هو في كدّ وعناء وتعب وشقاء ونصب^(٢١٨) وبلاء، وكدّه وجهده ولذته وأمنيته أن يكسو ظهره ويشبع بطنه، أو يقوم على عيال أو يغدو على أطفال، مع شكايته لربه، وتسخطه لحكمه، وتبرم بقضائه وقلة صبره على بلائه، ولا يحدث نفسه بموت، ولا يخطر بباله زوال. ولعله إن ذكر الموت إنما يذكره متمنيا له ليرجحه من ذلك العذاب العاجل الذي عذب به، وذلك البلاء النازل الذي نزل عليه. قد شغله مألقي في الحال عن النظر في المآل وعن التزود من صالح الأعمال، فلا هو من أبناء الدنيا المنعمين ولا من طلابها المدركين، ولا مع الصابرين الراضين الحامدين الشاكرين ولا يزال كل واحد من هؤلاء على حاله مواظبا، ولما هو فيه ملازما، حتى يموت على ما هو عليه، ثم يبقى في البرزخ^(٢١٩) على ما كان عليه، ثم يبعث على ما بقي عليه في البرزخ، أو تنغمده الرحمة، وتغشاه المنة، فيستنقذه ربه تعالى من هذه الغمرات ويأخذ بيده من هذه الهلكات، ويجعل له نورا

(٢١٧) الغيبة: في ز الغيبة والنميمة.

(٢١٨) النصب: التعب.

(٢١٩) البرزخ: المدة التي تفصل بين الموت والقيامة.

يمشي به في الظلمات على ما يرجى من منته وفضله، لا رب غيره ولا معبود سواء.

وربما كان الرجل مبخوتا من أول عمره إلى آخره، فيولد في نعمة ويتربى في نعمة، وينشأ في نعمة، تمد عليه ظلالها وتطول من خلفه أذيالها، ويجدد عليه في كل حين إسعادها وإقبالها قد صار لوالديه ديناً ودنياً، فله يقومان وله يقعدان، وله يهتمان وله يجمعان، وبعينه ينظران وبأذنيه يسمعان ثم يموتان ويسلمان له تلك النعمة بكما لها، ويتركها له على حالها، لم يسمع له فيها أنين، ولا عرق له فيها جبين، فيبقى هو على ما كان عليه، يمد في تلك النعمة يديه ورجليه، ويفتح لها عينيه وأذنيه، فما شاء من لذة نال في الحال، وأخرى تنتظر في المال، كلما نال لذة سعى في الأخرى ٢٥/أ وكلما وصل إلى مطلوب نظر في غيره. لم يصحب إلا شكله، ولا يسمع إلا قوله، ولا رأى إلا عمله وفعله، فإن ذُكِّر بالتوبة أو خُوف بالموت قال دعنا من هذا وحدثنا في غير هذا، هذه سنوات الصبا وأيام الشباب ومنازل اللذات ومرتع الأحباب.

كما قال القائل فيه وفي أمثاله:

نال أموراً خاب من نالها	ثم سعى يطلب أمثالها
وواقعَ الذنب فما هاله	والباذخات الشم قد هالها
وقال هذي سنوات الصبا	فاسحب على رسلك أذيالها
وقم إلى خاتم جريالها	ففضّه واستفّ جريالها (٢٢٠)
ومن يقل في شأننا قوله	فخلها في فم من قالها
أما ترى القضبان ميالة	فامدد على رأسك - ميالها
ومر يستهتر في عصبه	من شكله تصحب أشكالها
أولى له ثمت أولى له	وتلكم العصبه أولى لها
يا ويحه (٢٢١) من غافل يا له	وتلكم يا ويحها يا لها

(٢٢٠) الحريال: الخمر. وهذا البيت سقط من ز.

(٢٢١) ويحه: في زويله.

وأما أكثر الشباب فيقول : إذا كبرت تبت ، والطلق^(٢٢٢) ممتد ، والميدان عريض ، ولا يرى هذا البائس أنه قد شيع إلى الآخرة من كان أصغر منه سنا ، وأحدث منه بالرحم عهدا ، قد غرته الشبيبة وخدعته الصحة ، وتمكنت منه الغرة بما عنده من الثروة والقوة .

يقول : أنا صحيح ومتى أمرض ومتى أموت ؟ ولا يرى المسكين أن الموت في الشباب أكثر ، وحادثه إليهم فيه أسرع ، وأن الذي يموت في الهرم قليل ، وأن الانسان يموت بغتة ، وإن لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات . كما يروى أن الحسن قيل له : إن فلانا مات بغتة ، فقال : ما تعجبكم من ذلك ؟ إنه لو لم يمت بغتة لمرض بغتة ثم مات ، أما يعلم هذا المسكين^(٢٢٣) المغرور أن الأرض كلها مكان للموت ، وأن الزمان كله وقت للموت ، لا يختص من الأرض بمكان دون مكان ، ولا من الزمان بوقت دون وقت ، فلا يزال هذا المغرور منكبا على شهوته ، مثابرا على لذته ، غافلا عن يوم صرعته حتى يؤخذ بما تأخروما تقدم ، ويلقى صريعا لليدين والفم ، إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم^(٢٢٤) ، تبكيه بواك طال ما من حبها أضحكته ، وتندبه نوادب طال ما قبل ذلك غنته .

وفي مثل ذلك قيل :

تندبه نادبة طال ما غنته من قبل وغنى لها
ولم يكن يخطر ذا باله ولم تكن تخطر ذا بالها

فانظر - رحمك الله - كيف يقصر مع هذه الأحوال أمل ، أو يستقيم معها عمل ؟ أو كيف يطمع مع هذه الموانع أن يخرج حب الدنيا من القلب أو يقطع علائقها عن النفس ، أو يخطر بالخطر ذكر الموت ؟ كلا .
حب الدنيا في القلب أرسخ ، وإخراجها منه أصعب ، والنفس إليها أميل

(٢٢٢) الطلق : الشوط ، الانطلاق وعدم التقييد ، الخبل .

(٢٢٣) المسكين سقطت من ش وز .

(٢٢٤) إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم : هذه العبارة سقطت من «ش» و «ز» و «ل» .

وهي بها أشغف، وفي طلبها أهلك وأتلف، وعن طريق الرشد أبعد وأصرف .
وإن حب الدنيا هو الداء العضال الذي أهلك الرجال، وأفسد كثيرا من
الأعمال، إلا أن تأتي العناية الإلهية والشفاعة الربانية، فتصرف الانسان إلى
النظر الصحيح، وتحمله على الطريق المستقيم، فيرى بعين الحقيقة وصحيح
البصيرة أنه لا بد من الموت وإن طال المدى وامتد الطلق وبعدت الغاية وأنه يدفن
تحت أطباق الثرى، ويرمي به في ظلمات الأرض، ويسلط الدود على جسده،
والهوام على بدنه، فتأخذه من قرنه إلى قدمه ٢٥/ب وقد عدم الطبيب،
وأسلمه القريب، وتركه الولي والحبیب، وعرض عليه عذاب السعير، وأناه منكر
ونكير، ولم يجد هنالك أنيسا إلا عمله، ولا صاحبا إلا فعله الذي فعله . كما قال
القائل :

اسلمني الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عني فينا وحشتا
وغادروني معدما يائسا ما بيدي اليوم إلا البكا
وكل ما كان كأن لم يكن وكان ما حاذرته قد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى قد صار في كفي مثل الهبا (٢٢٥)
ولم أجد لي مؤنسا هاهنا غير فجور كان لي أو تقى
فلو تراني أو ترى حالتي بكيت لي يا صاح (٢٢٦) مما ترى
وأما الدنيا فينظر إليها، فإن كان ملكا نظر إلى من تقدمه من الملوك، وما
فعل الدهر بهم، كيف فرق جموعهم وشتت جميعهم، واقفرت منهم قصورهم،
وعمرت بهم حفرةم وقبورهم .

وينظر إلى أيام ملكه هل يخلو من عدويكابه، أو منازع يكايده أو قتال
يكافحه، أو مرض يهجم عليه، أو خلط سوء يثور معه .
وأنه كما قيل تمرة بجمرة، إن نال لذة تجرّع بعدها غصة، وإن آتته فرحة
غشيته في أثرها ترحة (٢٢٧)، بل ربما كانت الترحات أكثر من الفرحات، والداهية

(٢٢٥) الهبا: الهباء ما يرى سابحا في الشمس إذا دخلت البيت من كوة .
(٢٢٦) يا صاح: أي يا صاحبي ويسمى هذا في النحو الترخيم وهو حذف آخر الاسم المنادى .
(٢٢٧) ترحة: حزن، هم، فقر .

أكثر من العافية، وكلما عظم ملكه عظمت همته، وامتد أمله، وأراد ما لا يمكن، وطلب ما لا يجد، وقد يأتيه النكد من حيث لا يظن، ويدخل معه الهم من حيث لا يحتسب، ولو من جارية يحبها، أو امرأة يشغف بها فيجعلها قبلته، ويصفي لها مودته، ويخلص لها محبته، ويريد منها مثل ذلك، والقلوب قد تتنافر، والمزاج ربما يختلف، والطباع قد لا تتفق، فيرى منها خلاف الذي يريد ويجد عندها غير الذي يطلب، ولا يقدر على معاقبتها، لأنه إن عاقبها إنما يعاقب نفسه، وإن آلمها إنما يؤلم قلبه، فتجده يتحمل منها ما لا يتحمل من بعض رعيته، فبينما هو ملك إذ قد صار مملوكا، وبينما هو رئيس إذ قد عاد مرؤوسا.

كما قد سمع وتحقق عن بعض الملوك، حتى قال أمير المؤمنين هارون الرشيد، وقصته مشهورة:

ملك الثلاث الأنسات عنائي (٢٢٨) وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهنّ في عصيان
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني
وقد تكون صادقة في محبتها، مخلص في مودتها، فيتهمها في ودادها، ولا يصدقها في إخلاصها لشدة كلفه (٢٢٩) بها، وفرط محبته لها، لأنه يتخيل أن عيشه لا يطيب، وسروره لا يتم، وفرحه لا يكون إلا بأن تخلص له المودة من قلبها، وتجبه من ذات نفسها، وقد تكون له كما يريد، فيخلع عنانه معها، ويستوي سروره بها، فيصاب فيها بمرض، أو يفجع فيها بموت، فيعود الفرح حزنا، والسرور هماً.

كما يروى في قصة يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين أنه كان مشغوبا بجارية يقال لها حبابة، وكانت قد ملأت قلبه، وأطاشت عقله، وأذهبت لبه، ونزلت من نفسه حيث أرادت، وحلت منه ٢٦/أ بالمحل الذي شاءت، وكان قد نزل منها بالمكان الذي نزلت منه.

(٢٢٨) العنان: اللجام والمراد أنهن تحكمن فيه كما يتحكم الفارس بالفرس عندما يمسك لجامه.

(٢٢٩) الكلف: التعلق والحب الشديد.

فقال يوما لحاجبه : لا تأذن اليوم عليّ لأحد ، ولا تخبرني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي .

وخلا بجاريته تلك في مجلس أنسه ومكان سروره ، ومعه من الدنيا ما يكون مع مثله ، فبينما هما على ما اشتھيا إذ أخذت حبة رمان فأدخلتها في فيها ، فشرقت بها ، فتخبطت حتى خرجت روحها بين يديه .

فلا تسأل عن حال يزيد وما طرأ عليه وما حل به ، فقد الصبر والعقل ، وتولّه وتحيرّ وتدلّه ، وأكثر الصراخ والبكاء والصياح ، والعجيج والضجيج . ومنع من دفنها ، وصد عن مواراتها ، وأقامت على ذلك الحال أياما حتى تغيرت وأنتنت .

فاجتمع إليه بنو أمية وعزوه فيها وصبروه عنها ، وسألوه في دفنها ، وقالوا له يا أمير المؤمنين هذه فضيحة بنا وسبة (٢٣٠) علينا ، وأي فائدة لك في تركها؟ وكم عسى أن تبقى على هذه الحالة؟ وكم عسى أن تدوم على هذه الصفة؟ فلم يزالوا به حتى كلمه النساء ممن يكرم عليه من أهله وسراريه ، إلى أن أمر بدفنها ، وخرج في جنازتها على رجليه .

فلما دفنت تمثل على قبرها بيتين لكثير:

وإن تسلّ عنك النفس أوتدع الهوى . فبالأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائل من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

ثم أخرجها من قبرها بعد شهر ، وجعل يعانقها ويقبلها ، فاجتمع عليه أهله وبنو عمه من بني أمية ، وقالوا له : ما هذا يا أمير المؤمنين؟! والله لئن سمع بهذا لتخلعن من ملكك ، ولينقضنّ عليك أمرك ، وليقومن في مقامك هذا غيرك ، فأقصر عن هذا الهيئان وسكن من ذلك الهيجان ثم لم يزل واجدا عليها محزونا بموتها إلى أن مات ولم يعيش بعدها إلا يسيرا ، وكذلك غيره وغيره ، ويروى أنه ما عاش من بعدها إلا تسعة أيام أو نحوها .

ويروى (٢٣١) أن الهادي أمير المؤمنين كان له جارية تسمى غادر، وكانت أحظى من عنده وأغلبهم على قلبه، وأملكهم لنفسه، وكانت من أحسن الناس وجها وأطيبهم غناء، كان إبراهيم الموصلي هو الذي ربّاها وأدبها وعلمها وباعها بعشرة آلاف دينار.

فبينما الهادي يوما يشرب مع ندمائه، وهي تغنيهم من وراء الستارة، إذ عرض له فكر وسهو وتغير لون، وقطع الشراب فقال له ندماءؤه: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: وقع في فكري أي أموت، وأن أخي هارون يلي الخلافة بعدي ويتزوج جاريتي غادر هذه، فقالوا له: نعيذك بالله يا أمير المؤمنين، ويطيل الله بقاءك، وتقدم نحن وهو بين يديك ونموت قبلك، فقال لهم: ليس هذا مما يزيل ما في نفسي، ثم أمر أن يؤتى برأس هارون، ثم رجع عن ذلك وأمر بإحضاره، فعرفه بما خطر بباله، فاستعطفه هارون وجعل يكلمه بما يوجب زوال ما في نفسه، ويخضع له ويتذلّل، فلم يقنع بذلك، وقال: لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك به، أي إذا مت لم تتزوج جاريتي هذه غادر، قال: افعل. فأحلفه بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج راجلا وغير ذلك من الأيمان المؤكدة أنه لا يتزوجها أبدا، فحلف له بجميع ذلك، فرضي وسكن ذلك الخاطر عنه.

ثم قام إلى الجارية، ودخل عليها السر، فأحلفها بالأيمان المؤكدة من الحج والعتق والصدقة، وما يحلف به النساء أنها لا تتزوجه أبدا، قال: فلم يلبث بعدها إلا شهرا أو نحوه حتى مات.

وولى هارون الخلافة بعده، فلما ولي بعث إلى الجارية فخطبها، فقالت: يا أمير المؤمنين، كيف بأيماني وأيمانك؟ قال: اكفر عن أيماني وأيمانك وأحج راجلا، ففعل، وتزوجها، فوقعت من قلبه ألطف موقع، وشغف بها أشد من شغف أخيه الهادي، حتى كانت تسكر وتنام في حجره، فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه.

فبينما هي ليلة نائمة في حجره إذ انتبهت فزعة مرعوبة، فقال لها: مالك

(٢٣١) من هنا انفردت به نسخة ل.

فديتك؟ فقالت له : رأيت أحاك الهادي الساعة في النوم ، فأنشدني :
أخلفت وعدي بعد ما جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في أيمانك الكذب الفواجر
وحللت في أهل البلى وغدوت في الحور الغرائر
ونكحت غادرة أخي صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الإلف الجديد د ولا تدّر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت : ثم وليّ عني ، ولكأنها مكتوبة في قلبي ، ما نسيت منها كلمة .
فقال لها هارون : هذه أحلام الشيطان ، فقالت : كلا والله يا أمير
المؤمنين ، ثم اضطربت بين يديه ، وتخبّطت حتى خرجت روحها تلك الساعة .
ولا تسل عن هارون وما لقي عليها .

وكذلك إن لم يكن ملكا وكان وزيرا أو غير ذلك من أصناف الناس ،
وصفاتهم في قلب الدنيا بهم معلومة ، وأحوالهم فيها مشهورة وكل واحد منا
يعلم هذا من نفسه ، ويراه من غيره .

وانه ليس من إنسان إلا وله شرب من الكدر ، ونصيب من الهم ، يقل
عند إنسان ويكثر عند آخر . فإذا أخذ نفسه بهذه الأفكار ، وعرض عليها هذا
الاعتبار أعرض عن الدنيا ولم يلتفت إليها ولا شغل نفسه بها ، وتذكر الموت
وخاف فجأته ولم يأمن بغتته ، ولم يسمع إلا وجبته ، ولا رأى إلا صدمته وصرعته ،
والله تعالى ولي التوفيق بفضلله وطوّله ، لا رب غيره ولا معبود سواه .
وأنشدوا :

سجعت هذه الحمامة سجعا	فتذكرت أنت ألفا وربعا
لا شيء إلا لأنك ناس	مصرعا قد تقدمت فيه صرعى
وحديثا من بعده وحديثا	وحديثا يُجري فؤادك دمعا
يا جهولا وغافلا وظلوما	كل هذي جمعن عندك جمعا
ما لأمالي انتجعت سناها	حيث لاحت بروقها حيث تسعى

خَلْبُ أَبْرَدُ المناهل ماء مهمل أجذب المراتع مرعى
شغلت نفسك اللجوج وأعمت منك عينا وأثقلت منك سمعا
فتخطيت بالدواء أَسَاءَ لم يروا للدواء عندك نجعا
ومحال بأن يرى فيك شحم لانتجاع وانت جسمك ترعى (٢٣٢)
واعلم رحمك الله انه من كان منتظرا لعقاب أن ينزل به من أمير بلده أو
عظيم قريته ، فإنه لا يزال متألم القلب مشغول النفس ، وبحسب النوع الذي
يخاف من العقاب يكون ألم قلبه وشغل نفسه .

فإنه من توعدده الأمير بأن يضربه مائة سوط ، فإنه أشغل سرا من توعدده أن يضربه
عشرة أسواط ، ومن توعدده ان يقطع جارحة من جوارحه كان أكثر توجعا من
توعدده بأن يضربه مائة سوط ، ومن توعدده بأن يضرب عنقه كان أشد خوفا من
توعدده بأن يقطع بعض جوارحه ، وكذلك من توعدده بأن يجعل عليه أنواع
العذاب ويعاقبه بضروب من العقاب حتى يموت تحتها وتخرج نفسه بها ، كان
أعظم جزعا من توعدده بضرب عنقه . هذا هو المتعارف .

فإن وجد إنسان يختار تطويل العذاب ويهون عليه (٢٣٣) رغبة منه في
٢٦/ ب الحياة ما بين موته بالعذاب وسرعة موته بالسيف فهذا رجل قد غلب
عليه الجزع ، وملك قلبه الهلع ، فأطاش لبه وأزال عقله ، حتى منعه من حسن
النظر وأوقعه في سيء الاختيار .

وما منا أحد إلا وقد توعد بالقتل ، لأن الموت قتل في الباطن ، ألا ترى أنه
يقال قتل فلان فلانا ، فيقال بم قتله؟ فيقال : بسيف أو بسكين أو بخنجر أو
خنقه أو غرقه أو بغير ذلك من أنواع القتل ، والموت كالخنق ، فهو إذن قتلة من
القتلات ، وإنما جرت العادة بأن يقال : قتل فلان ، إذا قتله مخلوق ، وقد يقال
قتل الله فلانا وهو قد مات من علة أو مات بغتة ، ولم يكن لمخلوق في ذلك فعل .
فقد بان لك اذن أن كل واحد منا ينتظر القتل ، ولا فرق بين أن يشب
عليك إنسان بسيف أو بسكين أو خنجر أو بغير ذلك ، فيقتلك ، أو يشب عليك

(٢٣٢) هذه الأبيات انفردت بها نسخة ل .

(٢٣٣) ويهون عليه : سقطت من زوش .

ملك الموت فيقبض روحك .

فلو كشف للناس عن أبصارهم فرأوه حين يثب عليك ، وشاهدوه في الباطن حين يأخذ روحك ، لما كان بينه وبين إنسان يقتلك - في الظاهر - فرق ، إلا أن الانسان يحتاج إلى آلة يقتل بها من سيف أو سكين أو غير ذلك ، والملك لا يحتاج إلى شيء من ذلك .

فإن أخذك إنسان ورؤّعك (٢٣٤) وحبسك للقتل وهددك ثم قتلك ، فاجعل ذلك الألم الذي تجده من حبسه وترويعه وتهديده ، كالذي يصيبك من المرض أو مما كان من العلل قبل الموت ، ثم تموت .

ومعلوم أن من الأمراض ما يقوم ألمه مقام التهديد ، والوعيد ، بل منها ما هو أشد وأشق ، كوجع الاحتقان ، ووجع الحصى وغيرهما ، وقد شوه من الناس من مات من وجع الحصى ووجع الاحتقان .

وليس القتل الذي هو الضرب بشيء على يد مخلوق ، ولا ما يكون على يد غير المخلوق ، كالهدم والغرق والحرق وغير ذلك مما يزيد في شدة الموت ، ويكثر من ألمه ووجعه ، لأن هذه كلها أسباب للموت ، والموت شيء آخر ، وهو أمر إلهي ينزل بالروح لا يعلم حقيقته إلا الذي ينزل به .

قال أبو حامد (٢٣٥) - رحمه الله - : اعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها على الحقيقة إلا من ذاقها ، ومن لم يذوقها فإنما يعرفها إما بالقياس على الآلام التي أدركها ، وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزاع على شدة ما هم فيه . فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضولا روح فيه لا يحس بالألم ، فإذا كان فيه الروح أحس ، فالمدرك للألم هو الروح ، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر (٢٣٦) إلى الروح ، فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم ، والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء ، فلا يصيب الروح إلا بعض الأثر ، فإن كان في الألم ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره ، فما أعظم ذلك الألم وما أشده .

(٢٣٤) رؤّعك : خوّفك .

(٢٣٥) أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين ٤ / ٤٦١ الباب الثالث في سكرات الموت وشدته .

(٢٣٦) الأثر : في ش وز الألم .

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة ٢٧/ أ وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى جزء من العضو المحرق ظاهراً ولا باطناً إلا وتصيبه النار، فيحسّ به في الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم.

وأما الجراحة فإنها تصيب الموضع الذي يمسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار.

فألم النزع يهجم على نفس الروح فيستغرق جميع أجزائه، فإنه المنزوع والمجذوب من كل عرق من العروق، وعصب من الأعصاب، وجزء من الأجزاء، ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من القرن إلى القائم.

فلا تسأل عن كربيه وألمه، حتى قالوا إن الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح، فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح؟

وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوة في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه وكربيه، لأن الكرب قد بالغ فيه وتضاعد على قلبه شدة ألمه وغلب على كل موضع منه، فهد كل جزء، وأضعف كل جراحة، فلم يترك له قوة الاستغاثة.

أما العقل فقد غشيهِ وشوشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد أضعفها.

ويود أن لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك. فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبه خواراً وغرغرة من حلقة وصدرة. وقد تغير لونه وأربدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل خلقته، وقد جذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر في داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى جفونه، ويتقلص اللسان إلى أصله، وترتفع

الأثنيان إلى أعالي موضعهما، وتخضّر أنامله .

فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه، ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما، فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم، وليس هو من عرق واحد بل من العروق كلها .

ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا، فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة، حتى يبلغ بها الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها، وينغلق دونه باب التوبة، وتحيط به الندامة والحسرة .

ويروى (٢٣٧) أن العبد يقول للملك الموت عند الموت : يا ملك الموت اخبرني يوما استعنت فيه وأتوب إلى ربي وأعمل صالحا، فيقول له : فريت الأيام فلا يوم، فيقول : أخبرني ساعة، فيقول : فريت الساعات فلا ساعة، فتبلغ الروح الحلقوم، فيؤخذ بكظمه عند الغرغرة، فيغلق باب التوبة دونه ويحجب عنها، وتنقطع الأعمال وتطوى الصحف وتتم الأوقات، ويبقى عدد الأنفاس يشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحد بصره، فإذا كان في آخر نفس يدركه ما سبق له من السعادة، فتخرج روحه على الإيمان، فذلك حسن الخاتمة، أو يدركه ما سبق له من الشقاوة، فتخرج روحه على الكفر أو الشك، وذلك سوء الخاتمة، ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله .

٢٧/ ب وأنشد بعضهم :

كأنني بنفسي على ضعفها	تَجَرَّعُ رُغْمًا كؤُوسَ الردى
وقد كشف الله عنها الغطا	فحنت هناك لكشف الغطا
ومُدَّتْ إليها يد فظة	لفظ غليظ شديد القوى
فما شئت من نفس ضيق	وجذب عروق وقطع الحشا
ونفس تساق أشد مساق	فتضغط في لهوات الفتى
ولا دافع يرتجى دفعه	ولا قائل ما به يفتدى
ومالي انتصار ولا لي قرار	ومالي من حيلة ترتجى

(٢٣٧) من هنا إلى : ثم نعوذ بالله، انفردت به نسخة «ل» .

فدعني ويومي أبكي له
وأنشدوا أيضا:

يا ندما أندمه يس في
إذا أرسى الموت على لبتى (٢٣٨)
ولم يكن لي عنه من مخلص
وحشرجت نفسي في صدرها
وكل ما تدريه من نخوة
قد عاد ذاكم كله ذلة
وذاكم المال الذي كنت قد
قد حيل مابيني ومابينه
غير تبعات تحملتها
فكيف لا أندم أو كيف لا
فيا إلهي والذي جوده
رحماك في واهي القوى بائس
قد حجبته عنك آثامه
إن لم ينله عفوك المرتجى
فاعف إلهي عنه واغفر له
أولا فمن ذا جوده يرتجى

ذلك من ريب ولا شك
وحال بين الفك والفك
ولم أكن عنه بمنفك
كأنها تمخض في مسك (٢٣٩)
في ومن عجب ومن فتك
يظل منها شامتي يبكي
جمعته من زور ومن إفك
وزال عن حكمي وعن ملكي
تكثرت من همي ومن معكي (٢٤٠)
ملء جفوني بدم أبكي
سال لذي الاخلاص والشك
في عيشه من حالة ضنك
ورد عن بابك بالصك
وتحتويه سعة الملك
واعدل به عن هوة الهلك
غيرك أو عن فضله نحكي

ويروى أن النبي ﷺ دخل على مريض فقال: إني لأعلم ما يلقي، ما
فيه عرق إلا ويألم للموت على حدته (٢٤١).

وكان علي رضي الله عنه يحرض على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا،
والذي نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت علي فراش.

(٢٣٨) اللبة: المنحر، موضع القلادة من الصدر.

(٢٣٩) تمخض في مسك: تمخض وتحرك في قرية جلد كما يفعل باللبن.

(٢٤٠) للمك: الدلك، الذلة والاهانة.

(٢٤١) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث سلمان بسند ضعيف.

وقال شداد بن أوس: الموت أفضع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشر المناشير، وقرض المقاريض، وغلي في القدور، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت لما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم (٢٤٢).

ودخل الحسن البصري رحمه الله على رجل مريض، فوجده في سكرات الموت، فنظر إليه وقال: إن أمرا هذا أوله ينبغي أن يتقى (٢٤٣) آخره، وإن أمرا هذا آخره، ينبغي أن يزهد في أوله.

ويروى أن النبي ﷺ كان عنده قدح من ماء عندما نزل به الموت، فجعل يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت، وروى يدخل يده في الاناء ويمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، وفاطمة ابنته رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه، وهو يقول: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

ذكره البخاري ومسلم والنسائي وغيرهما، ذكر كل واحد منهم أشياء لم يذكرها صاحبه.

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا معشر الحوارين ادعوا الله لي أن يهون علي ٢٨/أ هذه السكره، يعني الموت، فقد خفت من الموت مخافة أوقعني خوفا من الموت على الموت.

وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته في الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفا في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار. (٢٤٤).

وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: لوددت أني رأيت رجلا ليبيّا حازما قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، فلما نزل به الموت قيل: يا أبا عبد الله، قد كنت تقول في حياتك: وددت أني رأيت رجلا ليبيّا حازما قد نزل به

(٢٤٢) الإحياء ٤/٤٦٣.

(٢٤٣) يتقي: يتجنب.

(٢٤٤) الإحياء: ٤/٤٦٣.

الموت يخبرني عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم ، وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه .

فقال : أجد كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما ، وكأن نفسي يخرج من ثقب إبره ، وكأن غصن شوك يجري من هامتي إلى قدمي .
ويروى عن مكحول رحمه الله عن النبي ﷺ أنه قال : لو أن شعرة من شعرات الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما اتوا بإذن الله تعالى ، لأن في كل شعرة من الميت الموت ولا يقع الموت على شيء إلا مات . (٢٤٥)
وأنشدوا :

ماذا تؤمل والأيام ذاهية ومن ورائك للآمال قطاع
وصيحة لهجوم الموت منكرة صُمت لوقعتها الشنعاء أسماعُ
وغصة بكؤوس أنت شارها لها بقلبك آلام وأوجاع (٢٤٦)
يا غافلا وهو مطلوب ومتّبع أتاك سيل من الفرسان دفاع
خذها إليك طعانا فيك نافذة تعدي الجليس وأمرليس يسطاع
إن المنية لو تلقى على جبل لأصبح الصخر منه وهو مياع
ويروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما مات قال الله عز وجل له :
كيف وجدت الموت؟ قال : كسفود جعل في النار ثم أدخل في صوف رطب ثم
جذب ، فقال الله تعالى : أما إننا لقد هواناه عليك يا إبراهيم . (٢٤٧)

ويروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال
له : يا موسى ، كيف وجدت الموت؟ فقال : وجدت نفسي كالعصفور حين يلتقي
في المقلَى ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير (٢٤٨)

ويروى عنه أنه قال : وجدت نفسي كشاة حية بيد القصاب تسليخ .
وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار : يا كعب حدثنا عن الموت ،

(٢٤٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في رواية ابن ميسرة مرسلا ، وهو حسن الاسناد الإحياء ٤/٤٦٣ .
(٢٤٦) سقط هذا البيت من ش .
(٢٤٧) الإحياء ٤/٤٦٣ أيضا .
(٢٤٨) الإحياء ٤/٤٦٣ .

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى. (٢٤٩)

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنهم كانت فيهم أعاجيب، ثم أنشأ يحدث قال: خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله تعالى أن يخرج ٢٨/ب لنا بعض الأموات فيخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا، فبينما هم على ذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر وبين عينيه أثر السجود، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلي؟ فوالله لقد مت منذ مائة سنة وما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت (٢٥٠). وفي الخبر أن العبد الصالح ليعالج سكرات الموت وكروبه، وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول: عليك السلام، لا نجتمع إلى يوم القيامة. (٢٥١)

وأما مشاهدة صورة ملك الموت وما يدخل في القلب منه من الروع والفرع فهو أمر لا يعبر عنه لعظم هوله وفضاعة رؤيته، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يشاهده ويطلع عليه. وإنما هي أمثال تضرب، وحكايات تحكى. يروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال لملك الموت: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض بها روح الفاجر؟ فقال: لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فأعرض عني. فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود الثياب، قائم الشعر، منتن الريح، يخرج من فيه ومناخره هب النار والدخان، قال فغشي على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى. فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا رؤية (٢٥٢) وجهك لكان ذلك

(٢٤٩) نفس المصدر.

(٢٥٠) حكاها الغزالي في الإحياء ٤/٦٢٢ بلفظ روى ولم ينسبه إلى رسول الله ﷺ ولا إلى غيره. وذكر خمسين سنة بدل مائة.

(٢٥١) روى عن إبراهيم بن هذبة، وهو هالك.

(٢٥٢) في ش وز صورة بدلا من رؤية.

حسبه (٢٥٣).

ونظر إبراهيم الزيات رحمه الله إلى أناس يترحمون على ميت، فقال: لو تترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم، إن ميتكم قد نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت وقد رآه، ومرارة الموت، وقد ذاقها، وخوف الخاتمة وقد أمنها. ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إذا قبض ملك الموت روح العبد قام على عتبة بابه ولأهل البيت ضجة، فمنهم الضاربة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية يا ويلها. فيقول ملك الموت: فيم هذا الجزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمرا، ولا أخذت لأحد منكم رزقا، ولا ظلمت أحدا منكم حقا، فإن كانت شكايتكم وتسخطكم عليّ فإني والله مأمور، وإن كانت عليّ ميتكم فإنه مقهور، وإن كانت من ربكم فأنتم به كفرة، ولي فيكم عودة ثم عودة حتى (٢٥٤) لا أبقى منكم أحدا. قال: فلو سمعوا كلامه ورأوا مكانه لشغلوا عن ميتهم وبكوا على أنفسهم.

وأنشد بعضهم:

بكى لأن مات ميت من عشيرته	وقال واحربا (٢٥٥) وصاح يا هربا
وبات فوق حشاه للأسى لهب	إذا أراد خبوا (٢٥٦) فاروالتهبا
ولورأى بصحيح العقل حين رأى	وكشف الله عنه للهوى حُجبا
لما رأى الدهر ميتا أو أحس به	إلا بكى نفسه المسكين وانتحبا
ومن رأى السمر (٢٥٧) في جنبه شارعة	أنى يراها بجنب ناء أو قربا
وطلعة الموت أن تطلع على أحد	أرتبه في نفسه من هولها عجبا

ولعلك تقول: قد ذكرت من هول الموت وشدته وكربه وغصته، وأنه أشد من نشر المناشير وقرض بالمقاريض وأنه . . . وقد شاهدنا ٢٩/أ من بعض

(٢٥٣) حسبه: كافيه.

(٢٥٤) عبارة: حتى لا . . . الخ سقطت من ش وز.

(٢٥٥) واحربا: عبارة يندب بها الميت وتعني الويل والتأسف.

(٢٥٦) الخبو: الخمود والسكون.

(٢٥٧) السمر: الرماح.

الأموات ما يدل على أن الموت ليس كما وصفت ، وأنه إنما هو كأس يسهل على إنسان ويصعب على آخر ، وقد رأينا من الأموات من يتحدث فيوصي ويشهد بهاله وبما عليه ، ونفسه تخرج من قدميه إلى صدره أو إلى حلقه وهو على حاله في وصيته وإشهاده ، وربما ظن من رآه فجأة أنه لا بأس عليه ولا موت عنده ، ثم يموت كذلك ، وما هذه صفة من ينشر بالمناشير ويقرض بالمقاريض ويفعل به ويفعل به . . ولو كان كذلك لمنعه ألم النشر ووجع القرض وكرب الموت عن الكلام والإشهاد ، وعن الوصية بأن يدفن في موضع كذا وكذا ، وأن يكفن في ثوب كذا وكذا .

ولو كان كما قلت فقد رأينا من سرعة خروج بعض الأرواح ما لو كان في الميت أضعاف ما قلت من الشدة لما كان يبالي في ذلك لسرعة خروج روحه وعجلة استلابها .

نعم للموت عند الأكثر مقدمات من الآلام والأمراض والأسقام يبلغ منه البالغ قبل الموت ثم يموت ، وقد تنزل تلك الأمراض والاسقام بآخر فتشرف به على اليقين وتريه المنون قبل المنون ثم تقلع عنه فلا يبقى لها أثر وكأنه ما سمع لها بخبر .

فأقول : صدقت والأمركما قلت ، وقد شوهدي في بعض الأموات ما ذكرت ، وقد علم أن الموت يهون على بعض الناس ويسهل عليه ، وبعضهم أو أكثرهم يشدد عليه ويغص به ، فمن أي الفريقين أنت ؟ ممن يهون عليه أو ممن يصعب عليه ؟ فلا بد لك من أن تشرب بأحد الكأسين وترمي بأحد السهمين ، لا بد لك من ذلك فما الذي يؤمنك أن تطعم أضربه وتسقي أمره وتصلي أشقه وأحره ؟ ما الذي أمنتك من هذا ، وكيفما كان فالموت شره كربه وكأس مرّة حتى ان الإنسان لو عرض عليه مقعده من الجنة وقيل له تموت ثم تصير إليه ربما انقبض عن ذلك وانجمع عندما يذكر له الموت .

كما روى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله أن وليا من أولياء الله عز وجل تبدى له ملك الموت فأخبره برضا الله عز وجل عنه وبشره بالجنة وأنه يموت في وقت قريب حده له .

قال سهل : فقلت له كيف وجدت نفسك عند ذكر الموت ؟ فقال :
أصابني قشعريرة . ثم مات الرجل في الوقت الذي حدّ له .

وقد تقدم لك أن النبي ﷺ كان عند الموت يدخل يده في قدح فيه ماء
ويمسح به وجهه ويقول : اللهم هَوِّنْ علي سكرات الموت .

وقال (٢٥٨) عمر بن صبيح السعيدى : رأيت عبدالعزيز بن سليمان العابد
في منامي بعد موته وعليه ثياب خضر وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ ، فقلت له : يا
أبا محمد كيف كنت بعدنا ؟ وكيف وجدت طعم الموت ؟ وكيف وجدت الأمر
هناك ؟ فقال : أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه ، ولكن رحمة الله تعالى
سترت منا كل عيب ، وما نلتها إلا بفضلته .

وأيضاً فإنك لا تدري بما تسمع نعمة الملك ٢٩ / ب الوارد عليك من
ربك ، ولا بماذا يبشرك ولا بد لك من إحدى البشريين والإعلام بمنزلك الذي
كتب لك من إحدى الدارين ، ولا بد لك من أن يقرع سمعك قوله إما يا ولى
الله أبشر بالجنة ، وإما ياعدو الله أبشر بالنار .

وهذا هو الذي قطع قلوب الخائفين ، وأسأل عبرات التائبين وأسهر ليلي
العابدين .

وإن كنت من جملة الخاطئين وأصحاب الكبائر من المسلمين فلا بد أن
يفتح لك الباب الذي تلج منه ، ويظهر لك العمل الذي تسأل عنه .

وقد تقدم الحديث الصحيح عن الله عز وجل : إذا أحب عبدي لقائي
أحببت لقاءه ، وإذا كره عبدي لقائي كرهت لقاءه .

وإن هذه المحبة وهذه الكراهية لا تكون إلا عند الموت . ذكرت ذلك
عائشة رضي الله عنها . وهذا موضع ذكرى تتفتت لها الأعضاء وتتصدع لها
الأكباد .

وسأذكر لك جملة من كلام المرضى والمختضرين من الصحابة والتابعين .
ومن بعدهم من الصالحين ، وغيرهم من المغترين والجهلة المخدوعين لعله يحرك
منك ، ساكناً وخوفاً منك آمناً ، ويشغلك بعون الله ظاهراً وباطناً .

(٢٥٨) من هنا إلى وأيضاً سقط من ش .

ويروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه مرض ، فقليل له : ألا ندعوك طبيبا؟ فقال : قد رأي . فقالوا : وأي شيء قال لك؟ قال : قال إني فعال لما أريد .

ومرض أبو الدرداء رضي الله عنه ، فقالوا (٢٥٩) له : أي شيء تشتهي؟ قال : الجنة . قالوا : ندعوك طبيبا؟ قال : الطبيب أمرضني . فقال له رجل من أصحابه : يا أبا الدرداء أتشتهي أن أسامرك الليلة؟ فقال أبو الدرداء : أنت معافي وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك أن تسهر ، والبلاء لا يدعني أن أنام ، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر ، ولأهل البلاء الصبر .

ولما اشتد المرض على عمر بن عبدالعزيز جاءوه بطبيب ، فلما دخل عليه ورآه قال : إنه قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع بصره عمرو قال : لا يؤمن أيضا الموت على من لم يسق السم فقال الطبيب : وهل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال : نعم عرفت ذلك حين وقع في بطني . قال : تعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك . فقال عمر : ربي تبارك وتعالى خير مذهب إليه ، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت إليه يدي ، اللهم خّر (٢٦٠) لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى مات رضي الله عنه .

ومرض الربيع بن خثيم رضي الله عنه فقالوا له : ألا ندعوك طبيبا؟ فتفكر وقال : أين عاد وثمود وأصحاب الرس وقرون بين ذلك كثير ، قد كانت فيهم الأدوية والأطباء ، فلا أرى المداوي بقي ولا المداوى ، كل قد قضى (٢٦١) ومضى ، والله لا أدعولي طبيبا أبدا .

وذكر ابن جهم في كتابه عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد قال : خرجت إلى مكة على طريق البصرة ومعني جماعة فقراء وفيهم شاب كنت أميل إليه لحسن سمته (٢٦٢) ٣٠/أ ومراعاة حاله واشتهاره بذكر ربه وكثرة مناجاته

(٢٥٩) من هنا إلى : فقال له رجل سقط من ز .

(٢٦٠) خّر له : أي اختر .

(٢٦١) قضى : مات .

(٢٦٢) سمته : السمّت : هيئته .

وتملقه (٢٦٣)، فلما وصلنا إلى المدينة شرفها الله تعالى مرضى مرضا شديدا وانفرد عنا فسرت إليه مع جماعة من أصحابنا نتعرف خبره، فلما رأينا شدة ما به قال بعضنا: لو أحضرنا له طبيبا ينظر إليه ويرى علته فلعله يكون عنده دواء فاستمع الشاب مقالته فتبسّم من ذلك وقال: يا مشايخي ويا أحبائي ما أقبح المخالفة بعد الموافقة، من أراد الله له حالا وأراد هو غيرها أليس قد خالف الله في إرادته؟ قال أبو يعقوب: فخرجنا من كلامه، فنظر إلينا وقال: لو علمتم داء القتل لطلبتم لدائه دواء، إن الأمراض والأسقام فيها تطهير وتكفير وتذكير، ودواء القتل مشاهدة النفس وموافقة الهوى.

ثم أنشأ يقول:

بيد الله دوائي وبعلم الله دائي
إنما أظلم نفسي باتباعي لهوائي
كلما داويت دائي غلب الداء دوائي

فقمنا من عنده وتركناه، يريد بقوله داء القتل: الداء الذي يقتل صاحبه وهو اتباع الهوى.

وقيل لحسان بن أبي سنان في مرضه: كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير إن نجوت من النار (٢٦٤).

وقال بعض الصالحين: دخلنا على مغيرة الخراز وهو مريض، فقلنا له: كيف تجدك؟ فقال: أجدني موقرا (٢٦٥) بالآثام. فقلنا له: فما تشتكي؟ قال: الحسرة على طول الغفلة. قلنا: فما تشتهي؟ قال: الإنابة إلى ما عند الله والنقلة عما يكرهه الله. قال: فبكى القوم جميعا.

ودخل الحسن البصري على عطاء السلمي وهو مريض، فوجده قد علاه الغبار والصفار، فقال: يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار فكان يضربك

(٢٦٣) تملقه: تقرّبه.

(٢٦٤) من وقيل لحسان إلى هنا سقط من «ل».

(٢٦٥) موقرا: مثقلا.

الهواء فتجد له راحة، فقال له: يا أبا سعيد وبهذا تأمرني، إني لأستحي من الله عز وجل أن أخطو خطوة في راحة بدني.

وقال منصور: دخلت على عطاء السلمي بعد هذا أعوده وهو مريض، فرأيته يتبسم فعجبت من ذلك، فكأنه فهم عني.

فقال: أتعجب يا ابن أخي؟ فقلت: وكيف لا أعجب؟ فقال: وكيف لا أضحك وقد دنا فراقني ممن كنت أخافه وأحذره، ودنا قدومي على خالق كنت أرجوه وآمله، أتجعل مقامي مع مخلوق أخافه كقدومي على خالق أرجوه، قال هذا قبل أن يحضره وينزل به الموت.

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على بعض المتعبدين وهو مريض فقلت: كيف تجدك؟ فقال: بحال شريفة، أسير كريم، حبس جواد مع أعوان صدق، والله لو لم يكن لي مما ترون عوضا إلا ما أودع قلبي من محبته لكنت خليقا أن أدوم على الرضى عنه، زما الدنيا وما غاية البلاء فيها؟ هل هو إلا ما ترون من هذه العلة؟ ويوشك إن اشتد بي الأمر أن يدخلني إلى سيدي، ولنعمت العلة رحلت بمحب إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه.

ويروى أن مالك بن دينار رحمه الله دخل على شاب يعود، فوجده خيالا على فراشه كالشن^(٢٦٦) البالي، فسأله عن حاله فلم يستطع الجواب بلسانه فأشار بطرفه^(٢٦٧)، فبينما نحن كذلك ٣٠/ب إذا بصوت المؤذن فسمعناه يقول كما يقول المؤذن ويشير بأصبعه عند الشهادتين، ثم أمر ولده فوضأه ثم أمره أن يوجهه إلى القبلة ليصلي راقدا بالإيماء. ثم قال: يا مالك البلاء منه سبحانه راحة مع بقاء الايمان، يا مالك نعمه لا تعد وبلاؤه واحد، قال مالك: فتعجبت من يقينه وصبره وصدق وفائه وخالص محبته، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات رحمه الله.

وقال عبد الله بن عتبة عدت رجلا مريضا، فلما قعدت عنده قلت له:

كيف تجدك؟ فقال:

(٢٦٦) الشن: الجلد.

(٢٦٧) طرفه: عينه.

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أقل^(٢٦٨) الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيلي أجل كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط صورتي غداة أتى يومي عليّ وساعتي

ولما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاءته ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فلما رآته تمثلت بهذا البيت :
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف أبو بكر عن وجهه وقال : ليس كذلك ولكن قلني : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

ثم قال : في كم كفّن رسول الله ﷺ ؟ قالت في ثلاثة أثواب بيض سحولية . فقال أبو بكر : خذوا هذا الثوب - لثوب كان عليه قد أصابه مسك أو زعفران - فاغسلوه ثم كفّنوني فيه مع ثوبين آخرين ، وكان ثوبا خلقا ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ما هذا ؟ تريد أنه خلق . فقال أبو بكر : الحي أحوج إلى الجديد من الميت ، إنها هذه للمهل ، يريد الصديد والقيح . ثم سمع منشدا في البيت ينشد :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فالتفت إليه أبو بكر رضي الله عنه وقال : ذاك رسول الله ﷺ . وصدق أبو بكر فهذا البيت قاله أبو طالب عم رسول الله في قصيدته التي مدح بها رسول الله ﷺ ، وقال فيها :

وما ترك قوم لا أبالك سيذا يحوط الذمار غير ذرب مواكل^(٢٦٩)
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل^(٢٧٠)

(٢٦٨) أقل : حمل .

(٢٦٩) الذمار : ما يلزمك حمايته . والذرب : الفاحش المنطق . والمواكل : الذي لا جد عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

(٢٧٠) ثمال اليتامى : الذي يقوم بهم . والقصيدة في سيرة ابن هشام ١ / ٣٠٠ في أربعة وتسعين بيتا . وقال ابن هشام : بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل
كذا قال أبو طالب: «يلوذ به الهلاك من آل هاشم». ولم يدر أنه ﷺ يلوذ
به الهلاك من بني آدم.

ويروى عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه قال: لما احتضر أبو بكر الصديق
رضي الله عنه أتاه ناس من أصحابه فقالوا له: يا خليفة رسول الله إنا نراك ألم
بك فأوصنا بوصية وزودنا منك بموعظة. فقال من قال هذه الكلمات ثم مات
جعل الله روحه في الأفق المبين. فقالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاع بين يدي
العرش فيه رياض وأشجار وأنهار، فمن قال هذا القول جعله الله في ذلك
المكان.

اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقاً للنعيم
وفريقاً للسرير، فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسرير، اللهم إنك خلقتهم وميزتهم
قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغويّاً ورشيداً فلا تشقني
بمعاصيك. اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس ٣١/أ قبل أن تخلقها، ولا
محيص (٢٧١) لهم مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك، اللهم إن أحداً لا
يشاء إلا ما تشاء فاجعل مشيئتي أن أشاء ما يقربني إليك، اللهم إنك قدرت
حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك، اللهم
إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلني من
خير القسمين، اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً
فاجعلني من ساكني جنتك، اللهم إنك أردت الضلال بقوم وضيق به
صدروهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي، اللهم إنك دبرت الأمور
فجعلت مصيرها إليك فاحيني حياة طيبة وقربني إليك زلفى، اللهم من أصبح
وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتي ورجائي، ولا حول ولا قوة إلا بك.

قال أبو بكر: وهذا كله في كتاب الله عز وجل.
وقال الشعبي رحمه الله لما طعن عمر رضي الله عنه أتى بلبن فشرب منه

(٢٧١) لا محيص: لا مفر ولا مهرب.

فخرج اللبن من طعنته ، فقال : الله أكبر ، وعلم أنه يموت . فجعل جلساؤه يثنون عليه خيرا ، فقال : وددت أن أخرج من الدنيا كفافا كما دخلت لا علي ولا لي ، والله لو كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع . ولما احتضر غشي عليه ورأسه في الأرض ، فوضع ابنه عبدالله رأسه في حجره ، فلما أفاق قال له : ضع رأسي على الأرض كما (٢٧٢) أمرتك فقال له ابنه : يا أبت وهل الأرض وحجري إلا سواء؟ قال : ضع رأسي على الأرض كما أمرتك ، فوضعه .

قال : فمسح خديه بالتراب ثم قال : ويل لعمر! ويل لعمر! ويل لأم عمر إن لم يغفر الله لعمر فإذا قضيت فاسرعوا بي إلى حفرتي ، فإنما هو خير تقدموني إليه أو شر تضعونه عن رقابكم .

ولما احتضر عثمان بن عفان رضي الله عنه جعل يقول ودمه يسيل : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم أني أستعين بك على أموري ، وأسألك الصبر على بلائي .

ولما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه بكى ، ف قيل له : ما يبكيك؟ قال : والله ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ قال : ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ، فلما مات نظر في جميع ما ترك ، فإذا قيمته ثلاثون درهما ، وقد كان أميرا على المدائن ، مدائن كسرى .

ويروى أن امرأته قالت وهو في الموت : واحزنه! فقال سلمان : بل وا طرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه .

ومثل هذا القول يروى أيضا عن بلال رضي الله عنه أنه قال عند موته : غدا نرى الأحبة محمدا وحزبه .

ويروى أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما دنا منه الموت دعا بحرسه ورجاله ، فلما دخلوا عليه قال : هل تغنون عني من الله شيئا؟ قالوا : لا . قال : فافترقوا عني ، ثم دعا بهاء فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قال : احملوني إلى المسجد ،

(٢٧٢) من هنا إلى فوضد سقط من ش وز .

ففعّلوا ٣١/ب فقال : استقبلوا بي القبلة ، ففعّلوا . فقال : اللهم إنك أمرتني فعصيت واثتستني فخنّت ، وحددت لي فتعديت ، اللهم لا بريء فأعتذروا ولا قوياً فأنتصر ، بل مذنب مستغفر لا مصر ولا مستكبر . ثم قال : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فلم يزل يرددها حتى مات .

وقوله لحرسه ورجاله : هل تغنون عني من الله شيئاً ، إنما فعل ذلك تصغيراً لنفسه وتحقيراً وليربها رؤية مشاهدة أن الذين كانوا يغنون عنه في الدنيا لا يغنون عنه عند نزول الموت شيئاً .

ويروى أن ابنه عبد الله قال له : يا أبت ما كنت أظن أن ينزل بك أمر من الله إلا صبرت عليه ، فقال يا بني نزل بأبيك ثلاث خصال : فراق أحبته ، وانقطاع أمله ، والثالثة هول المطلاع . ثم قال : اللهم إنك أمرت فتوانيت ، ونهيت فعصيت ، اللهم من شيمتك العفو والتجاوز .

ولما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة رضي الله عنه قال : أقعدوني . فأقعدوه فجعل يذكر الله تعالى ويسبحه ويقده ، ثم قال : الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهدام ؟ ألا كان ذلك وغصن الشباب نضير ريّان ؟ وبكى حتى علا بكأوه ثم قال :

هو الموت لا منجى من الموت والذي أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال : يارب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي ، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة ، وجُدْ بحلمك على من لم يرج غيرك ولا وثق ، بأحد سواك ثم قال لابنه يزيد : يا بني إذا وفي أجلي فاعمد إلى المنديل الذي في الخزانة فإن فيه ثوباً من أثواب رسول الله ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره ، فاجعل الثوب مما يلي جسدي واجعل أكفاني فوقه واجعل القراضة في فمي وأنفي وعيني ، فإن نفعني شيء فهذا ، فإذا جعلتموني في قبري فخلوا معاوية وأرحم الراحمين .

ويروى أنه قال في جملة ما قال : ياليتني كنت رجلاً من سائر قریش بذى طوى ولم أل من هذا الأمر شيئاً .

ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : يبكيني بُعد

المفازة وقلة الزاد وضعف اليقين والعقبة الكؤود التي المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار.

ولما حضرت حذيفة بن اليمان الوفاة قال : اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك . اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظماً الهواجر^(٢٧٣) وقيام الليل ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء في خلق الذكر . ولما اشتد به النزع جعل كلما أفاق من غمرة فتح عينيه وقال : يارب شد شداتك واخنق خنقاتك ، فوعزتكَ إنك لتعلم أني أحبك .

ومثل هذا يروى عن محمد بن المنكدر رضي الله عنه أنه لما نزل به الموت بكى ، ف قيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت ، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وقيام ليالي الشتاء . وكذلك يروى عن عامر بن قيس .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه لما حضر وقد نزل به الموت : ليعاين الناس غدا من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشر . كشف له رضي الله عنه عن سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظم تجاوزه ما أوجب أن قال هذا .

٣٢/أ ولما دنت الوفاة من عمر بن عبدالعزيز رحمه الله بكى ، ف قيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ أبشر فقد أحيا الله تبارك وتعالى بك سنة وأظهر عدلاً ، فبكى ثم قال : أليس أوقف ثم أسأل عن هذا الخلق ؟ والله لو عدلت فيهم لخفت أن لا تقوم نفسي بحجتها عند الله تعالى إلا أن يلقتها حجتها ويشبتها ، فكيف بكثير مما ضيعت ، ثم بكى .

ويروى عن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبدالعزيز هذا أنها قالت : كنت أسمع عمر بن عبدالعزيز في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتي ولوساعة من نهار ، فلما كان اليوم الذي مات فيه خرجت من عنده فجلست في بيت قريب منه ، بيني وبينه باب ، فسمعتة يقول :

(٢٧٣) . الهواجر : جمع هاجرة وهي نصف النهار حين يشتد الحر .

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ .

ثم بعد ذلك هدأ فلم أسمع له حركة ولا كلاماً ، فقلت لو صيف لنا انظر إلى أمير المؤمنين ما صنع (٢٧٤) فلما دخل عليه صاح ، فأسرعت إليه فإذا هوميت رحمه الله .

ويروى أنه لما قرب موته قال : أجلسوني ، فلما أجلسوه قال : اللهم أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، قالها ثلاث مرات ، فإن عفوت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ثم قال : لكن أرجو خيراً بقولي (٢٧٥) : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

ثم أهدّ النظر فقليل له في ذلك ، فقال : أرى حضرة ماهم يأنس ولا جان . ثم خرج من كان عنده ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات رضي الله عنه . ويروى أنه قيل له وقد اشتد مرضه : أوصنا يا أمير المؤمنين فقال : أحذركم هول مصرعي هذا .

ويروى أنه دخل عليه قبل أن يموت بأيام ابن أبي زكريا أو أحد الفقهاء ، فتذاكرا الآخرة فبكى عمرو بكى الرجل ، ثم دَعَا الله جميعاً وسألاه أن يقبضهما إليه جميعاً ، فجاء ابن صغير لعمر يدب ، فقال عمر : وهذا معنا فإني أحبه ، فماتوا ثلاثتهم قريباً أو في جمعة واحدة .

ويروى عن عبد الملك بن مروان أنه لما حضره الموت نظر في موضع له مشرف إلى رجل ويده ثوب وهو يضرب به المغسلة ، فقال : يا ليتني كنت مثل هذا الرجل أعيش من كسب يدي يوماً بيوم ولم أل من هذا الأمر شيئاً .

وقال له رجل : كيف تجددك يا أمير المؤمنين؟ قال تجدني كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ .

ويروى أنه قال عند موته أيضاً يذم الدنيا : إن طويلك لقصير ، وإن كبيرك

(٢٧٤) من ثم بعد ذلك إلى هنا سقط من ش .
(٢٧٥) لكن أرجو خيراً بقولي : سقطت العبارة من ش وز .

لصغير، وإن كنا منك لفي غرور.

ولما حضرت الوفاة أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين، تمثل بهذه الأبيات :

المرء يأمل أن يعي ش وطول عيش قد يضره
تبلى بشاشتته ويبقى بعد حلو العيش مره
وتحزنه الأيام حتّى لا يرى شيئاً يسره
كم شامت بي أن هلكت وقائل لله دره

ثم قال للربيع : يا ربيع هذا السلطان، لا سلطان من يموت . ثم قال :
اللهم إني ارتكبت الجرائم من الذنوب جرأة عليك وأطعتك في أحب الأشياء
إليك شهادة إن لا إله إلا الله منّا منك لا منّا عليك، اللهم اجعل ذلك قرينة لي
عندك، ثم مات من ساعته .

وعن محمد بن منصور البغدادي قال : دخلت على عبدالله بن طاهر وهو
في سكرات الموت، فقلت: السلام عليك أيها الأمير، فقال : لا تسمني أميراً
وسمني أسيراً، ولكن أكتب عني بيتين ما أراهما إلا آخر بيتين أقولهما، ثم أنشأ
يقول :

بادر فقد أسمعك الصوت إن لم تبادر فهو الفوت
من لم تزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت
ولما نزل الموت بهشام بن عبد الملك أمير المؤمنين نظر إلى أولاده وأهله
يبكون حوله فقال لهم : جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم
هشام ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب، ما أعظم منقلب هشام ! وما أسوأه إن لم
يغفر الله له !

وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ينتقي أكفانه بيده وينظر إليها ويقول :
« ما أغني عني ماليه، هلك عني سلطانيه » .

ويروى عن الأصمعي أنه قال : دخلت على هارون الرشيد، فرأيتَه ينظر
في الكتاب، ودموعه تسيل على خديه، فوقفت حتى سكن، وحانت منه
التفاته، فنظر إليّ وقال : اجلس، ثم رمى بالقرطاس إليّ، فإذا فيه شعر لأبي
العتاهية :

الخلق مختلف جواهره
ولقل من تصفو إرادته
الناس في الدنيا ذو وثقة
والموت لو صح اليقين به
لا خير في الدنيا لذي بصر
وسبيلنا في الموت واحدة
من كان للصالحات مدخرا
يامن يريد الموت مهجته
هل انت معتبر بمن خربت
وبمن أذل الدهر مصرعه
وبمن خلت منه أسرته
درست محاسن وجهه ونفى
أين الملوك وأين غيرهم
يا مؤثر الدنيا للذته
نل ما بدالك أن تنال من الد

ولقل ما تزكو سرائره
وصح باطنه وظاهره
والدهر مسرعة دوائره
لم ينتفع بالعيش ذاكره
عميت لما فيها نواظره
يتلو أكابره اصاغره
فستستبين غدا ذخائره
لا شك مالك لا تبادره
منه العدة معا دساكره
فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه منابره
عنه النعيم ثرى يياشره
صاروا مصيرا أنت صائره
والمستعد لمن يفاخره
نيا فإن الموت آخره

ثم قال الرشيد: والله لكأني المخاطب بهذا دون الناس. قال: فلم يلبث
إلا يسيرا حتى مات.

وقال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله: لما اشتدت علة
هارون الرشيد وسار إلى طوس هوّ الأطباء عليه علته وحقروا أمرها، فأرسل
ماءه في قارورة مع جملة قوارير، فعرضت على متطبب فارسي كان هناك فجعل
ينظر إليها قارورة قارورة ويقول ما يقول حتى أتى على القارورة التي فيها ماء
هارون الرشيد فنظر فيها فقال: عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك بعد ثلاث
فمروه فليوص فإنه لا براء له من علته هذه. فأتى الغلام هارون فقال له: ما قال
لك؟ فجمجم الغلام ولم يبين، فعزم عليه فأخبره بما قال وقال قال عرفوا صاحب
هذا الماء أنه هالك بعد ثلاث، فبكى هارون بكاء شديدا وتمايل على فراشه

وجعل ينشد :

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع مقدور القضا
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يرى مثله فيما مضى
ذهب المداوي والمداوي والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى
واشتد ضعفه عندما سمع كلام الطبيب ، وأرجف الناس بموته ، فلما
بلغه ذلك دعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقط ولم يقدر ، أن يثبت على السرج ،
فقال : صدق المرجفون ، ثم دعا بأكفان فنشرت بين يديه فجعل يختار منها ما
يصلح .

ثم أمر بقبره فحفر ، فلما اطلع عليه جعل يقول : «ما أغنى عني ماليه ، هلك
عني سلطانيه .

ومثل هذا القول مروى عن أبي شجاع فناخسرو بن عضد الدولة يروى
أنه لما نزل به الموت لم يسمع منه إلا قوله : «ما أغنى عني ماليه هلك عني
سلطانيه» ويروى أنه قال قبل ذلك شعرا يمدح به نفسه منه قوله :

ليس شرب الراح إلا في المطر وغناء من جوار في السحر
غالبات سالبات للنهى ناعمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

قال أبو منصور الثعالبي . . لم يفلح بعد هذا البيت . . يعني قوله : عضد
الدولة . . الخ .

ولما حضرت أمير المؤمنين المأمون الوفاة أمر بجل دابته ففرش له ،
فاضطجع عليه ووضع الرماد على رأسه وجعل يقول : يا من لا يزول ملكه
ارحم اليوم من قد زال ملكه .

ويروى أنه قيل له في صباه : إنك تموت في أرض يقال لها «مدرجلك» ،
فلما ولي الخلافة وأقام ما أقام غزا بلاد الروم ، فلما انصرف من غزاته نزل
بموضع فيه عين ماء عظيمة ، لها قعر عميق ، فاطلع فيها فرأى في قعرها حوتا

كبيراً، فأمر به فأخرج وجعل بين يديه، فانتفض الحوت انتفاضة، فرشه بما كان عليه من الماء، فأخذته قشعريرة، وحُمّ، فسأل عن اسم الموضع الذي هوفيه، فذكر له اسم اعجمي، قال فسّروه، ففسّروه «مد رجلك» فلما سمع ذلك تفكر فيما قيل له، فأيقن بالموت، فأمر بجُلّ دابته ففرش له، فاضطجع عليه، وأمر أن يضاف به على هذه الحالة، وأمر المنادي أن يقول هذا القول «يا من لا يزول ملكه ارحم اليوم من قد زال ملكه».

وكان المعتصم أخوه يقول عند موته - وكان قد ولي بعده - لو علمت أن عمري هكذا قصير ما عملت ما عملت، وجعل يقولها ويبكي.

ولما حضرت المنتصر الوفاة جعل يضطرب، فقالوا لا بأس عليك يا أمير المؤمنين. فقال: تقولون هكذا لا بأس عليك ذهبت عني الدنيا والآخرة وتقولون لا بأس عليك؟!.

ولما حضرت أمية بن أبي الصلت الوفاة أغمي عليه، ثم أفاق وجعل يقول:

ليكما ليكما ها أنذا الديكما

لا برىء فأعذر، ولا قوى فأنتصر، ثم أغمى عليه وأفاق، فجعل يقول:

إن تغفر الله تغفر جمًّا وإي عبد لك لا ألما
ثم أغمى عليه وأفاق، فأنشأ يقول:

كل عيش وإن تطاول دهرا فمصيره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
ولما حضرت عبدالله بن علي الوفاة قال: ما أغفلني أمس عن مصرعي اليوم!

وقال أبو سليمان الداراني: دخلنا على عابد وقد حضره الموت وهو يبكي، فقلنا له: ما يبكيك رحمك الله؟ فأنشأ يقول:

(٢٧٦) جُلّ الدابة: وهو كالثوب للانسان تصان به.

وحق لمثلي بالبكا عند موته ومالي لا أبكي وموتي قد اقترب
ولي عمل في اللوح أحصاه خالقي فإن لم يجد بالعفو صرت إلى العطب^(٢٧٧)
وقال عبدالله بن العلاء: شهدت أعرابيا قد نزل به الموت فشخص ببصره
ثم قال:

كل آت فإنه سوف يأتي أنت ياموت هاذم^(٢٧٨) اللذات
يرحم الله أعظما باليات أصبحت في عساكر الأموات
ويروى أن ابن المنكدر رحمه الله عندما نزل به الموت بكى، فقيل له: ما
بيكيك؟ فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أي أتيته، ولكنني أخاف أن أكون قد
أذنبت ذنبا حسبته هينا وهو عند الله عظيم.

وقد روى عنه كلام آخر يدل على علو منزلته وارتفاع درجته.
وقيل لجابر بن زيد عند موته: ما تشتهي؟ فقال: نظرة إلى الحسن، فجاء
الحسن، فلما دخل عليه قيل له: هذا الحسن، فرفع طرفه وقال: يا اخوتاه
الساعة أفارقكم إما إلى الجنة وإما إلى النار، ٣٣/أ.

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي عند موته: اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون
أنك لا تفعل. فكان عمر بن عبدالعزيز تعجبه هذه الكلمة.

وذكر ذلك للحسن البصري فقال: أقالها؟ قالوا نعم. قال: عسى.
وقال سليمان التيمي: دخلت على بعض أصحابنا وهو في الموت فرأيت
من جزعه ما ساءني، فقلت: هذا الجزع كله لماذا وقد كنت تحمد الله على كذا،
يعني على حالة صالحة، فقال: ومالي لا أجزع؟ ومن أحق مني بالجزع؟ والله لو
أتيتني المغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه فيما أفضيت به إليه.

وقال بعض الصالحين لغلامه - وقد حضره الموت - يا غلام شد كتافي وعفر
بالتراب خدي، ففعل الغلام. ثم قال: دنا الرحيل اللهم لا براءة لي من ذنب،
ولا عذر لي فأعتذربه، ولا قوة فانتصر بها. ثم قال: أنت لي [ثلاثا]، ثم صاح
صيحة ومات.

(٢٧٧) العطب: الموت، الهلاك.

(٢٧٨) هاذم: هزم الشيء: قطعه بسرعة.

فسمعوا صوتا يقول في البيت : استكان (٢٧٩) العبد لمولاه فقبله وأدناه (٢٨٠)
ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى ، فقبل له : ما يبكيك؟ فقال :
أبكي لتفريطي في الأيام الخالية وقلة عملي للجنة العالية ، وما ينجليني من النار
الحامية .

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى ، فقبل له : ما يبكيك؟ فقال :
انتظر رسولا من ربي يشرفني بالنار أو بالجنة .

وقال حماد بن سعيد بن أبي عطية المذبوح : لما حضر أبا عطية الموت
جزع ، فقالوا له : أتجزع من الموت؟ فقال : وما لي لا أجزع وإنما هي ساعة فلا
أدري أين يسلك بي .

ولما حضرت الوفاة فضيل بن عياض رحمه الله غشي عليه ، ثم أفاق وقال :
يأبعد سفري وقلة زادي .

وكان عامر بن آيس يصلي كل يوم ليلة ألف ركعة ، فلما حضره الموت
بكى ، فقبل له : ما يبكيك؟ قال أبكي لقوله تعالى : ﴿إنما يتقبل الله من
المتقين﴾ (٢٨١)

وقد تقدم عنه كلام آخر قاله عند الموت أيضا . ولما (٢٨٢) نزل الموت
بسليمان التيمي قيل له أبشر فقد كنت مجتهدا في طاعة الله تعالى ، فقال : لا
تقولوا هكذا فإني لا أدري ما يدولي من الله عز وجل فإنه يقول سبحانه : «وبدا
لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» (٢٨٣) قال بعضهم : عملوا أعمالا كانوا يظنون
أنها حسنات فوجدوها سيئات .

وكان الجنيد يقرأ القرآن وهو في سياق الموت ويصلي فحتم فقبل له : في
مثل هذه الحال يا أبا علي؟ فقال : ومن أحق مني بذلك وما هو ذا تطوى صحيفة
عملي ثم كبر ومات .

(٢٧٩) استكان : ذل وخضع .

(٢٨٠) أدناه : قرّبه .

(٢٨١) آية ٢٧ المائدة .

(٢٨٢) من هنا إلى سيئات سقط من ش .

(٢٨٣) آية ٤٧ الزمر .

وقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال : ما نسيتهُ فأذكره .
ولما نزل الموت ببشر الحافي وكان على عليائه (٢٨٤) من العبادة والزهادة شق (٢٨٥) عليه وساء ذلك ، فقيل له : أتحب الحياة يا فلان ؟ فقال : يا قوم القدوم على الله شديد .

ولما حضر أبا سليمان الداراني الموت قال له أصحابه : أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم . فقال لهم : ألا تقولون تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير .

فأبوسليمان هذا غلب عليه الخوف في هذه الحالة فتكلم عن حاله .
٣٣/ ب وقيل لِرُويم عند الموت : قل لا إله إلا الله . فقال : ما أحسن غيرها .
وكان رويم هذا من الصالحين ، ويروى أنه كان يدعو الطير فتجيبه .
واحترض بعض الصالحين فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : عليك أبكي . قال : إن كنت باكية فابكي على نفسك فأما أنا فقد بكيت على هذا اليوم منذ أربعين سنة .

ولما حضرت أبا علي الروذباري الوفاة وكان رأسه في حجر ابنته فاطمة ، ففتح عينيه ثم قال : هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زخرفت ، وهذا قائل يقول : يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها . ثم قال : وحققك لانظرت إلى سواك بعين مودة حتى أراك أراك معذبني بفتور الحظ (٢٨٦) وبأخذ المورد من حياك أراك منعّمي بجميل ظن وبالأمن المكرم من رضاك فلو قطعتني في الحب إربا (٢٨٧) لما نظر الفؤاد إلى سواك (٢٨٨) وكان أبوعلي هذا ممن يعبد الله لذاته ، وكان يقول : لا أريد الجنة ونعيمها ، إنما أريدك يا رب .

(٢٨٤) عليائه : علوشأنه .

(٢٨٥) شق : صعب .

(٢٨٦) اللحظ : العين .

(٢٨٧) إربا : عضوا .

(٢٨٨) الأبيات الثلاثة الأخيرة سقطت من ش و ز .

وكذلك كان ممشاد الدينوري ، لما نزل به الموت جعل بعض المشايخ يدعو له فضحك وقال : منذ ثلاثين سنة تعرض عليّ الجنة بما فيها فما نظرت إليها .
ويروى أن بعض الصالحين ضحك عند موته وقال : صادق يا وفي ، وفيت لي وما وفيت لك .

ويروى عن عبدالله بن المبارك أنه لما احتضر نظر إلى السماء فضحك ثم قال : لمثل هذا فليعمل العاملون .

ومثل هذا يروى عن بعض أصحاب ابن فورك وكان من الصالحين الكبار المجتهدين ، انه لما نزل به الموت شخص ببصره إلى السماء ثم قال : يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون .

وفتح ابن بنان عينيه عند الموت فقال : ارتع فهذا مرتع الأحاب .
وخرجت روحه .

ولما نزل الموت بأبي يعقوب النهرجوري رحمه الله قال له أبو الحسن المزيّن : قل لا إله إلا الله . فتبسم أبو يعقوب وقال : إياي تعني؟ وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة ثم خرجت روحه من ساعته .
وكان أبو الحسن يأخذ بلحية نفسه ويقول : يا حجام مثلك يلقن أولياء الله الشهادة؟ وكان إذا ذكر هذه القصة بكى .

وقال الجنيد : دخلت على سري السقطي رحمه الله تعالى عند الموت وكان ممن أحرق قلبه الخوف ، فقلت له : كيف تجدك؟ فقال : كيف أشكو إلى طبيبي ما بي ، والذي قد أصابني من طبيبي؟

قال الجنيد : فأخذت المروحة لأروح عليه ، فقال : كيف يجد روح المروحة من قلبه يحترق؟ ثم أنشد :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الأسى والشوق والقلق
ثم ذكر الله تعالى ومات رحمه الله .

وقيل لذي النون عند موته : ما تشتهي؟ فقال : أشتهي أن أعرفه تبارك وتعالى قبل موتي بلحظة .

لم يقل هذا القول ذو النون المصري رحمه الله لجهله بالله تعالى لكنه كان يستقل معرفته ٣٤/أ، وصدق في هذا فشأن الله أجل وأعظم من أن يحاط بمعرفته أو يبلغ كنه وصفه .

ويروى عن عبدالله بن شبرمة أنه قال : دخلت مع عامر الشعبي على مريض نعوده ، فوجدنا لما به ، ورجل يلقيه الشهادة ويقول له :

قل لا إله إلا الله ، وهو يكثر عليه ، فقال له الشعبي : ارفق به ، فتكلم المريض وقال : إن يلقيني أولاً يلقيني فإني لا أدعها ، ثم قرأ ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها﴾ (٢٨٩) وأهلها . فقال الشعبي : الحمد لله الذي نجى صاحبنا . (٢٩٠)

وحكى أن قوماً من أصحاب السبلي قالوا له عند موته : قل لا إله إلا الله . فأنشد :

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السُّرْجِ
وعليلاً أنت زائره قد أتاه الله بالفرج (٢٩١)
وجهك المأمول حجتنا يوم تأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجاً يوم أدعو منك بالفرج

يريد السبلي أن القلب إذا امتلأ واشتغل بعظمة الله وجلاله لم يحتج إلى منبه ينبهه ولا إلى مذكّر يذكره .

ويروى أن الجنيد بن محمد دخل على بعض المشايخ فوجده في سياق الموت ، فقال له الجنيد : قل لا إله إلا الله . فنظر إليه الشيخ شزراً . فأعاد عليه الجنيد ، فلم يقلها ، فأعاد عليه ، فلم يتكلم . فقال له الشيخ : يا جنيد تذكرني بالتوحيد وأنا منذ ثلاثين سنة أبكي عليه ولا أسلو عنه ؟ يا جنيد إني مشاهد

(٢٨٩) آية ٢٦ الفتح .

(٢٩٠) تذكرة القرطبي ٣١ .

(٢٩١) سقط هذا البيت من ش .

حبيبي ومستأنس به .

ويروى أن إبراهيم بن أدهم دخل على بعض العباد يعوده ، فوجده في الموت أو في مقدمات الموت ، فجعل العابد يتنفس ويتأسف ، فقال له إبراهيم : علام تتأسف رحمك الله ؟ فقال : ما تأسفي على النقلة من دار الدنيا دار الأحزان والأسقام والخطايا والذنوب ، ولكن أسفي على يوم أفطرته أوليلة نمتها أو ساعة غفلت عن ذكر الله فيها ولكن يا أخي إن وقع في هذا تقصير فلم يقع في التوحيد تقصير ، ما عبدت سواه ولا وحدث غيره ولا سكن في قلبي محبة شيء إلا محبته . ودخل المزي على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه ، فقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال : أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ، ولسيء عملي ملاقيا ، ولكأس المنية شاربا ، وعلى ربي تبارك وتعالى واردا ، ولا أدري روعي للجنة فأهنيها أو للنار فأعزها . ثم أنشد (٢٩٢) :

ولما قسا قلبي وضاعت مذاهبي	جعلت الرجاء مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوعن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يغو بإبليس عابد	وكيف وقد أغوى صفيك آدماء

وقال عطاء بن يسار رحمه الله تعالى : تبدى (٢٩٣) إبليس لعنه الله لعابد عند الموت فقال له نجوت يا هذا ، فقال : ما أمنتك بعد .

ولما حضرت الحسن بن هانيء الوفاة ، أنشد :

دب في السقام سفلاً وعلوا	وأراني أموت عضوا فعضوا
ليس من ساعة مضت بي إلا	نقصتني بمرها بي جزوا
لهف نفسي على ليال وأيا	م قضيتهن لعبا ولهوا
قد أسأت كل الاساءة فال	لهم صفحا وغفراناً وعفوا

(٢٩٢) الإحياء ٤/ ٤٨٤ .

(٢٩٣) من هنا ، إلى ما أمنتك بعد سقط من زوش .

ولما حضرت الوفاة أحمد بن خضرويه ، سئل عن مسألة ، فقال : يا بني باب أدقه منذ خمس وسبعين سنة وهاهوذا يفتح لي الساعة ، ولا أدري بما يفتح لي ، بالسعادة أم بالشقاوة ٣٤/ ب فآن لي أوان الجواب (٢٩٤)

ويروى عن مالك بن دينار أنه دخل على جاره وقد نزل به الموت فقال له الرجل : يا مالك إني أرى جبلين من نار وأنا أكلف الصعود عليهما . قال مالك : فسألت امرأته عن حاله ، فقالت : كان له مكيالان يأخذ بأحدهما ويعطي بالآخر ، قال : فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر فكسرتهما . ثم قلت له : ما ترى ؟ قال : ما أرى الأمر يزداد إلا شدة .

وروى أن رجلا نزل به الموت وعند رأسه صندوق فيه مال ، فجعل يشير إليه ويقول : النار في الصندوق ! النار في الصندوق ! ويروى أن طلحة بن عبيد الله القرشي عاد مريضاً فوجده في الموت فسمع صوتاً وهو يقول :

ناد رب الدار ذا المال الذي جمع المال بحرص ما فعل فأجابه آخر :

كان في دار سواها نائماً علته (٢٩٥) بالمنى ثم انتقل ويروى أنه ما من ميت يموت إلا ويكلمه ملكاه اللذان يكتبان عمله في الدنيا ، فإن كان مطيعاً قالوا له : جزاك الله من صاحب خيراً فرب كلام حسن قد اسمعته ، ورب مجلس خير قد أجلسته ، ورب عمل صالح قد أحضرته فنحن لك اليوم على ما تحب .

وإن كان فاجراً قالوا له : جزاك الله من صاحب شراً فرب كلام قبيح قد أسمعته ، ورب مجلس سوء قد أجلسته ، ورب عمل سوء قد أحضرته فنحن لك اليوم على ما تكره .

(٢٩٤) الأحياء ٤/ ٤٨٤ .

(٢٩٥) شغلته وأهله .

الباب الأول

من أخبار بعض الأموات عند الموت

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك ، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ، فرجع الملك إلى الله عز وجل فقال : إنك أرسلتني إلى عبدك لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني ، قال : فردّ الله عليه عينه وقال : ارجع إلى عبدي فقل له : الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة ، قال : ثم مه؟ قال : ثم تموت ، قال : فالآن من قريب رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال : رسول الله ﷺ فوالله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر^(١).

وروى أن عيسى عليه السلام من برأس ميت فضربه برجله وقال تكلم بإذن الله تعالى ، فتكلم وقال : يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس على سرير ملكي ، عليّ تاجي وحوالي حشمي وخدمي وجندي إذ تبدى لي ملك الموت ، فزال مني كل عضو على حياله ، وخرجت نفسي إليه ، فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ، وياليت ما كان من ذلك الأنس وحشة .

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : كان داود عليه السلام رجلاً غيورا ، وكان إذا خرج غلق الأبواب ، فغلق ذات يوم أبوابه وخرج ، فأشرفت امرأته فإذا برجل في الدار ، فقالت : من ادخل هذا دارنا؟ لئن جاء داود

(١) مختصر صحيح مسلم الحديث رقم ١٦/٣ .

فرآه ليلقين منه عنتاً^(٢)، فجاء داود فرآه فقال : من أنت؟ فقال : أنا الذي لا أهاب الملوكة ولا يمنعني الحجاب قال : فأنت إذن والله ملك الموت ، ثم قبض روحه .

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان إبراهيم عليه السلام غيورا ، وكان له بيت يتعبد فيه ، فإذا خرج أغلقه ، فخرج ذات يوم بعدما أغلق بابيه ، فإذا هو برجل في جوف البيت ، فقال له : من أدخلك دارنا؟ قال : ادخلنيها رها ، فقال : أنا رها ، قال ادخلنيها من هو أملك لها منك ، فقال له إبراهيم : من أنت من الملائكة؟ قال : ملك الموت ، فقال له هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال : نعم فأعرض عني ، فأعرض عنه فإذا هو بشاب ٥٢/أ فذكر من حسن وجهه وطيب ريحه ، فقال : يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ، ثم قبض روحه .

قال وهب بن منبه : كان ملك من الملوك أراد الخروج إلى أرض له ، فلبس أحسن ثيابه ، وركب أفره^(٣) دوابه ، وخرج في خاصته وجنوده ورجاله ، فنفخ الشيطان فيه نفخة ملأه كبرا وعجبا ، فكان يمشي ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبرا وإعجابا بنفسه ، فتصدى له رجل رث^(٤) الهيئة فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه ، فأخذ بلجام دابته فقال له : ويلك لقد تعاطيت أمرا عظيما كف يدك عن اللجام ، فقال له : أنا ملك الموت ، فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه وقال : سألتك إلا ما تركتني حتى أرجع إلى أهلي وأودعهم وأقضي حاجتي منهم ، فقال : لا والله لا رأيت أهلك أبدا ، وقبض روحه ، فخر كخشبة ملقاة .

ثم لقي آخر في مثل حاله إلا أنه كان متواضعا ، فتعرض له فسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال له : إن لي إليك حاجة وأريد أن أذكرها لك في أذنك ، فقال : هات ، فأعطاه أذنه ، قال : أنا ملك الموت ، فقال له : مرحبا بمن طالت

(٢) العنت : الشدة ، المشقة ، الهلاك .

(٣) أفره : أنشط .

(٤) رث : يلبس البالي من الثياب .

غيبته عليّ فوالله ما كان غائب أحب إليّ من أن ألقاه منك، فقال له ملك الموت : اقض حاجتك التي خرجت إليها، قال لا، هذه الحاجة أهم حوائجي ٥٢/ب ومالي حاجة أهم عليّ ولا أحب إليّ من لقاء الله عز وجل، قال : فاختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك، قال : وتقدر على ذلك؟ قال : بذلك أمرت، قال : فدعني حتى أتوضأ وأصلي، وتقبض روحي وأنا ساجد، قال : نعم فتوضأ وصلى ثم قبض روحه في سجوده .

وقال بكر بن عبدالله : جمع رجل من بني إسرائيل مالا، فلما أشرف على الموت قال لبنينه : أروني أصناف أموالي التي جمعت، فأتي بشيء كثير، فلما رآه بكى، تحسرا، فقال له ملك الموت : ما يبكيك؟ فوالله ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك، فقال له : أمهلني حتى أفرقه، قال : هيئات انقطعت المهلة فهلا كان هذا قبل حضور أجلك؟ ثم قبض روحه .

ويروى أن رجلا جمع مالا فأوعى، ولم يدع صنفا من أصناف المال إلا اتخذه، ثم ابتنى قصرا وجعل عليه حجابا وحراسا، ثم جمع أهله وعياله وصنع لهم طعاما، وقعد على سريره ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون، ثم قال : يا نفسي تنعمي سنين فقد جمعت لك ما يكفيك، فما فرغ من كلامه حتى أقبل ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فقرع الباب بشدة عظيمة، فوثب إليه الغلمان فقالوا له : ويلك ما شأنك ومن أنت؟ فقال : ادعوا إليّ مولاكم، قالوا : إلى مثلك يخرج مولانا؟! !

قال نعم . فأخبروا مولاهم فقال : هلا فعلتم به وفعلتم، فقرع الباب قرعة أشد من الأولى، فوثب إليه الحرس، فقال : أخبروه أي ملك الموت، (٥) فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والخشوع فقال : قولوا له يدخل وقولوا له قولنا، فدخل فقال له : اصنع بمالك ما أنت ٥٣/أ صانع فيني لست بخارج عنك حتى أخرج بنفسك فأمر بهاله فجمع، فلما رآه قال : لعنك الله من مال فأنت شغلتنني عن عبادة ربي ومنعتني عن النظر لنفسي، فأطلق الله عز وجل المال فقال : لم تسبني وبني جلست مجالس الملوك، وبني نكحت المتنعات، وبني

(٥) من هنا إلى : فلما رآه، سقط من ش .

فعلت وفعلت ، وكنت تنفقني في سبيل الشرف فلا أمتنع منك ، ولو أنفقتني في سبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم ، ثم قبض ملك الموت روحه ، فسقط ميتا . وقال يزيد الرقاشي : بينما جبار من جبابرة بني اسرائيل في منزله قد خلا ببعض أهله إذ رأى شخصا قد دخل عليه من باب بيته ، فوثب عليه مغضبا ، فقال له : ويلك من أنت ومن أدخلك داري ، وما حملك على الهجوم عليّ في بيتي ؟ فقال له : أما الذي أدخلني الدار فرمها ، أنا الذي لا يمنعني الحجاب ، ولا أستأذن على الملوك ، ولا أخاف صولة السلاطين ، فأسقط في يد الجبار وأرعد حتى سقط منكباً على وجهه ، ثم رفع رأسه إليه مستخدياً^(٦) متذللاً ، فقال له : فأنت إذن ملك الموت ؟! قال : أنا هو ، قال : فهل أنت ممهلي حتى أحدث عهداً ؟ قال : هيهات ، انقطعت مدتك ، وانقضت أنفاسك ، ونفدت^(٧) ساعاتك ، فليس إلى إمهالك سبيل ، قال : فإلى أين أذهب ؟ قال : إلى عملك الصالح الذي قدمت ، وإلى بيتك الحسن الذي مهدت ، قال : فإني لم أقدم عملاً صالحاً ، ولا مهدت بيتاً حسناً ، قال : فإلى لظى^(٨) ، نزاعه للشوى^(٩) ، ثم قبض روح ، فسقط بين أهله ، فمن صارخة تصرخ ، وبكاءة تبكي . قال يزيد : ولو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل أعظم ، والبكاء أكثر .

(٦) مستخدياً : متقاداً .

(٧) نفدت : فرغت وانقطعت وفنيت .

(٨) تلظى : تلهب ، وتشتعل بشدة .

(٩) الشوى : جمع شواة وهي جلدة الرأس .

الباب الثاني

ما يستحب من أحوال الميت عند الموت وفي تلقين الشهادتين للمسلم وغيره وما يستحب للمسلم من الرجاء وحسن الظن بالله عند الموت

اعلم رحمك الله أن المحبوب من حال الميت عند الموت أن يعلوه الهدوء والسكون، ومن لسانه الكلمة بالشهادتين، ومن قلبه حسن الظن بالله تعالى . وذكر الترمذي من حديث بريدة بن حصيب عن النبي ﷺ أنه قال المؤمن يموت بعرق الجبين، ويروى في خبر أنه قال ارقبوا الميت عند ثلاث : إذا رشح جبينه، وإذا ذرفت عيناه، وبست شفتاه، فذلك من رحمة الله نزلت به، وإذا غط غطيظ المخنوق، وأحمر لونه، وأريدت شفتاه، فهو من عذاب الله نزل به^(١).

وأما انطلاق لسانه بالشهادتين فهو علامة الخير، ودليل السعادة وأمانة الاتصال بالحضرة الإلهية .

وذكر أبوداود من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

وذكر أيضا من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من مات وهو

(١) قال العلامة عبدالرحيم العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/٤٦٥ عن هذا الحديث : أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان، ولا يصح .

يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة^(٢).

وذكر أيضا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله^(٣).

وذكر مسلم من حديث عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة^(٤).

ومن غير كتاب مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: حضر ملك الموت رجلا فنظر في عمله فلم يجد له شيئا، ففك لحيه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله. فغفر الله له بكلمة الإخلاص^(٥). وقال عمر رضي الله عنه: احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ما لا ترون.

وذكر مسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ٣٥/أ فقال رسول الله ﷺ: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه، ويعيدان له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله عز وجل: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم^(٥)». وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء^(٦).

(٢) حديث صحيح روى بصيغ مختلفة كلها صحيحة. انظر جامع الأصول ٣٦٣/٩.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. جامع الأصول ٨٣/١١.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي في الشعب. وإسناده جيد.

(٥) آية ١١٣ التوبة.

(٦) رواه البخاري ١٤٩/٧ في فضائل أصحاب الرسول، وفي الجناز وفي التفسير، ورواه مسلم

رقم ٢٤ في الأيمان. والنسائي ٩٠/٤ و ٩١ في الجناز.

ويروى عن أنس بن مالك أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي فمرض، فأتاه ﷺ يعودُه، فقعده عند رأسه فعرض عليه الاسلام فقال له أسلم، فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. فأسلم، فقام النبي وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار. (٧)

ذكر هذا الحديث البخاري وأبو داود وغيرهما.

وينبغي أن لا يلح على الميت بتلقين الشهادتين. قال ابن المبارك لقنوا الميت لا إله إلا الله، فإن قالها فدعوه، ولأنه يخاف عليه إذا ألح عليه بها أن يبرم ويضجر ويثقلها الشيطان عليه، فيكون ذلك سببا لسوء الخاتمة.

ذكر أبو بكر الدينوري في كتاب المجالسة عن الحسن بن عيسى قال: لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولا: أجعل رأسي على التراب، قال فبكى نصر. فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هذا تموت فقيرا غريبا، فقال: اسكت فإنني سألت الله أن يحيني حياة السعداء ويميتني ميتة الفقراء. ثم قال: لقني الشهادة ولا تعد علي إلا أن أتكلم بكلام ثان.

والمقصود أن يموت الرجل ولا يكون في قلبه إلا الله وحده لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون النجاة بسببه، وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها ولا خير عندها. وأما حسن الظن بالله تعالى عند الموت فواجب، قال عليه الصلاة والسلام: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى (٨). ذكره مسلم. وقال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره لا يحسن أحدكم الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده.

وقال عبد الله بن عباس: إذا رأيتم الرجل قد نزل به الموت فبشروه حتى يلقي ربه وهو حسن الظن بالله تعالى: وإذا كان حيا فخوفوه بربه واذكروا له شدة عقابه.

(٧) رواه البخاري ١٧٦/٣ في الجنائز. وأبو داود رقم ٣٠٩٥ في الجنائز أيضا.

(٨) رواه مسلم رقم ٢٨٧٧ في صفة الجنة. وأبو داود رقم ٣١١٣ في الجنائز.

وقال المعتمر بن سليمان : قال لي أبي عند موته : يا معتمر^(٩) حدثني بالرخص لعلي أن ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به .
وكانوا يستعجبون أن يذكروا العبد بمحاسن عمله عند موته كي يحسن الظن بربه .

٣٥/ ب وقال الفضيل بن عياض : ما دمت حيا فلا يكن شيء عندك أخوف من الله عز وجل ، وإذا نزل بك الموت فلا يكن عندك شيء أرجى من الله عز وجل .
ويروى أن حذيفة بن اليمان لما نزل به الموت قال : حبيب جاء على فاقة قد كنت قبل اليوم أخشاك وأنا اليوم أرجوك .

ويروى عن الحسن بن الليث قال : رأيت محمد بن محمد الرازي في المنام فقلت له يا أبا عبدالله ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي قلت : بم؟ قال : برجائي له منذ ثمانين سنة .

ودخل وائلة بن الأسقع على رجل فوجده في الموت ، فقال : اخبرني كيف ظنك بالله تعالى : فقال الرجل : اغرقتني ذنوبي وأشرفت بي على الهلكة ولكن أرجو رحمة الله تعالى ، فكبر وائلة وكبر أهل البيت لتكبيره ، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا ما شاء^(١٠)

ويروى أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له : كيف تجددك؟ قال : أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال عليه السلام : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه الذي يخاف ، أخرجه الترمذي^(١١) .

ورأى بعض الصالحين الحسن بن هانيء بعد موته في النوم ، فقال له : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي ، قال : بهاذا؟ قال : بأربعة أبيات قلتها في طي فراشي ، فمشى الرجل إلى دار الحسن ، فالتمسها فوجدها ، وهي :

(٩) الاحياء ٤/ ٤٦٦ .

(١٠) رواه البخاري ١٣/ ٣٢٥ في التوحيد . ومسلم رقم ٢٦٧٥ في الذكر وفي التوبة .

(١١) الاحياء ٤/ ٤٦٦ .

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يرجو المسيء المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجاء وجهيل ظني ثم أي مسلم (١٢)

وقال ثابت البناني : كان شاب به حدة وكانت أمه تعظه وتقول له : يا بني إن لك يوما فاذكر يومك ، وإن لك مصرعا فاذكر مصرعك ، فلما نزل به أمر الله تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول : أي بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا ، فقال لها يا أمة إن لي ربا كثير المعروف وإنني لأرجو أن لا يعذبني بكرمه ورحمته . قال ثابت فرحمه الله عز وجل بحس ظنه بربه (١٣) أخبر بذلك في النوم أو أخبر به عنه .

وقال جابر بن عبد الله : كان شاب به زهو ، فنزل به الموت فقالت أمه : يا بني توصي بشيء؟ قال : نعم خاتمي ادفني به فإن فيه ذكر الله تعالى فلعله يرحمني . فلما دفن رئي في المنام فقال : اخبروا أمي أن الله قد غفر لي . وقال ذو النون المصري رحمه الله : كان في جوارى شاب مسرف على نفسه كثير الخطايا ، فمرض فدخلت عليه أعوده فإذا هو قد مات وأوصى أن يكتب على قبره شيء فرأيت في منامي فقلت له ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي . فقلت : بماذا؟ قال : فكرت في جرمي وفي عفوه فرأيت عفوه أكثر من جرمي . قال ذو النون : فلما أصبحت جئت إلى قبره فإذا عليه مكتوب .

حسن ظني بك يا رب جرأتي عليك
فارحم اللهم عبدا صار رهنا في يديك

ويروى عن بعض الصالحين قال : قال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار في

(١٢) الخبر والأبيات انفردت بها نسخة «ل» .

(١٣) الإحياء ٤/ ٤٦٦ .

النوم بعد موته بسنة، فسلمت عليه. فلم يرد علي السلام: فقلت له: لم لا ترد علي السلام؟ قال: وكيف أرد عليك وأنا ميت؟ فقلت له: وماذا لقيت بعد الموت؟ قال: ودمعت عينا مالك عند هذا القول - لقيت أهوالا وزلازل وعظائم وشدائد. قال مالك ٣٦/ أ فقلت له: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم إلا الكرم؟ قبل منا الحسنات، وغفر لنا السيئات، وضمن عنا التبعات كما كان حسن ظني به.

قال: ثم شهق مالك شهقته خر مغشيا عليه فلبث في غشيته أياما مريضا ثم مات من مرضه ذلك، وكان يقال إن قلبه انصدع.

ولولا حسن الظن بالله تعالى لهلك الخلق.

وقال عبدالواحد بن زيد: وما كان سبب موت مالك بن دينار إلا هذه الرؤيا، سألته عنها فقصها عليّ فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده تقطعت في جوفه، ثم هدا فحملناه إلى منزله، فلم يزل مريضا منها يعاد حتى مات.

وقال أبو عمر الضرير: حدثني سهيل أخو حازم قال: رأيت مالك بن دينار في النوم بعد موته بسنة، فقلت له: يا أبا يحيى ماذا فعل الله بك؟ وماذا قدمت به عليه؟ فقال: قدمت عليه بذنوب كثيرة فمحاها حسن ظني به تبارك وتعالى.

وقال عمار بن سيف: رأيت الحسن بن صالح في منامي بعد موته فقلت له: لقد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك؟ أخبرنا. فقال: لم أر شيئا مثل حسن الظن به تبارك وتعالى.

وأنشدوا:

أحسن الظن برب لم يزل	دائم الإحسان برا لم يمل
من غدت نعاؤه في ذا الورى	جُملًا ترفق في إثر جُمل
وسع العالم فضلا وجدا	مرسل العزلاء سجام متصل
وإذا لم تحسن الظن به	فمن تحسن إن خطب نزل
وإذا لم ترجمه من يرتجى	وإذا لم تسألنه من ذا تسل

فلتطب نفسا عليه وله ال
وقالوا أيضا :

احسن الظن ما استطعت بربك
وإذا ما أصبت يوما بضر
وإذا ما انتحاك أمر عسير
وذنوب خبأتهم قديما
تب إليه والجا منها إليه
ودموع الحزين لا تمسكها
واقدر حن في الضلوع نار متاب
وإذا ما تعاظمتك ذنوب
ومرض أعرابي فقيل له : إنك تموت . فقال : فإذا مت أين يذهب بي ؟ قيل إلى
الله تعالى . قال : ما أكره أن يُذهب بي إلى من لا يرى الخير إلا عنده .



الباب الثالث في الجنائز وفضل اتباعها

ذكر البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقراطين، كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل الدفن فإنه يرجع بقيراط^(١)».

وذكر مسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: من صلى على جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط مثل أحد^(٢) واعلم رحمك الله أن في الجنائز عبرة للمعتبرين وفكرة للمتفكرين وتنبهة للغافلين وإيقاظاً للنائمين. بينما الإنسان في قيام وعود ونزول وصعود، وخد هذا ودع هذا، وابن هذا واهدم هذا، وقد كان وما كان، وأين ذهب فلان؟ ومن أين جاء فلان إذ جاءه أمر إلهي وحادث سماوي وحكم رباني فسكن حركته وأطفأ شعلته، وأذهب نضرته، وتركه كالخشبة الملقاة والحجر المرمي، إن صيح به لم يسمع وإن دعي لم يجب، وإن قطع أو أحرق لم يتكلم. إن ربك على ما يشاء قدير.

ولكن حب الدنيا وحجاب الهوى الذي غطى القلوب وأعشى^(٣) البصائر يمنع الفكرة في الجنائز والاعتبار بها، فصارت لا تزيد رؤيتها إلا غفلة، ولا مشاهدتها إلا قسوة، حتى كأن الميت إنما هونائم يستيقظ بعد ساعة وهب عن

(١) البخاري ١٥٨/٣ في الجنائز. جامع الأصول ٤٤٣/٩.

(٢) مسلم رقم ٩٤٦ في الجنائز. نفس المراجع. والقيراط في أصل اللغة هو عرض الأصبع.

(٣) أعشى: العشى ضعف البصر وقد يطلق على العمى.

قريب، أو كأن الذي يراها لا يكون مثلها ولا يدخل مدخلها، وكأن ذلك الميت نزل به ملك الموت وحده وإياه قصد خاصة .

نعم يعلم الانسان منا أن سيموت كما مات هذا ٣٦/ب وتشيع جنازته كما شيعت جنازة هذا، وربما مات بحيث لا تشيع جنازته ولا توارى له جثة، ولكن لا يظن ذلك عن قريب، ولا يحسب أنه منه غير بعيد، قد فسح لنفسه في المدة ومدّها في المهلة، وحكم أنه لا يموت إلا بعد سنين، وإن قال ربما أموت اليوم أو غدا فقول ضعيف لا يتحرك منه بسببه ساكن، ولا يظهر عليه منه أثر نازل، لأنه عند رؤية الجنازة كما كان قبل أن يراها وربما يحدث بحديثه الذي كان يتحدث والميت يدفن أو هو وراءه يشيعه إلى قبره، وإن جاءه ضحكٌ ضحكٌ، وإن حضره نادر من لغو الكلام تكلم به وأودعه صحيفته وبعث به إلى ربه .

وقلما يبكي على الجنازة إلا أهلها تألما لفراقها لا لنفس الموت، كبكاء الصبي والمرأة اللذين لا يعقلان ولا يعلمان، ولو كانوا يعلمون لكان بكاءؤهم على أنفسهم لا على ميتهم، لأن ميتهم قد مات وهم ينتظرون الموت .
وأنشدوا:

أعاذل ^(٤) حتى ما تعذليني	إن لم تعينيني فاتركيني
لومي بما شئت من ملام	ووبخيني وفنديني
ولا تظني بأن حزني	وسقم جسمي وما تريني
أثار ذاكم إن مات ميت	قد كان دنيائي ذا ودين
تركته في القبور فردا	وحيت في دمة الحزين
لا والذي جوده يرجى	كل أوإن وكل حين
ما أنا باك إلا لنفسي	لا لقريب ولا خدين
ومصرع للمنون ضيق	أتل فيه على الجبين
أؤخذ فيه من كل أفق	أخذ شديد القوى متين
فمن أمامي ومن ورائي	وعن شمالي وعن يميني
وفوق رأسي معا وتحتي	من حيث ما رحلت يلتقيني

(٤) العاذل: اللائم .

ولا احتيال ولا افتداء لا برفيع ولا بدون
فخلني عاذلي وشأني فليس شأني من ذي الشئون

واعلم أن الجنازة تمر بالإنسان ولا يدري حالها، ولا يتبين حقيقة مصيرها، وإنما يرجى لها بحسب ما ظهر منها من الطاعات، ويخاف عليها بحسب ما بدا منها من المخالفات، وإن لها كلاماً لو سمعه الإنسان لانصدع له حجاب قلبه وشغله عن بنيه وأهله، بل أذهله عن النظر في خاصة نفسه.

ذكر البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت قدّموني قدّموني، وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلتي أين تذهبون بي، يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق^(٥).

وهما ميتان: فميت يستريح من تعب هذه الدار ويفضي إلى راحة دار القرار، وميت يستريح منه البلاد والعباد ويفضي إلى سوء المصير وبئس المهاد. ذكر أبو قتادة قال: مرّ على رسول الله ﷺ بجنازة، فقال: مستريح أو مستراح منه. فقالوا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وإيذائها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب^(٦).

وذكر هذا الحديث مسلم بن الحجاج وغيره.

وربما يكون منا من يهتز عند رؤية الجنازة ويرتاع عند مشاهدتها ثم لا يلبث أن يعود إلى حاله إلا بمقدار ما يكون بين يديه أو ساعة تمر عليه. [قال أبو عمرو بن العلاء:] جلست إلى جبريروهويملي على كتابه شعرا، فاطلعت جنازة فأمسك وقال: شيبتي والله هذه الجنائز وأنشأ يقول:
تروعننا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات

(٥) البخاري ١٤/٣ في الجنائز. والنسائي ٤١/٤. جامع الأصول ١١/١٢٧.

(٦) رواه مسلم رقم ٩٥٠ في الجنائز، والبخاري ٣١٤/١١ في الرقاق ومالك في الموطأ ١/٢٤١ و ٢٤٢ في الجنائز، والنسائي ٤٨/٤ في الجنائز. جامع الأصول ١١/١٦٣.

كروعة ثلة^(٧) لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات
وكأن هذا البائس الغافل لم يسمع برجل قد شيع جنازة ثم مات المشيع
بعد جمعة، وربما كان بعد يوم واحد ٣٧/أ أو أقل من يوم، أو كأنه لم يعلم أن
هذا الميت كان طويل الأمل ممتد الرجاء، يطمع في العيش ويحرص على البقاء،
حتى هجم عليه ملك الموت في الوقت الذي لم يكن يظن به وقام معه من المكان
الذي لم يكن يحسبه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم بخلاف هذا، كانوا إذا رأوا
الجنازات نظروا إليها نظر المعتبرين، وتكلموا عندها بكلام الموفقين، وكانوا يقولون
القول ويعملون بمقتضاه.

وسأذكر لك من كلامهم وأحكي لك من أقوالهم ما أمكنني، لعله يحرك
منك ساكنًا ويوقظ منك نائمًا. والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا
بالله سبحانه.

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان إذا رأى جنازة قال: امض
ونحن على أثرك.

وكان مكحول الدمشقي رحمه الله إذا رأى جنازة قال: اغد فإنا رائحون،
موعظة بليغة وغفلة سريعة، يذهب الأول، والآخر لا عقل له^(٨).

ومرت بالحسن البصري رحمه الله جنازة فقال: يا لها موعظة ما أبلغها
وأسرع نسيانها، يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ثم قال: يا غفلة شاملة
للقوم، كأنهم يرونها في النوم. ميت غد يدفن ميت اليوم.

وقال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة وحدثت نفسي بشيء سوى ما
يفعل بالميت وما هو صائر إليه^(٩).

ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته، فوقف على قبره

(٧) الثلة: بفتح الثاء وتشديدها: قطع الغنم. والمغار: الإغارة.

(٨) الإحياء ٤/٤٨٤.

(٩) نفس المصدر.

وبكى ثم قال : والله يا أخي لا تقر عيني بعدك حتى أعلم إلى ما صرت إليه ،
ولا والله لا أعلم ذلك ما دمت حيا .

وقال الأعمش : كنا نشهد الجنائز ولا ندري من المعزى فيها لكثرة
الباكين ، وإنما بكأؤهم على أنفسهم لا على الميت .

وقال ثابت البناني : كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا باكيا^(١٠)

وقال إبراهيم النخعي : كانوا يشهدون الجنائز فيرى فيهم ذلك أياما كأن
فيهم الفكرة في الموت وفي حال الميت .

وقال مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه ، أنه كان يلقي الرجل في
الجنائز من خاصة إخوانه قد بعد عهده به فلا يزيده على السلام حتى يظن
الرجل أن في صدره عليه موجدة^(١١) ، كل ذلك لانشغاله بالجنائز وتفكره فيها
وفي مصيرها ، حتى إذا فرغ من الجنائز لقيه وسأله ولطفه وكان منه أحسن ما
عهد .

ورأى عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ رجلاً يضحك في جنازة ،
فقال : أتضحك وأنت في جنازة؟ والله لا أكلمك أبدا .

وفي الخبر أن الله يكره لكم ثلاثا ، العبث في الصلاة ، والرفث^(١٢) في
الصوم ، والضحك عند المقابر .

ولما مات ذر بن عمر بن ذر ووضع في قبره قال أبوه عمر : يا ذر لقد شغلنا
الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ ثم قال :
اللهم إن هذا ولدي ذر متعتني به ما متعتني ، ووفيته أجله ورزقه ولم تنقصه حقه ،
اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي ، وإني قد وهبت له ما فرط فيه ٣٧/ب
من طاعتي ، فهب له ما فرط فيه من طاعتك . اللهم وما وعدتني عليه من الأجر
في مصيبي فقد وهبت ذلك له فهب لي عذابه ولا تعذبه وأنت أجود الأجودين
وأكرم الأكرمين .

(١٠) الإحياء ٤/٤٨٤ .

(١١) موجدة : غضب .

(١٢) الرفث : الفحش ، دواعي الجماع .

قال: فأبكى الناس، ثم قال عند انصرافه: يا ذر ما علينا بعدك من خصاصة، وما بنا مع الله إلى إنسان من حاجة.

يأذر مضيئنا وتركنك، ولو أقمنا عندك ما نفعناك. (١٣)

ألا ترى إلى هذا لم يشغله الحزن على ولده وثمره كبده عن الحزن بما قال وبما قيل له، لأنهم إنما كانوا يقدمون الأهم فالأهم ويبدأون بالأعظم فالأعظم. يروى عن الأصمعي قال: حجت امرأة من العرب ومعها ابن لها فأصيبت به، فلما دفن قامت على قبره وهي موجعة فقالت: يا بني والله لقد غذوتك رضيعا، وفقدتك سريعا، وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشك وأتمتع فيها بالنظر إلى وجهك وبقيت مدة أتذكرك فيها وأذوب فيها بالحزن عليك (١٣).

ثم قالت: اللهم منك العدل، ومن خلقك الجود، اللهم وهبني قرة عيني فلم تتمعني به كثيرا بل سلبتني وشيكاً ثم أمرتني بالصبر عليه ووعدتني الأجر فصدقت وعدك ورضيت قضاءك اللهم ارحم غربته واستر عورته يوم تنكشف العورات وتظهر السوات، فرحم الله من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى.

فلما أرادت الخروج إلى أهلها وقفت على قبره وقالت: أي بني قد تزودت لسفري من الدنيا فليت شعري ما زادك لسفرك ويوم معادك؟ اللهم أسألك الرضى له برضاي عنه. ثم قالت: استودعك من استودعنيك جنينا في الأحشاء وأذاقني عليه غصة الثكلى. واثكل الولدات ما أقل أنسهن وأشد وحشتهن. وصلت عند قبره ركعتين وانصرفت:

ولعلك (١٥) ياهذا من يلبس النعش الثياب الملونة، ويجعل عليه الأردية المصبغة، ويحليه الحلية المبيضة، ويخرجه كالفتاة المحلاة، والعروس المجلاة، ولا يتفكر في ميتة هل كسي أثواب الحرير أو قطران السعير، وإنه لموضع الفكرة وإرسال العبرة وإطالة العويل والحسرة.

(١٣) الإحياء ٤/٤٨٩.

(١٤) هذه العبارة من وبقيت سقطت من ش وز.

(١٥) من هنا إلى: أثواب زهرتها، انفردت به نسخة «ل».

وأنشدوا :

وألبسوا النعش أثواباً ملونة
مثل العروس تنص في منصتها
وفيه ميت أزال الله نضرته
وشيّعوه جماعات تطوف به
من بين باك يكف فيض دمعته
حتى أتوا حفراً إزاء بلدتهم
وما دروا هل تلقته بنفحتها
ثم انثنوا نحو أموال قد أحرزها
وذاكم البائس المغرور ما دفعت
لكن تحمّل منها كل فادحة
ومر: ترفعه الدنيا وتسعفه
فما بكته السماء والأرض حين مضى

مثل العروس تقام عند جلوتها
لتستميل قلوباً بزینتها
كالأرض قد زال عنها ثوب نضرته
تعشى العيون بمرآها وكثرتها
وبين صارخة تعدي بصرختها
فغادروه بهار هين وحشتها
دار المقامة أولظى بلفحتها
للنائبات فحازوا بجمالها
عنه القضاء ولا استشفى بلذتها
من الكبائر لا يقوى لعدتها
فهو المحير مغمور بحسرتها
ولا الرياض نضت أثواب زهرتها



الباب الرابع في الثناء الحسن على الميت والثناء السوء

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أنس بن مالك قال : مُرَّ بجنَازة فأثني عليها خيرا ، فقال نبي الله ﷺ : وجبت وجبت ومُرَّ بجنَازة فأثني عليها شرا فقال : وجبت وجبت فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فذاك أبي وأمي ، مرَّ بجنَازة فأثني عليها خيرا فقلت وجبت ، ومرَّ بجنَازة فأثني عليها شرا فقلت وجبت فقال رسول الله ﷺ : من أثنيت عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثنيت عليه شرا وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله في الأرض .

وفي بعض طرق البخاري فقليل يارسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت ؟ قال : شهادة القوم ، المؤمنون شهداء الله في الأرض (١) .

وعن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال : من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة . قلنا : وثلاثة ؟ قال وثلاثة ، قلنا : واثنان ؟ قال واثنان . ثم لم نسأله عن الواحد . وهذا الحديث مخصوص . والله أعلم .

والذي قبله يعطى العموم وإن من كثرت شهوده وانطلقت السنة المسلمين ٣٨ / أفيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة والله أعلم . وغير مستكثر إذا أحب الله عبدا أن يلقي على السنة المسلمين الثناء عليه وفي قلوبهم المحبة له . قال الله تبارك وتعالى : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا . وقال عليه السلام : إذا أحب الله عبدا دعا جبريل عليه السلام

(١) مسلم رقم ٩٤٩ في الجنائز ، والبخاري ١٨١ / ٣ في الجنائز ، والترمذي رقم ١٠٥٨ في الجنائز ، والنسائي ٤٩ / ٤ و ٥٠ في الجنائز . جامع الأصول ٩ / ١٨٠ .

فقال : إن الله يحب فلانا فأحبوه . قال : فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض . وذكر في البغض مثل ذلك وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج وغيره .

وقد شهد رجال من المسلمين علماء وصالحون كثر الثناء عليهم وصرفت القلوب إليهم في حياتهم وبعد مماتهم ، ومنهم من كثر المشيعون والحاملون لجنازته والمشتغلون به . وربما كثر الله الخلق بما شاء من الجن والانس وغيرهم مما يشاء يكونون في صور الناس .

ذكر قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي قال : مات عمرو بن قيس الملاي بناحية فارس ، فاجتمع بجنازته ما لا يحصى عددهم من الخلق ، فلما دفن نظروا فلم يروا أحدا ، قال الرفاعي : سمعت هذا ممن لا أحصى كثرة .

وكان سفيان الثوري بتبرك بالنظر إلى عمرو بن قيس هذا .

ولما مات أحمد بن حنبل رضي الله عنه صلى عليه من المسلمين ما لا يحصى ، فأمر المتوكل أن يمسح موضع الصلاة عليه من الأرض ، فوجدوا موقف ألفي ألف وثلاثمائة ألف (٢) أو نحوها .

ولما انتشر خبر موته أقبل الناس من البلاد يصلون على قبره فصلى عليه مالا يحصى .

ولما مات الأوزاعي رضي الله عنه اجتمع للصلاة عليه خلق لا يحصى . ويروى أنه أسلم ذلك اليوم من أهل الذمة اليهود والنصارى نحو ثلاثين ألفا لما رأوا من كثرة الخلائق على الجنازة ، ولما رأوا من العجب ذلك اليوم .

ولما مات سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انكب الناس على جنازته وحضرها من الخلق مالا يعلمه إلا الله ، وكان في البلد ضجة فسمع بها يهودي شيخ كبير ، فخرج فلما رأى الجنازة صاح وقال : هل ترون ما أرى؟ قالوا : وما ترى؟ قال : أرى قوما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة . ثم أسلم وحسن إسلامه .

(٢) أي مليونين وثلاثمائة ألف من الناس .

ويقال إن الكعبة لم تخل من طائف يطوف إلا يوم مات المغيرة بن حكيم
فإنها خلت لانهشار^(٣) الناس بجنائزته تبركا بها ورغبة في الصلاة عليها.
وقد شوهده من جنائز الصالحين من تشيعها الطير وتسير معها حيث
سارت. حدث بذلك الثقات.

وذكر أبو الحسن بن جهضم قال: أخبرنا محمد بن جعفر أبو الحسن ساكن
دمشق قال سمعت أبا بكر المصري يقول: لما مات أبو الفيض ذو النون المصري
بالجيزة: حمل في قارب مخافة أن تتقطع الجسور من كثرة من شيع جنازته من
الناس. وكنت قائما مع الناس على كوم أنظر، فلما أخرج من القارب ووضع
على الجنازة - يعني ٣٨/ ب النعش، وحمله الرجال على أعناقهم رأيت طيورا
خضرا قد اكتنفت الجنازة ترفرف عليها، حتى عطف به إلى حمام المغاروغاب
عني. قال أبو بكر: فحدثت به خالي الحسن بن يحيى، فقال: قد رأيت مثل هذه
الطيور على جنازة أبي إبراهيم المزني، وذكر مرثاة رثى بها، فقال منها:

ورأيت أعجب ما رأيت ولم أكن	من قبل ذاك رأيت له لمشيع
طيرا ترفرف نعشه وتحفه	حتى توارى في حجاب المضجع
قد احتجب عن العيون ولم أحط	علما بكنه مسيره في المرجع
وأظنها رسل الاله تنزلت	والله أعلم فوق ذاك الشرجع ^(٤)

ويجب ألا يحتقر أحد من المسلمين وإن كان ظاهر الفسوق فلعل له بطانة
من خير وخبيثة من عمل صالح، ولأنه أيضا قد صار إلى أرحم الراحمين.

وحكى أن رجلا من المنهمكين في الفساد مات في نواحي البصرة فلم تجد
امراته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه وتحمي
الناس له، فاستأجرت امراته حمالين يحملونه إلى المصلى فما صلى عليه أحد،
فحملوه إلى الصحراء ليدفنوه بها، وكان بالقرب من الموضع جبل فيه رجل من

(٣) انهشار: اجتماع.

(٤) الشرجع: السرير يحمل عليه الميت. النعش.

الزهاد الكبار، فنزل ذلك الزاهد للصلاة عليه فانتشر الخبر في البلد وقالوا نزل فلان ليصلي علي فلان، فخرج الناس فصلوا عليه مع الزاهد وجعلوا يتعجبون من صلاته عليه، فقال لهم: إني قيل لي في المنام انزل إلى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة رجل ليس معها أحد إلا امرأته فصل عليه فإنه مغفور له، فزاد تعجب الناس، فاستدعى الزاهد زوجته فسألها عن ذلك وكيف كانت سيرته، فقالت: كان كما سمعت، كان طول النهار في الماخور مشغلا بشرب الخمر. فقال انظري هل تعرفين له شيئا من أفعال الخير؟

قالت: لا والله إلا أنه كان يفيق في كل يوم من سكره عند صلاة الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح ثم يعود إلى ما هو عليه فيشتغل بشربه ولهوه، وكان لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين يفضلهم على ولده، وكان يفيق في أثناء سكره فيبكي ويقول: إلهي أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث؟ يعني نفسه.

وكذلك إن كان الميت منبوذا أو مطروحا لا يعرف أو لا يحضره أحد فلا تحتقره ولا تنظر إلى الظاهر من حاله.

يروى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره. ذكره مسلم بن الحجاج^(٥). ومن غير كتاب مسلم: رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره.

ويروى عن عمر بن عثمان بن شعبة قال: رأيت في بعض الليالي في المنام كأن قائلا يقول لي: إذا كان غدا فأت مصلى خولان فصل على ولي لنا. قال: فخرجت ٣٩/أقبل طلوع الفجر خوف أن يفوتني، ثم قعدت إلى قريب من غروب الشمس فلم يؤت بميت إلى ذلك المصلى، قال: فانصرفت فبينما أنا بين الأكام إذا أنا بميت على رأس حمال على فرد باب وعليه عباءة فقال لي الحمال يا هذا إن هذا الميت رجل غريب فهل لك أن تصلي عليه؟ فقلت في نفسي

(٥) مسلم رقم ٢٦٢٢ في البر والصلة، وفي صفة الجنة، جامع الأصول ٤/ ٦٧٧.

أنا قاعد له منذ اليوم ، قال : فصليت عليه ، ثم قال لي الحمال : ادخل معي حتى نواريه ، فنزلت في قبره ، فصوّبه عليّ فأضجعتة وحللت العقدة من عند رأسه ، فالتفت الميت إليّ وقال سوف أشكرك عند الله غدا يا عمر ، ثم عاد كما كان .

ويسروى عن أبي علي الروذباري قال : قدم علينا فقير فمات فدفناه ، فكشفت عن خده فجعلته على التراب ليرحم الله غربته ففتح عينيه وقال : يا أبا عليّ أتدللني بين يدي من يدلّني ؟ فقلت : ياسيدي أحياء بعد الموت ؟ ! فقال : بلى أنا محب لله وكل محب لله فهو حي ، ياروذباري لأنصرك غدا لجاهي عنده .

وقال أبو سعيد الخراز : كنت بمكة فجزت^(٦) على باب بني شيبه فرأيت به شابا حسن الوجه ميتا ، فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباء أحياء وإن ماتوا فإنما ينقلون من دار إلى دار .

واعلم رحمك الله أن الميت وإن كان لا يتكلم فقد يُسمع الله تعالى كلاما منه ، و به علم ، صورة حياة بشارة له بصلاته عليه ودفنه إياه واشتغاله به .

وقد حدثني الفقيه أبو القاسم عبدالرحمن بن يحيى القرشي قال لما مات أبي غسله المقريء أبو الحسن بن عطية ، فقال لي أبو الحسن : لما كشفت الثوب عن وجهه لأغسله ضحك في وجهي لا أشك في ذلك ولا أرتاب .

وإذا جاز الخبر الأول جاز هذا أيضا فأبو القاسم وأبو الحسن صادقان عدلان من أهل المعرفة والذكاء .

وذكر الوليد بن عثمان وكان من الصالحين قال : قدم علينا في إشبيلية رجل أسود ، فأقام في المسجد الذي كنت فيه ، ثم انتقل عنه لعله أصابته ، فأقام في فرن يرقد فيه على الخطب ويُتصدق عليه ، ثم إنه مات فنقلته إلى داري لأغسله ، فكشفت عنه الثوب لأغسله فبينما أنا أغسله إذ رأيت وجهه قد ابيض بياضا شديدا وصار مثل القمر ليلة البدر حسنا ، وعم البياض وجهه وعنقه خاصة دون سائر جسده ، فراعني ما رأيت وأرعدت وأصابني دهش عظيم ، فرددت الرداء على وجهه وخرجت فأنذرت جماعة من أصحابي وجئت بهم معي وأعلمتهم قصته ، فلما كشفوا الرداء عن وجهه راعهم حسنه وجماله وبيضاؤه ،

(٦) جزت : مررت .

وسائر جسده أسود كما كان . وتسامع الناس به فما كدنا نبليغ قبره إلى الليل من كثرة الزحام على نعشه وكثرة من حضر جنازته رحمه الله .
ذكر هذه القصة ابن مغيث في كتاب التهجد، وذكرها غيره أيضا .
وذكر عمر بن ذر أنه مات رجل من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتحامى (٧) كثير من الناس جنازته فلم يحضرها، وحضرها عمر، فلما دفن وقف على قبره فقال :
يرحمك الله فلقد عشت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود، وإن قالوا
٣٩/ب مذنّب وذو خطايا فمن منا غير مذنّب وذو خطايا

* * *

(٧) تحامى : ترك واجتنب :

الباب الخامس

ما يقال عند حضور الميت وما جاء في البكاء عليه

ذكر مسلم بن الحجاج عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون.

قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: قولي اللهم اغفر لي وله، واعقبني منه عقبى حسنة، قالت: ففعلت، فأعقبني الله من هو خير لي منه محمدا ﷺ (١).

وعنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال لي: إن الروح إذا قبض تبعه البصر. فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون. ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه (٢).

وأبو سلمة هذا كان زوج أم سلمة.

وعن أم سلمة قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكيه بكاء يتحدث به عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة من

(١) مسلم رقم ٩٢٠ في الجنائز جامع الأصول ٨٥/١١.

(٢) مسلم رقم ٩٢٠. وأبو داود رقم ٣١/٥ في الجنائز. جامع الأصول ٨٤/١١.

الصعيد^(٣) تريد أن تسعدني^(٤) فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال: أتريدين أن يدخل الشيطان بيتا أخرجه الله منه مرتين؟ قال: فكففت عن البكاء فلم أبك. وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: لما طعن عمر أغمي عليه، فصيح عليه، فلما أفاق قال: أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: إن الميت ليعذب ببكاء الحي. وعن عمر أيضا في هذا الحديث قال: قال رسول الله ﷺ: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: المعول عليه يعذب.

وعن ابن عباس قال: لما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة يعني قول عمر عن رسول الله في البكاء على الميت فقالت: يرحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ قط أن الميت يعذب ببكاء أحد ولكنه قال: إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه. وقالت عائشة: حسبك القرآن: «لا تزر وازرة وزر أخرى». قال: وقال ابن عباس عند ذلك: والله أضحك وأبكي.

وعن عروة بن الزبير قال: ذكر لعائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبي ﷺ: إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله.

فقالت: إنما قال رسول الله: إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليكون عليه الآن^(٥).

وعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة رضي الله عنها وقد ذكر لها أن عبدالله بن عمر يقول: إن الميت ٤٠/أ ليعذب ببكاء الحي، فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما انه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله ﷺ بيهودية يبكي عليها، فقال: إنهم ليكون عليها وإنها لتعذب في قبرها^(٦).

(٣) الصعيد الأرض المرتفعة: والحديث أخرجه مسلم رقم ٩٢٢ في الجنائز.

(٤) تسعدني: تعاونني وتشاركني البكاء.

(٥) أخرجه الروايات السابقة البخاري ١٢٧/٣. ومسلم رقم ٩٢٨ في الجنائز. والنسائي ١٨/٤ في الجنائز. جامع الأصول ٩١/١١.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٨/٣ في الجنائز. ومسلم رقم ٩٣١ في الجنائز. ومالك في الموطأ ٢٣٤/١ في الجنائز. والنسائي ١٧/٤ في الجنائز. جامع الأصول ٩٤/١١.

قد صح حديث عمرو ابن عمر رضي الله عنهما في تعذيب الميت ببكاء الحي من حديثهما، وصح أيضا من حديث المغيرة بن شعبة .

وذكر مسلم بن الحجاج عن المغيرة بن شعبة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نوح عليه فإنه يعذب بما نوح عليه يوم القيامة .

وعائشة رضي الله عنها إنما حدثت بما سمعت ، وأنكرت ما لم تسمع وقال بعض العلماء أو أكثرهم : إنما يعذب الميت ببكاء الحي عليه إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره ، أو يكون قد وصي به . (٧)

وقد روى ما يدل على أن الميت يصيبه عذاب ما ببكاء الحي وإن لم يكن من سنته ولا من اختياره ولا مما أوصى به .

ذكر ابن أبي خيثمة من حديث قيلة بنت مخزمة - وذكرت عند رسول الله ﷺ ولدا لها مات ثم بكى فقال رسول الله ﷺ : أيغلب أحدكم أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفا فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه استرجع ثم قال : اللهم أثبني فيما أمضيت ، وأعني على ما أبقيت ، فوالذي نفس محمد بيده إن أحدكم ليبكي فيستعبر إليه صويحبه ، فياعباد الله لا تعذبوا اخوانكم ، وإسناده لا بأس به .

ومساق هذا الحديث يدل على أن بكاء هذه لم يكن من اختيار ابنها ، لأن ابنها صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا كان هذا البكاء المعروف في الجاهلية الذي كان من اختيار الميت ، ومما يوصى به .

ذكر البخاري من حديث النعمان بن بشير قال : «أغمي على عبدالله بن رواحة ، فجعلت أخته تبكي وتقول : واجبلأه واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئا إلا قيل لي : أنت كذلك ؟ فلما مات لم تبك عليه (٨) » وهذا أيضا لم يكن من سنة عبدالله بن رواحة ولا من اختياره ولا مما أوصى به لأن منصبه في الدين أجل وأرفع من أن كان يأمر بهذا أو يوصي به . (٩)

(٧) هذا القول هو الصحيح إذ لا يعقل أن يعذب الميت لأمر لا دخل له فيه وليس من عمله . والله تعالى إنما يعذب الناس بما فعلوا لا بما يفعله غيرهم .

(٨) البخاري ٣٩٧/٧ في المغازي .

(٩) نقل القرطبي هذا الكلام حرفيا في التذكرة ص ١٠٣ .

وفي هذا الباب حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «الميت يعذب ببكاء الحي عليه»^(١٠) إذا قالت النائحة: واعضدها واناصرها واكاسباه جذب الميت وقيل له: أأنتب عضدها؟ أأنتب ناصرها؟ أأنتب كاسبها؟ ذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار.

وأيضاً فإن البكاء عند العرب يكون البكاء المعروف وتكون النياحة، وقد يكون معها الصياح وضرب الخدود وشق الجيوب، ولا أعلم خلافاً أن ذلك حرام، وقد ورد الوعيد^(١١) على هذا كله.

ذكر مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: وجع أبو موسى وجعا، فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن بريء منه رسول الله ﷺ فإن رسول الله بريء من الصالقة والحالقة والشاقة.

وفي لفظ آخر عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة قالا: أغمى على أبي موسى فأقبلت امرأته أم عبد الله تصيح برئة، ثم أفاق، فقال: ألم تعلمي، وكان يحدثها أن رسول الله ﷺ قال: أنا بريء ممن حلق وصلق وخرق^(١٢).

الصالقة هي التي ترفع صوتها بالعويل عند المصيبة، والحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة التي تشق ثوبها، كل ذلك عند المصيبة.

ذكر مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ٤٠/ب ودعا بدعوى الجاهلية^(١٣). وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال: اثنتان في الناس هما بهم كفر:

(١٠) رواه البخاري ١٢٨/٣ وليس فيه إذا قالت الخ. جامع الأصول ٩٧، ٩٩.

(١١) الوعيد: الوعد بالعذاب والتهديد به.

(١٢) رواه البخاري ١٣٢/٣ في الجنائز. ومسلم رقم ١٠٤ في الايمان. وأبو داود رقم ٣١٣٠ في الجنائز. والنسائي ٢٠/٤ في الجنائز. جامع الأصول ١١/١٠٤.

(١٣) البخاري ١٣٣/٣ في الجنائز. ومسلم رقم ١٠٣ في الايمان. والترمذي رقم ٩٩٩ في الجنائز. والنسائي رقم ٢٠/٤ في الجنائز. جامع الأصول ١١/١٠٤.

الطعن في النسب، والنياحة على الميت. (١٤)

وعن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الاحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت (١٥).

وقال: النائحة على الميت إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب (١٦).

وأما البكاء من غير نياحة فقد ورد فيه الإباحة، وهو بكاء الرحمة والرأفة التي لا يكاد يخلو منها البشر، ولا يوجد قلب إلا وبه منها أثر.

وقد قال عمر رضي الله عنه: دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نفع أو لقلقه. والنقع: ارتفاع الصوت، واللقلة تتابع ذلك.

وقال أبو عبيدة: قال بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الرأس. قال أبو عبيد: وليس النقع عندي في هذا الحديث إلا الصوت الشديد، واللقلة: زفع الصوت.

وأما حديث النبي ﷺ في هذا الباب في إباحة البكاء من غير نياحة ولا صياح فصحيح مشهور.

ذكر مسلم بن الحجاج عن أسامة بن زيد قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً أو ابناً لها في الموت، فقال للرسول: ارجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار بأجل المسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب. فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها. قال: فقام الرسول ﷺ، وقام معه سعد بن عباد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال وانطلقت معهم، فرفع إليه الصبي ونفسه تققع كأنها شئ، ففاضت عيناه، فقال له سعد بن عباد: ما هذا يارسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب العباد، وإنما يرحم الله من

(١٤) رواه مسلم رقم ٦٧ في الإيمان. جامع الأصول ١١/٧٣٨.

(١٥) رواه مسلم رقم ٦٧ جامع الأصول ١١/٧٣٨.

(١٦) رواه مسلم في الجنائز وهو جزء من الحديث الذي تقدمه. انظر جامع الأصول ١١/١١٠.

عباده الرحاء. (١٧)

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ولد لي الليلة غلام سميته باسم أبي إبراهيم. وذكر الحديث وفيه: فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول: قال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عيننا رسول الله، فقال: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون (١٨).
قوله يكيد بنفسه: يعني يموت.

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتى رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: أوقد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فبكى رسول الله ﷺ. فلما رأى القوم بكاءه بكوا فقال: ٤١/أ ألا تسمعون؟ إن الله عز وجل لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب، وإنما يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم (١٩).

وذكر أبو عبد الرحمن النسائي من حديث أبي هريرة قال: مات رجل من آل رسول الله ﷺ فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهن، فقال رسول الله ﷺ دعهن ياعمر فإن العين دامة، والفؤاد مصاب، والعهد قريب. (٢٠)
وعن جابر بن عبد الله قال: قتل أبي يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعل الناس ينهوني، ورسول الله لم ينهني، وجعلت عمي تبكيه، فقال رسول الله ﷺ تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه.

(١٧) مسلم رقم ٩١٣ في الجنائز، والبخاري ١٢٤/٣ و ١٢٦ في الجنائز، وفي المرضى، وفي القدر، وفي الأيمان والندور، وفي التوحيد. والنسائي ٢٢/٤ في الجنائز. جامع الأصول ٩٠/١١.

(١٨) رواه مسلم رقم ٢٣١٥ في الفضائل. جامع الأصول ٢٢٢/١١.

(١٩) رواه البخاري ١٤٠/٣ في الجنائز، ومسلم رقم ٩٢٤ في الجنائز جامع الأصول ١٠٢/١١.

(٢٠) النسائي ١٩/٤ في الجنائز. جامع الأصول ٩٥/١١.

ويروى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مات عثمان بن مظعون كشف رسول الله ﷺ الثوب عن وجهه ، وقبّل بين عينيه وبكى بكاء طويلا ، فلما رفع على السرير قال : طوبى لك يا عثمان ، لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها . وبكاء النبي ﷺ على عثمان بن مظعون مشهور ، وذكره ابوداود وغيره .

وأما نعي الميت والإعلام بموته إذا قصد بذلك اجتماع الناس للصلاة عليه لما يناله من دعائهم له واستغفارهم ورغبتهم إلى الله تعالى فيه وسؤالهم ، ولما ينالون أيضا من ثواب الصلاة عليه ، فمنه مفروض ومندوب إليه ، ومنه غير جائز .

وقد نعى (٢١) النبي ﷺ النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه ، وقال : استغفروا لأخيكم ، وخرج بالناس إلى المصلّى فصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات .

وكان موت النجاشي ببلد بعيد عن مدينة النبي ﷺ .

ذكر نعي النجاشي والصلاة عليه مسلم بن الحجاج وغيره من حديث أبي هريرة وغيره .

وقد نعى النبي ﷺ زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة ، نعاهم قبل أن يجيء خبرهم ، وعيناه تذرّفان .

وقد قال عليه السلام : لا يموت فيكم ميت إلا أعلمتموني به . (٢٢) فأمر بأن يعلم بكل ميت من المسلمين ليصلى عليه ، لما في صلاته ﷺ من البركة والرحمة ، ولإقامة سنته أيضا في الصلاة على موتى المسلمين ، وفي صلاة المسلمين بعضهم على بعض ، ودعاء بعضهم لبعض .

وقال ﷺ إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء .

ذكره ابوداود من حديث أبي هريرة .

وقال (٢٣) عليه السلام : من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن

(٢١) نعه : أخبر بموته .

(٢٢) رواه النسائي ٨٤/٤ في الجنائز جامع الأصول ٢٤١/٦ .

(٢٣) من هنا إلى غيره سقط من ش .

تبعها فله قيراطان . قيل : وما القيراط ؟ قال أصغرهما مثل أحد . يريد مثل جبل أحد . (٢٤)

ذكره مسلم وغيره من حديث أبي هريرة وغيره .
وأما إذا كان نعي الميت والإعلام بموته ليجمع الناس عليه على معنى التعظيم له والمصيبة بفقده ، والتفاخر بها يجتمع له من الناس ، ومحضره من الاشراف ، فهذا لا يجوز .

وعلى هذا يخرج نهي النبي ﷺ عن النعي .
ذكر الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان قال : إذا مت فلا تؤذنوا (٢٥) بي أحدا ، إني أخاف أن يكون نعيًا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعي .
وأما المفروض من هذا الباب فهو أن يدعى للصلاة على الميت من تقوم به سنة الصلاة عليه .

(٢٤) . مسلم رقم ٩٤٦ في الجنائز . جامع الأصول ٩/٤٤٣ .

(٢٥) تؤذنوا : تُخبروا .

الباب السادس

ما يحذر من سوء الخاتمة

وما سبق من ذلك لأكثر الخلق في السابقة

اعلم رحمك الله أن هذا أمر إذا ذكر حقيقة ذكره انفطرت^(١) ٤١ / ب له القلوب، وتشققت وانصدعت له الأكباد وتقطعت، ولولا أن الآجال محدودة، والأنفاس معدودة، فلا يتجاوز ذلك المحدود، ولا يزداد على ذلك المعدود، لزهقت^(٢) الأنفس عند أول ذكره زهوفا لا تجد لسرعته طعم وفاة، بل تكاد تنعدم معه انعداماً لا تعود معه إلى وجود ولا حياة، ولكنها مربوبة^(٣) مدبرة مقهورة مصرفة تخرج إذا أذن لها في الخروج، وتلج إذا أذن لها في الولوج، وقد كتب عليها الوجود والبقاء فلا انعدام ولا مطمع لها في ذلك ولا مرام.

وما يمنع القلوب رحمك الله من الانشقاق والانصداع والانفطار والانقطاع، والذي يلقي المختوم له بهذه الخاتمة عذاب لا تقوم السموات والأرض لشدته، ولا آخر لمدته، وما منا أحد إلا ويخاف أن يكون هو، وما الذي أمنه منه؟ وما الذي حاد به عنه، والخاتمة مغيبة والعاقبة مستورة، والأقدار غالبة، والنفس كما تدري، والشيطان منها بحيث تدري، وهي مصغية^(٤) إليه ملتفتة نحوه، مقبلة عليه.

(١) انفطرت: انشقت.

(٢) زهقت: هلكت.

(٣) مربوبة: لها رب يدبرها.

(٤) مصغية: منصته مستمعة.

وأنشدوا في هذا المعنى :

هي النفس إن تنظر إلى الحق نظرة فإن لها في غيره نظرات
وإن نهضت يوما إلى الله نهضة فإن لها عنه غدا نهضات
إلى الله أشكوها فبالله حولها وبالله تمضي في الأمور وتأتي
كذا جرت الأقلام وانبرمت الأحكام ، فقسم الخلق إلى قسمين وفرقهم
إلى فريقين : شقي وسعيد ، غوي ورشيد ، قريب وبعيد ، ذميم وحميد ، ارتفاع
واتضاع ، واتصال وانقطاع ، إجابة وامتناع وانت يا هذا ما تدري بما جرى
سهمك ، ولا كيف ثبت في هذه الأسماء اسمك :

قد حكم الله بما شاء من وضع لمن شاء وإعلاء
وقدر الأمر على ما يرى من منع أقوام وإعطاء
وأبرمت أحكامه في الورى من قبل بإسعاد وإشقاء
وأنت لا تدري بماذا جرت طيرك في محكم الأجواء
هل بشقاء أو بسعد وهل مرت برشد أو بإغواء
فاقدح زناد الخوف بين الحشا واقنع من النوم بإغفاء
وابك على نفسك حتى ترى ما اسمك في مثبت الأسماء

ورد في الخبر الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : إن الرجل ليعمل عمل
أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار
فما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بالخواتيم^(٥) . وروي أيضا من
طريق آخر ليس فيه . . فيما يبدو للناس .

وصح عنه ﷺ أنه قال : جف القلم بما أنت لاق^(٦) .

وقال ﷺ رفعت الأقلام وجفت الصحف^(٧) .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي . البخاري ٤٣٦/١١ . في
القدر ، ومسلم رقم ١١٢ في الايمان .

(٦) أخرجه الترمذي رقم ٢٦٤٤ في الايمان .

(٧) خاتمة حديث عن ابن عباس ، أوله يا غلام إني أعلمك كلمات . . وقد رواه الترمذي وقال =

ذكر هذه الأحاديث مسلم والبخاري والترمذي : وعند أحدهم ما ليس عند الآخر:

وأنشد بعضهم :

قد جرت الأقلام في ذا الوري^(٨) بالختم من أمر العليم الحكيم
وخطت الشيء على حكمه في علمه السابق منه القديم
فمن سعيد وشقيّ ومن مثر من المال وعار عديم
ومن عزيز رأسه في السهى^(٩) ومن ذليل وجهه في التخوم^(١٠)
ومن صحيح شدت أركانه وآخر واهي المباني سقيم
كل على منهاجه سالك ذلك تقدير العزيز العليم

فانظر رحمك الله كيف تقرعين عاقل في هذه الدار وكيف يستقر به فيها قرار مع هذه الحال وتوقع هذا المآل ، واشتغال هذا الخاطر وتقسم هذا البال .
كلا لا حلول له ولا قرار ، ولا ريع ولا دار ، ولا قلب إلا مستطار ، ولا نوم ينامه إلا غرار حتى يدري أين مسقط رأسه ، ومحط رجله ، وما المورد والمنهل^(١١) ، وفي أي ٤٢/أ المحال يحل ، وفي أي المنازل بعد الموت ينزل .
كما قال الأول :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المنازل تنزل
وقال غيره :
وكيف بالنوم على زارة من أسد تكشر أنيابه
وانت في ذا غير مستعتب في منزل قد كسرت أبوابه

= حسن صحيح رقم ٢٥١٨ في صفة القيامة . جامع الأصول ٦٨٦/١١ .

(٨) الوري : الناس .

(٩) السهى : نجم عال .

(١٠) التخوم : الحدود في الأرض .

(١١) المورد والمنهل : موضع الشرب .

وثلمت بالروع حيطانه وفرقت بالخوف حجابيه

لكن حجاب الغفلة الذي غطى القلوب كثيف فلا يرى ما وراءه، والوقر الذي في الأذان عظيم فلا يسمع من ناصح دعاءه.

روى في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت. فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وأشار بيده إلى الدنيا (١٢).

وقال البخاري: ﴿وهم في غفلة﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون.

فانظر رحمك الله إلى عظيم هذه الغفلة وكثافة حجابها، وكيف منعت من النظر في هذا الحديث، والفكرة فيه والعمل بمقتضاه.

وقد بكى أولو الألباب على هذا فأكثروا، وسهروا من أجله الليالي الطويلة وأسهبوا، ورام عاذلوهم كفهم (١٣) عما هم فيه فلم يقدروا وكلموهم في الإقصار فلم يقصروا، ولم يسمعوا ولم يبصروا، وذلك للعلم الذي لاح لهم، والتأييد الذي شملهم، والتوفيق الذي قطع عنهم ما صدهم عن طريق الله عز وجل وشغلهم، وربما هبت عليهم نفحات الرجاء فاستبشروا وسكنوا من ذلك الهيجان وفتروا، ثم ذكروا ما هم معرضون له فعادوا لما كانوا عليه من الاجتهاد، وربما زادوا عليه وأكثروا.

ومع هذا فإنهم لشدة خوفهم وكثرة جزعهم يحسبون كل صيحة عليهم ويظنون كل إشارة إنما يشار بها إليهم.

(١٢) رواه البخاري ٣٦١/١١ في الرقاق. ومسلم رقم ٢٨٥٠ في الجنة.

وآية: أنذرهم يوم الحسرة رقم ٣٩ سورة مريم.

(١٣) كفهم: منعهم.

كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿والطور*
 وكتاب مسطور﴾^(١٤) قال: هذا قسم حق. فلما بلغ القاريء إلى قوله عز وجل: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾^(١٥) ظن أن العذاب قد وقع به فغشي عليه.
 وسمع آخر قارئاً يقرأ أخذوه فغلوه* أو آية نحوها فغشي عليه.
 ومر آخر على رجل يبيع الخيار وهو يقول: الخيار عشرة بدائق^(١٦)، فغشي
 عليه، فلما أفاق قيل له: مم غشي عليك؟ فقال: أوما سمعته يقول: الخيار
 العشرة بدائق، وإذا كانت قيمة الخيار^(١٧) هذه فكم تكون قيمتي وقيمة أمثالي؟
 فانظر إلى هذا لم يلق باله إلى أنه الخيار المأكول! لشدة خوفه وسوء ظنه
 بنفسه.

والأخبار في هذا الباب كثيرة: فلتسلك رحمك الله على منهاج هؤلاء العقلاء،
 ولتمش على آثار هؤلاء الفضلاء، ولتتزين بزينة هؤلاء الحكماء، وأدم
 حسرتك، وأطل زفرتك، وامزج بدم الفؤاد عَبرَتَكَ، وابك ثم ابك، وصل
 البكاء بالبكاء، والأسى بالأسى حتى تنكشف لك هذه الغشاوة، وتنجلي عنك
 هذه العمياء، كما قال الأول: وقد دعي إلى الخلافة وكان قد تعرض له متعرض
 دونها:

زويدك حتى تنظري عم تنجلي عماية هذا العارض المتألق
 وبكى سفيان الشوري ليلة إلى الصباح، ف قيل له: أبكاؤك هذا على
 الذنوب؟ فأخذ تبنة من الأرض وقال: الذنوب أهون من هذه إنما أبكي خوف
 الخاتمة.

وبكى سفيان وغير سفيان لأنه الأمر الذي يبكى عليه ويصرف الاهتمام
 كله إليه. وقال القائل:
 والذي أبكى الجفون دما فغدت من ذاك في غَدَر

(١٤) آية ١ و ٢ من سورة الطور.

(١٥) آية ٧ الطور.

(١٦) الدائق: سدس الدرهم. والكلمة فارسة الأصل.

(١٧) الخيار: ظن الرجل أن المراد خيار الناس أن أفاضلهم.

سابقٌ لم يدر كيف جرى في القضاء الحتم والقدر
وأمر في الورى خفيت عن ذوي الألباب والنظر
فدع الأنفاس صاعدة ودموع العين تنحدر
وابك لا جفت دموعك ما ضاع من أيامك الغرر

وقد قيل: لا تكف دمعك حتى ترى في المعاد ربعك^(١٨). وقيل: لا
تكحل عينك بنوم حتى ترى حالك بعد اليوم.
وقيل: لا تبت وأنت مسرور حتى تعلم عاقبة الأمور.
وقيل: لا يخصب لك الجناب^(٢٠) ولا تأنس بكعب^(٢١) حتى ترى ما خط
لك في أم الكتاب، وتستبين العاقبة والمآب.
وأنشد:

حاسب النفس قبل يوم الحساب وأذقها العذاب قبل العذاب
وأصبها من الأسى بشواظ ينضج اللحم قبل نضج الإهاب
وإذا ما بكيت يوما بدمع فدمع من الفؤاد مُشاب
وحذار حذار أن تتهنا بطعام تناله أو شراب
أو منام تنام بالليل حتى تستبين المآل يوم المآب

وقيل: يا ابن آدم الأقلام عليك تجري، وأنت في غفلة لا تدري يا ابن آدم دع
المغاني والأوطار، والمنازل والديار، والتنافس في هذه الدار حتى ترى ما فعلت في
أمرك الأقدار.

وسمع بعض الصالحين منشدا ينشد:
أيأ راهبي نجران ما فعلت هند؟

(١٨) الغدر: بفتح الدال: الظلام، الوحل، الموضع الصعب كثير الحجارة.

(١٩) الربع: الدار، المنزلة.

(٢٠) الجناب: الناحية، ما قرب من المحلة.

(٢١) كعب: فتاة نهد ثديها أي ارتفع.

فبكى ليلته كلها، فلما أصبح قيل له : ما كان شأنك البارحة؟ وما الذي أبكاك؟ فقال : سمعت منشدا ينشد (٢٢) :

أيا راهبي نجران ما فعلت هند

فقلت في نفسي : ما فعلت الأقدار في، وماذا جرت به علي؟

وقد علمت - رحمك الله - أن الناس صنفان : صنف مقرب مصان، وآخر مبعد مهان . صنف نصبت له الأسرة والحجال وجمعت لهم الرغائب والآمال والأرائك والكلال، وآخرون أعدت لهم الأراقم (٢٣) والصلال، والمقامع والأغلال (٢٤) وضروب الأهوال والأنكال (٢٤) . وأنت لا تعلم من أيهما أنت، ولا في أي الفريقين كتبت . وأنشدوا :

ونزلت بالبيداء أبعد منزل	نزلوا بمكة من قبائل نوفل
وطُرُحْتُ بالصحراء غير مظلل	وتقلبوا فرحين تحت ظلالهم
وسُقِيَتْ دَمْعَةٌ واله متململ	وسقوا من الصافي المعتق ريم
وقضيتُ ثَبَّتْ لأمر الأول	يا قسمة قسمت ولم يعلم بها
فتزيل من داء البعاد المعضل	هل فيك للملك المهيمن نظرة
والعقل يسمعها إذا لم تعقل	فأجاب يسمع نفسه عن نفسه
فاكفف سؤالك بعد ذا أو فاسأل	هيهات قد سبق القضاء بما ترى
	البيت الأول قديم ٤٣ / أ .

وقيل : من قعد به جَدُّه لم ينهض به جَدُّه (٢٥) .

قال أبو القاسم القشيري كان أبو علي الدقاق كثيرا ما ينشد :

ما خيلتي تفعل الأقدار ما أمرت والناس مابين ذي غي وذي رشد

(٢٢) من أيا راهبي إلى هنا سقط من ش وز .

(٢٣) الأراقم : جمع أرقم وهو أخت الحيات . والصلال : جمع صل وهو نوع خبيث من الحيات أيضا .

(٢٤) الأنكال : جمع نكل وهو القيد الشديد . ومثلها الأغلال .

(٢٥) جَدُّه : بفتح الجيم حظه . وجَدُّه بكسر الجيم اجتهداه أي أن الاجتهاد لا ينفع صاحبه مع سوء حظه .

وقال : إذا كان الرضا والغضب صفة أزلية فما تنفع الأذيال المقصرة
والأقدام المورمة والوجوه المصفرة؟
وقيل يا ابن آدم أي شيء يمنعك ، وأي مكان يعصمك إذا كانت الأقدار
تطلبك؟

ومر على بعض الصالحين بيهودي ميت قد أوصى أن يدفن بيت
المقدس ، فقال : أيكابر هؤلاء الأقدار؟ أما علموا أنهم لودفنوا في الفردوس
الأعلى لجاءت لظي بأنكالها حتى تأخذه إليها وتنطلق به معها؟
وقال آخر: من حكم له بالسعادة لا يشقى أبداً ، وإن ألح غاويه وكثر معاديه ،
وأحيط به من جميع نواحيه ، ومن حكم له بالشقاوة لا يسعد أبداً ، وإن عمر
ناديه ، وأحصب واديه ، وحسنت أواخره ومباديه . كم من عابد ظهرت عليه أنوار
العبادة وآثار الإرادة وبدت منه مخايل السعادة ، وارتفع صيته وانتش في الآفاق
ذكره وعظم في الناس شأنه وقدره جمحت الأقدار به جمحة ردت على عقبه ،
وسلبته ما كان في يديه ، وأخذت ببناءه من قواعده فألقته عليه ، فنعوذ بالله من
درك الشقاء وجهد البلاء وشيئة الأعداء برحمته .

وأعلم رحمك الله أن لسوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - أسباباً ، ولها طرق
وأبواب ، أعظمها الإكباب على الدنيا ، والإعراض عن الأخرى والإقدام
بالمعصية على الله تعالى .

وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ، ونوع من المعصية وجانب
من الإعراض ، ونصيب من الافتراء ، فملك قلبه وسبى عقله وأطفأ نوره وأرسل
عليه حجبه ، فلم تنفع فيه تذكرة ، ولا نجعت فيه موعظة ، فربما جاءه الموت
على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد ، فلم يتبين المراد ولا علم ما أراد وان
أعاد عليه وأعاد .

يروى أن بعض رجال الناصر بن علناس نزل به الموت ، فجعل ابنه يقول
له : قل لا إله إلا الله ، فقال الناصرياً مولاي ، فأعاد عليه ، فأعاد هو ثم أصابته

غشية، فلما أفاق قال الناصر أمولاي، ثم قال لابنه: يا فلان، الناصر إنما يعرفك بسيفك فالقتل ثم القتل، ثم مات.

وقيل لآخر وقد نزل به الموت قل: لا إله إلا الله فقال: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلاني افعلوا فيه كذا.

هذا فيما حدثت عنه ولم أشهده، وفيما أذن لي أبو طاهر السلفي أن أخطه في الديوان الذي وقع فيه هذا الحديث أن رجلا نزل به الموت، فقيل له قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول بالفارسية: ده يازده دوازده، تفسيره عشرة أحد عشر اثنا عشر، كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان، فغلب عليه الحساب والميزان.

كما روي أن رجلا نزل به الموت، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟.

وهذا الكلام فيه قصة، وذلك أن رجلا كان واقفا على باب داره، وكان بابها يسببه باب حمام، فمرت به جارية لها منظر وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال لها: هذا حمام منجاب، وأشار إلى داره، فدخلت الدار، فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليست بحمام علمت أنه خدعها فأظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة في تلك الدار، وقالت له: يصلح أن يكون عندنا ما يطيب به عيشنا وتقربه عيوننا. فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين، وخرج فتركها في الدار ولم يغلقها وتركها مفتوحة على حالها، ومضى فأخذ ما يصلح لهما، ورجع ودخل الدار، فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثرا، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها والجزع عليها، وجعل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول:

٤٣/ب

يارب قائلة يوما إذا بلغت أين الطريق إلى حمام منجاب وبعد أشهر مرّ في بعض الأزقة وهو ينشد هذا البيت وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول:

هلا جعلت لها إذ ظفرت بها حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر . فنعوذ بالله من المحن والفتن (٢٦) .

ويروى أن رجلا عشق شخصا ، واشتد كلفه به ، وتمكن حبه من قلبه حتى وقع لما به ، ولزم الفراش من أجله ، وتمنع ذلك الشخص واشتد نفاره عنه ، فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن يعوده فأخبر بذلك البائس ففرح واشتد سروره وانجلى غمه ، وجعل ينتظر الميعاد الذي ضرب له ، فبينما هو على ذلك إذ جاءه الماشي بينهما وقال : إنه وصل معي إلى بعض الطريق ورجع ، فرغبت إليه وكلمته في إنجاز وعده والوفاء بعهده ، فقال : إني أخاف الفضيحة ولا أدخل مداخل سوء والريب ، ولا أعرض نفسي لمواقع التهم ، وسألته فأبى وانصرف ، فلما سمع اليائس هذا سقط في يده وعاد إلى أشد مما كان به ، وبدت علامات الموت وأماراته عليه .

قال الراوي فسمعته يقول وهو في تلك الحال :

سلام يا راحة العليل وبرء داء المدنف (٢٧) النحيل
لقاك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

قال : فقلت له : يا فلان اتق الله . فقال : قد كان ، فقامت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه . فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة بكرمه .

واعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ، وإنما يكون ذلك لمن كان له فساد في العقل وإصرار على الكبائر ، وإقدام على العظائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ، ويثب عليه قبل الإنابة ، ويأخذه قبل إصلاح الطوية ، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أن يكون لمن كان مستقيما لم يتغير عن حاله ، ويخرج عن سنته ، ويأخذ في غير طريقه

(٢٦) ذكر هذه القصة حرفيا القرطبي في التذكرة وعزاها إلى المؤلف انظر ص ٣٥ من التذكرة .

(٢٧) المدنف : الذي ثقل عليه المرض . والمراد هنا من شدة الحب .

فيكون ذلك سببا لسوء الخاتمة وشؤم العاقبة ، والعياذ بالله «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال» .

وقد سمعت بقصة بلعام بن باعوراء ، وما كان آتاه الله من آياته ، وأطلعه عليه من بيناته ، وما أراه من عجائب ملكوته .

أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فسلبه الله سبحانه جميع ما أعطاه ، وتركه مع من استماله وأغواه .

ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجدا للأذان والصلاة فيه وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة ، فرقي يوما المنارة على عادته للأذان ، وكان ٤٤ / أ تحت المنارة دار لدمي نصراني ، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها ، فترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار عليها ، فقالت له : ما شأنك وما تريد؟ فقال : أنت أريد . قالت : لماذا؟ قال لها : قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي . قالت له : لا أجيبك إلى ريبة .

قال لها : أتزوجك . قالت : أنت مسلم وأنا نصرانية ، وأبي لا يزوجني منك ، قال لها : أتنصر . قالت : إن فعلت أفعل . فتنصر الرجل ليتزوجها ، وأقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات ، فلا هو بها اتصل ، ولا هو بدينه حصل . فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله .

الباب السابع

تلقين الميت بعد الدفن ، والدعاء له ، وقراءة القرآن عنده
وذكر محاسنه والسكوت عن مساوئه

يروى عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا مات أحدكم فسويتم التراب عليه فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة ، فإنه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية ، فإنه يستوي جالسا ، ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ، ولكنكم لا تسمعون ، فيقول : اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ، وأنت رضىت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً .

فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ، ويكون الله حجيجهما دونه : فقال رجل : يارسول الله فإن لم تُعرف أمه؟ قال ينسبه إلى أمه حواء .

ويروى عن النبي ﷺ أنه حضر جنازة رجل فلما دفن قال : سلوا الله لأخيكم التثبيت فإنه الآن يُسأل^(١) .

وعن بعض الصالحين أنه قال : مات أخ لي ، فرأيت في النوم فقلت يا أخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال : أتاني آت بشهاب من نار فلو لا أن داعيا دعالي لهلكت^(٢) .

(١) رواه أبو داود رقم ٣٢٢١ في الجنائز . جامع الأصول ١١/١٤٩ .
(٢) من : ويروى عن النبي إلى هنا جاء في «ل» بعد خبر شبيب الآتي .

قال شبيب بن أبي شيبه : أوصتني أُمي عند موتها فقالت لي يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري وقل يا أم شيبه قولي لا إله إلا الله . قال : فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت : يا أم شيبه قولي : لا إله إلا الله ، ثم انصرفت . فلما كان من الليل رأيته في المنام ، فقالت لي : يا بني كدت أن أهلك لولا أن تداركني لا إله إلا الله ، فلقد حفظت وصيتي يا بني .

وروى أن رجلا قال : رأيته رجلا - وقد ذكر رجلا معروفا - قال : رأيته في النوم وكأنه قد مات وحمل إلى قبره ، وكنت ممن شهدته ، فرأيته قد وضع في قبره ، فرأيت بابا قد فتح في جانب القبر كأنه باب مغارة ، وهي مملوءة ظلمة ، فخرج من ذلك الباب أسودان مهيبا المنظر ، فأخذا ذلك الميت وجعلا يجذبانه إلى المغارة ، والميت ساكت ، فبينما هما كذلك إذ أقبل رجل كان ٤٤ / ب مشهورا بالعبادة ، وكان ذلك الميت يحسن إليه ، فلما رآه الميت استغاث به يا فلان ، فقال ذلك الرجل : سلام لا بأس ، وأخذ بيده واستنقذه منها ، فقعد الميت يذكر الله وإذا بثوب قد وقع من السماء ، فألبسه الرجل ذلك الميت ثم صعد به إلى السماء .

قال الراوي فاستيقظت فوجدت ذلك الرجل المجذوب قد مات ، وكنت ممن شهد جنازته .

فأول أهل العلم بالتأويل أن ذلك الجذب الذي كان الناس يجذبون ذلك الميت دعائهم له ورغبتهم إلى الله فيه ، وأخذ ذلك الرجل بيد الميت هو دعائهم له وثواب الخير الذي كان يعمل معه .

وروى مسلم بن الحجاج من حديث عبدالرحمن بن شماس المهيدي ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت ، فبكى طويلا ثم حوّل وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول : ما يبكيك يا أبتاه؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك بكذا؟ قال فأقبل بوجهه وقال : إن أفضل ما نعدّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . اني كنت على أطباق ثلاثة ، لقد رأيته وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني ، ولا أحب إلي أن أكون قد تمكنت منه فقتلته ، فلمت على تلك الحال لكنت من أهل النار .

فلما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك أبايك، فبسط يمينه فقبضت يدي. قال: مالك يا عمرو؟ قلت: أردت أن اشتري. قال: تشتري ماذا؟ قلت: أن يغفر لي. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله.

وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، فلو سئلت أن أصفه لم أطق ذلك لأنني لم أكن أملاً عيني منه إجلالا له، فلو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم ولينا أشياء وما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا عليّ التراب شناً، ثم أقيموا حول قبري قدوما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي (٣). قوله: حتى استأنس بكم: يريد أن يستأنس بدعائهم له وبذكرهم الله عز وجل عنده.

وروى أبو عبد الرحمن النسائي من حديث معقل بن يسار المزني عن النبي ﷺ أنه قال: اقرأوا يس على موتاكم (٤).

فيحتمل أن تكون هذه القراءة عند موته، ويحتمل أن تكون عند قبره. ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة.

وقد روى إباحة القراءة عند القبر العلاء بن عبد الرحمن.

ويروى أيضاً أن ٤٥/أ أحمد بن حنبل رجع إلى هذا بعدما كان ينكره. وذكر أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساوئهم (٥).

وعن عائشة أيضاً قالت: ذكر عند رسول الله ﷺ هالك بسوء، فقال:

(٣) رواه مسلم رقم ١٢١ في الأيمان. جامع الأصول ١٠٥/٩.

(٤) في جامع الأصول ٨٤/١١ أن الذي رواه أبو داود رقم ٣١٢١ في الجنائز. كما رواه أحمد ٢٦/٥.

(٥) أبو داود رقم ٤٩٠٠، والترمذي رقم ١٠١٩ جامع الأصول ١٠/٧٦٦.

ﷺ لا تذكروا هلكاكم إلا بخير^(٦)

وروى البخاري عنها أن النبي ﷺ قال: لا تسبوا الأموات فإنهم قد
أفضوا إلى ما قدموا^(٦)



(٦) رواه البخاري ٢٠٦/٣ في الجنائز. والنسائي ٥٢/٤ و٥٣ جامع الأصول ٧٦٥/١٠.

الباب الثامن ذكر القبور

اعلم رحمك الله أن في القبر وظلمته وضيقه ووحشته ، وطرح الميت فيه غير موسّد ولا ممهد ، قد باشر الثرى وواجه البلى وترك دنياه للورى ، ونبذ منها ما كلن في يديه بالعراء ، مع حبيب تركه ، وقريب أسلمه ، ونصير أفرده وترك ما كان عهده ، ما يفظم النفوس عن الشهوات ، وإن كانت صعبة الفطام ، ويقطعها عن اللذات وإن كان قطعها بعيد المرام ، إذا بحث عن الحقيقة ونظر بعين البصيرة وسمع النداء من قريب .

بينما المرء في بُلْهَنِيَّة^(١) مرتكضا في أمنيته ، غافلا عن يوم صرعته ومنيته ، قد فتح للهوبابه ، وأرسل عليه حجابه ، ولم يبال بمن لاهه في ذلك أوعابه ، إذ هجمت عليه المنية فهتكت أستاره وكسفت أنواره ، وطمست أعلامه وآثاره ، فأخرجته من ذلك القصر المشيد والمنزل المنجد والمتاع المزخرف المنضد إلى حفرة من الأرض سوداء ضيقة الجوانب والأرجاء^(٢) ، مملوءة من الفزع والرعب ما شاء .

فحذار رحمك الله حذار أن تنزع هذا المنزع ، وبدار^(٣) - عصمك الله - بدار أن تصرع هذا المصرع ، فيفت في عضدك ويسقط في يدك ، ويرمي بك عن أهلك وولئك في مهواة تزدحم فيها الأهوال ، وتنقطع فيها الآمال ، قد جمعت فيها جمعا ورصعت فيها رصعا ، وتركت للهوام والدود طعماً ومرعى .

(١) بلهنية : رخاء العيش .

(٢) الأرجاء : النواحي .

(٣) بدار : اسم فعل بمعنى يادروسار .

وأنشدوا:

يا نائما والمنون يقضى
جاءك أمر وأي أمر
هل بعد هذا المشيب شيء
فليس ذا الأمر بالهويني^(٦)
من بعدما المرء في براح^(٧)
ساكن نفس قرير عين
إذ عصفت في ذراه ريد
فبات في أهله حصيدا
فعاد ذاك النعيم بؤسا
وسيق سوقا إلى ضريح
وبات للودود فيه طعما
وليته لم يكن رهينا

وغائبا والحمام أوفى^(٤)
طم على غيره وعفى
غير تراب عليك يحفى^(٥)
ولا بشيء عليك يخفى
يهتز تيهها به وظرفا
يرشف ثغر النعيم رشفًا
ح تقصف كل الظهيرة قصفًا
قد جعفته^(٨) المنون جعفا
وصار ذاك السكون رجفا
يرصف بالرغم فيه رصفا
وللهوام العطاش رشفًا
بكل ما قد هفا وأهفا

ولعلك قد كنت في الدنيا ممن يشكو تبديل المنازل وإن كانت حسانا ويكثر فيه
تلونا وافتنانا ولا ترى لربك عز وجل فيها تفضلا ولا امتنانا.

فانظر الآن كم بين المنزلتين، وكم قدر ما بين الوحشتين إلا أن يدركك
فيض الرحمة، وتغشاك روائح المنة، فتتسع من القبر أقطاره وتمتد أنواره، ويكثر
مؤنسوه وزواره.

وأنشدوا في هذا المعنى:

من كان يوحشه تبديل منزله وأن يبدل منها منزلا حسنا

(٤) أوفى: أدرك.

(٥) يحفى: يوضع بكثرة ويبالغ في وضعه.

(٦) الهويني: السهولة.

(٧) براح: متسع.

(٨) جعفته: صرعته، قلعته.

ماذا يقول إذا ضمت جوانبها
 ماذا يقول إذا أمسى بحفرته
 هناك يعلم قدر الوحشتين وما
 يا غفلة ورماح الموت شارعة
 ولم أعد مكانا للنزولا ولا
 إن لم يجد من توالى جوده أبدا
 فيا إلهي ومزن^(٩) الجود واكفة^(٩)
 أنس هنالك يا رحمن وحشتنا
 نحن العصاة وانت الله ملجؤنا
 فكن لنا عند بأساها وشدتها
 عليه واجتمعت من هاهنا وهنا
 فردا وقد فارق الأهلين والسكنا
 يلقاه من بات باللذات مرتها
 والشيب ألقى برأسي نحوه الرسنا
 أعددت زادا ولكن غرة ومنى
 ويعف من عفوه من طالبيه دنا
 سحا فتمطرنا الأفضال والمننا
 والطف بنا وترفق عند ذاك بنا
 وأنت مقصدنا الأسنى ومطلبنا
 أولى فمن ذا الذي بها يكون لنا

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل
 لحيته . ف قيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا ؟
 فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن
 نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .
 وسمعت رسول الله ﷺ يقول : ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أقطع منه . ذكره
 الترمذي^(١٠) .

وذكر الترمذي أيضا من حديث أبي سعيد الخدري قال : دخل رسول الله
 ﷺ مصلاه فرأى أناسا كأنهم يكثرون ، فقال : أما أنكم لو أكثرتم ذكر هادم
 اللذات لشغلكم عما أرى ، أكثروا ذكر هادم اللذات الموت ، فإنه لم يأت على
 القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول أنا بيت الغربية ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت
 التراب ، أنا بيت الدود والهوام فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا ،
 أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي ، فإذا وليتك اليوم وصرت إلي

(٩) المزن الواكفة : السُحب المنهمرة .

(١٠) أخرجه الترمذي رقم ٢٣٠٩ في الزهد ، وإسناده حسن . جامع الأصول ١١ / ١٦٥ .

فسترى صنعى بك ، قال فيفسح له مد بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة ، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبا ولا أهلا ، أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إليّ ، فإذا وليتكَ اليوم وصرت إليّ فسترى صنعى بك ، قال : فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه . قال : وقال رسول الله ﷺ بأصابع يديه ، فأدخل بعضها في بعض وقال : ويقبض الله له سبعين تيناً^(١١) لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيت الدنيا ، فتنهشه وتخشه حتى يبعث إلى الحساب قال : وقال رسول الله ﷺ إنها القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار^(١٢) .

وروى أبو الحجاج الشامي قال : قال رسول الله ﷺ يقول القبر للميت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة ، وبيت الظلمة ، وبيت الوحدة ، وبيت الدود ، ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً^(١٣) ، قال فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول : أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ٤٦/أ ؟ قال : فيقول القبر فإني إذن أعود عليه خضراً ، ويعود جسده نورا ، ويصعد روحه إلى رب العالمين .

ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم في كتاب الكنى ، وذكره أيضاً قاسم بن أصبغ .

قيل لأبي الحجاج : ما الفداد ؟ قال : الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، يعني الذي يمشي مشية المتبخر .

وقال مجاهد : أول ما يكلم ابن آدم حفرة ، تقول أنا بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة ، وبيت الظلمة ، وبيت الغربة ، هذا ما أعددت لك يا ابن آدم ، فماذا أعددت لي .

وقال بعض الحكماء : أربعة أبحر لأربعة : الموت بحر الحياة ، والنفس بحر الشهوات ، والقبر بحر الندامات ، وعفو الله بحر الخطيئات .

(١١) التين : بكسر التاء والنون وتشديدهما : الحية العظيمة .

(١٢) رواه الترمذي رقم ٢٤٦٢ في صفة القيامة . وإسناده ضعيف جامع الأصول ١١/١٧٠ .

(١٣) الفداد : المتكبر ، شديد الوطء على الأرض .

وقال أبو الدرداء : ألا أخبركم بيوم فقري ؟ يوم أنزل قبري .
 وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول : يا أهل القبور مالكم إذا
 دعوتكم لا تجيبوني ؟ ثم يقول : حيل بينهم والله وبين الجواب ، وكأنني أكون
 مثلهم وأدخل في جملتهم ، ثم يستقبل القبلة ويصلي حتى يطلع الفجر .
 وانشدوا :

يا نائما بالضريح هُبا	هاك نسيم الصباح هُبا
وكل من نام قد تشقى	وقام من نومه وهُبا
قم تروحه النهار طلقا	وصدره للأنام رحبا
والناس كل إلى هواه	حرك طرفا وسلَّ عضبا (١٤)
قم ويك طال ذا هجوع	وطال حزني له وأربي (١٥)
كم ذا أنادي ولا يجيب	يجيب دامي الفؤاد صبا
ولو أنادي جهاد صخر	لرق لي لوعة ولبي
فقال لي ينطق اعتبارا	تفهمه الفتية الألبا (١٦)
يمنعني أن أجيب خطب	صير سلّم الخطوب حربا
أخرس مني الد (١٧) خصما	وقاد مني أشم صعبا
فخل عني وعن جوابي	فحر همي يعب عبا
ولتبك إن كنت ذا بكاء	نفسك ذنبا أتت فذنبا
فيا إلهي ومن إليه	مددت كفي رهبا ورغبا
بدد لحمي ورض عظمي	وردني للهوام نهبا
وروعة للنشور عظمي	قدت فؤادي خوفا ورعبا
رحماك في بائس فقير	قد طاف شرقا وطاف غربا
فلم يجد حاجة تقضي	ولا رأى دعوة تلبى

(١٤) العضب : السيف القاطع .

(١٥) أربي : زاد .

(١٦) الألبا : جمع لبيب وهو الذكي .

(١٧) الد : شديد العداوة .

إلا ومن افقكم حياها تسكب فوق الأنعام سكبا
فاغفر إلهي ذنوب عبد تبت يداه بهن تبا
إن لم ينل من رضاك حظاً ولم يصب من جذاك شربا
فالحمد في ذاكم وفي ذا نال أجاجا أو نال عذبا
قال عمر بن عبدالعزيز لبعض جلسائه : يافلان لقد أرقّت البارحة تفكرا في القبر
وساكنه انك لو رأيت الميت في قبره بعد ثلاث لاستوحشت منه بعد طول الأنس
به ، ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ، ويجري فيه الصيد ، وتخرقه الديدان ، مع تغير
الريح وتقطع الأكفان ، وكان ذلك بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم
شهق شهقة ثم خر مغشيا عليه .

حدثنا^(١٨) سليمان بن أحمد قال : أخبرنا محمد بن زكريا العلائي ، قال :
أخبرنا معدي بن سابق البهدي ، قال [بلغنا] أن عمر بن عبدالعزيز شيع جنازة ،
فلما انصرفوا تأخر عمر عنها وأصحابه ، فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين أنت لم
تأخرت عنها وتركتها؟ فقال : نعم ناداني القبر من خلفي ، يا عمر بن عبدالعزيز
ألم تسألني ما صنعتُ بالأحبة؟ قلت : بلى ، قال : خرت الأكفان ومزقت
الأبدان ، ومصصت الدم وأكلت اللحم ، ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟
قلت بلى ، قال : نزعت الكفين من الكوعين ، وكذلك ٤٦ / ب الفخذين من
الركبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين .

ثم بكى عمرو قال : ألا إن الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها قليل ، وغنيها فقير ،
شأنها يهرم ، وحيها يموت ، ولا يغركم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدارها ،
والمغرور من اغتربها ، أين سكانها الذين بنوا مرابعها وشققوا أنهارها وغرسوا
أشجارها؟ وأقاموا فيها أياما يسيرة وغرثم بصحبتهم وغرؤا بنشاطهم فركبوا
المعاصي ، إنهم كانوا والله في الدنيا مغبوطين بالمال على كثرة المنع عليه ،
محسودين على جمعه ، ما صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسامهم والديدان
بعظامهم وأوصالهم؟ وإذا مررت فنادهم إن كنت مناديا ، وادعهم إن كنت لا بد

(١٨) هاتان الحكايتان عن عمر بن عبدالعزيز من هنا إلى قوله : وفي بعض الخطب المروية سقط
من ش وز وانفردت به نسخة ي .

داعيا، ومربعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم وسل غنيهم ما بقي من غناه، وسل فقيرهم ما بقي من فقره، وأسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، وسلهم عن الأعضاء الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنعت بها الديدان، محت الألوات وأكلت اللحمان، وعفرت الوجوه ومحت المحاسن، وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء.

قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة، فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية، وأجسادهم من أعناقهم بائلة^(١٩) وأوصالهم متمزقة، وقد سالت الحدق على الوجنات^(٢٠) وامتلاأت الأفواه دما وصديدا ودبت دواب الأرض في أجسامهم، وتفرقت أعضاؤهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرا حتى عادت العظام رميما، قد فارقوا الحداثق فصاروا بعد السعة إلى المضايق، قد تزوجت نساؤهم وترددت في الطرق أبناؤهم، فمنهم والله الموسع له في قبره الغض الناعم فيه، المتنعم بلذته، فيا ساكن القبر ما الذي غرك في الدنيا؟ هل تظن أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد، وأين ثمرتك الحاضر ينعمها؟ وأين رفاق ثيابك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ هيهات هيهات يا مغمض الوالد والأخ وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مدليه في قبره وراجل عنه.

ليت شعري كيف نمت على خشونة الثرى؟ ياليت شعري بأي خديك بدأ البلى؟ يا مجاور الهلكى صرت في محلة الموتى.

ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما يأتيني به من رسالة ربي. ثم أنشد.

تغربها يفني وتشغل بالصبا لقد غرب باللذات في النوم حاملا
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

(١٩) بائلة: مفترقة، مقطوعة.

(٢٠) الوجنات: جمع وجنة وهي رأس الخد.

وتعمل فيما سوف تكره حبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
٤٧/أ ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة .

حدثنا عبدالله بن محمد قال : حدثنا محمد بن الحسين الحضرمي قال :
أخبرنا أسد بن زيد قال : كنا مع عمر بن عبدالعزيز في جنازة ، فلما أن دفن الميت
ركب بغلة له صغيرة ثم جاء إلى قبر فركز عليه المقرعة فقال : السلام عليك يا
صاحب القبر ، قال عمر : فناداني مناد من خلفي : عليك السلام يا عمر بن
عبد العزيز ، عم تسأل ؟ فقلت : عن ساكنك وجارك ، قال : أما البدن فعندي ،
وأما الروح فعرج به إلى الله عز وجل ، وما أدري أي شيء حاله ، قلت : أسألك
عن ساكنك وجارك ، قال : أسلت المقلتين على الخدين ، ومزقت الأكفان ،
وأكلت الأبدان ، ثم ذكر نحوه وزاد ، فلما ذهبت ألقى ناداني : يا عمر عليك
بكفن لا يبلى ، قلت : وما كفن لا يبلى ؟ قال : اتقاء الله والعمل الصالح .

وفي بعض الخطب المروية : يا ابن آدم لا يغرنك ارتفاع ذكرك ونفاذ
أمرك ، وتشيد قصرك مع ما جمعت فيه من الظباء الشرد والأوانس النهد ، والمتاع
المزخرف المنجد ، فإنك تخرج منه بالرغم والأمر الجزم إلى بيت الحجارة
والرضم ، فتغتسل فيه بصديك ، وتأنس فيه بحشراتك ودودك ، إلى أن تبلغك
الرجفة لهلاك هذا المعمور ، ثم الصيحة ليوم النشور وبعثرة القبور ، فتخرج
بالأمر الكبار إلى دارك دار القرار ، إما إلى الجنة وإما إلى النار .

وأنشد بعضهم :

من كان مسكنه قصرا يشيده	فإن مسكنه من بعد ذا جدُّ (٢١)
ومن تكن فرشه فيها مرقشة	ففرشه في ضريح بعدها الرث (٢٢)
ومن تكن آنسوه خردا (٢٣) لعبا	فآنسوه هناك الدود والعث (٢٤)
ومن غدا وسط نادشعره جزل	فإن آخره التمزيق والشعث (٢٥)

(٢١) الحدث : القبر .

(٢٢) الرث : جمع رثة وهي الخلقان .

(٢٣) الخرد : الفتيات الأبقار ذوات الحياء .

(٢٤) العث : جمع عثة وهي السوسة أو الأرضة .

(٢٥) الشعث : التفرقة والانتثار .

وليته مع هذا لو أقام غدا ولكنه لمهول بعد ينبعث
وليس ذا الأمر مما يستطيع له وصف ولكنها الأمثال تعثر^(٢٦)
فالبحر مضربه لذي الندى مثل والنار تذكرها إذ يذكر الغر^(٢٧)

وقيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظا؟ فقال: النظر إلى محلة الأموات.
يروى^(٢٨) أن الاسكندر مر بمدينة قد ملكها عدة ملوك، وبادوا، فقال:
هل بقي من نسل هؤلاء الملوك أحد؟ ف قيل له: ما بقي منهم إلا رجل واحد
يكون في هذا المقابر، فدعا به، فلما حضر قال له: ما الذي حملك على لزوم
المقابر؟ قال: أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت الكل
سواء، فقال له الاسكندر: هل لك أن تتبني فأحيي بك شرف أبائك إن كانت
لك همة؟ فقال: إن لي همة عظيمة، فإن كان بغيتي عندك تبعتك، قال: ما
بغيتك؟ قال: حياة لا موت فيها، وشباب ليس معه هرم، وغنى ليس معه فقر،
وسرور ليس معه مكروب، قال: ليس ذلك عندي، فقال: وأي خير أرجوه عندك
إن لم يكن عندك هذه الأشياء فامض لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن يملكه ومن
هو عنده، ثم عاد إلى مكانه.

ومر رجل مسافر بغلام في صحراء، فقال له: يا غلام أين العمران؟ فقال
له: اصعد الراية تشرف على العمران، فصعد، فأشرف على قبور، فرجع
إليه، فقال: سألتك عن العمران فدللتني على القبور؟! فقال: إني رأيت أهل
هذه الدنيا ينقلون إلى تلك، ولم أر أحدا من تلك ينقل إلى هذه، وإنما ينتقل
من الخراب إلى العمران، ولو سألتني عما يواريك ويواري دابتك لدللتك عليه.
وكان يزيد الرقاشي رحمه الله يقول: أيها المقبور في حفرة المستخلي في
القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بعمله، ليت شعري بأي أعمالك
استبشرت؟ وبأي أحوالك اغتبطت، ثم يبكي حتى يبلى عباءته، ثم يقول:

(٢٦) تعثر: فعله عثر بمعنى انتزع.

(٢٧) الغر: الجوع.

(٢٨) من هنا إلى قوله: لدلتك عليه انفردت به نسخة «ل».

استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط بإخوانه المعاونين له على طاعة الله عز وجل .

وكان إذا رأى القبور يخور كما يخور الثور .

ومر داود الطائي رحمه الله بامرأة تبكي على قبر، وهي تقول :

عدمت الحياة فلا نلتها إذا أنت في القبر قد وسدوكا
وكيف ألد بطعم الكرى وها أنت في القبر قد أفردوكا

ثم قالت : يا أبناه بأي خديك بدأ الدود أولاً؟ قال : فخر داود مغشياً عليه .

وقال حاتم الأصم : من مرفئ القبور ولم يتفكر في نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم .

وعن صلة بن أشيم أنه دفن أخا له ، ثم وقف على قبره وقال :

فإن تنج منه تنج من ذي عزيمة وإلا فإني لا أخالك (٢٩) ناجياً
وكان بكر العابد يقول لأمه : يا أماه ليتك كنت بي عقيماً ، وإن لابنك في القبر حبساً طويلاً ، وإن له من بعد ذلك رجلاً .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام ، فانظر من أين تحبيه ، إن أجبتك من دنياك دخلتها وإن أجبتك من قبرك منعته .
وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على القبور قال : ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهي في بواطنك .

وكان عطاء السلمي إذا جن (٣٠) الليل يخرج إلى القبور ، فيقول : يا أهل القبور ، متم فواماتاه ، وعايتم أعمالكم فواعملاه ، ثم يقول : غدا يكون عطاء في القبور ، فلا يزال ذلك دأبه إلى الصبح .
وقال سفيان الثوري رحمه الله : من أكثر ذكر القبر وجدده روضة من رياض الجنة ،

(٢٩) لا أخالك : لا أراك ولا أظنك .

(٣٠) جنّ الليل الناس : سترهم وأظلم عليهم .

ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.

وقال أحمد بن حرب رحمه الله: تتعجب الأرض ممن يمهد مضجعه، ويسوي فراشه للنوم، تقول: يا ابن آدم ألا تذكر طول رقادك في جوفي وما بيني وبينك شيء؟! .

وأنشد بعضهم:

ياليـتني والأمانـي غير طائلة	إلا تعلل مشغوف بها شغلا
علمت أي بلاد الله مضطجعي	إذا تباين عني الروح وانفصلا
لعلني أن أشوب (٣١) أدمعي بدمي	فيه واشرح من حزني به جملا
وأن أسوي من تربائه بيدي	حتى يكون وثير (٣٢) المس معتدلا
هيهات هيهات ما للقبر تسوية	إلا اليقين وإلا القول والعملا

ومر (٣٣) علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمقابر، فوقف عليها، فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي في جميع أحواله عن الله تعالى .

ثم قال: يا أهل القبور، أما الزوجات فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خير ما عندنا، فما خير ما عندكم، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما أنهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى . ويروي أن رجلا دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة، واستحالت صفته، فجعل يتعجب من تغير لونه، فقال له عمر: يا ابن أخي وما تعجبك مني؟ فكيف لورأيتني بعد دخول قبري بثلاث، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان عن

(٣١) اشوب: أمزج وأخلط .

(٣٢) وثير: لين، ناعم .

(٣٣) من هنا إلى : خير الزاد التقوى، انفردت به نسخة «ل» .

الأسنان، وخرج الصديد والدود من المناخر والفم، وانتفخ البطن فعلا على الصدر، وخرج الصلب عن الدبر؟! لرأيت إذ ذاك مني أعجب مما رأيت الآن .
واعلم رحمك الله أنه من أقام هذا الخيال نصب عينيه، وتفكر في الميت وما يؤول إليه، ثم نظر فيما يقدم بعد ذلك عليه، وعلم أن جسمه الغض (٣٤) وبدنه اللين سيطرح في حفرة تقطع أوصاله وتغير أحواله، ثم يتبين بعد ذلك مآله، ويُطلب بكل ما عمله وفاله، لم يشغل بميت باله، ولم يبك إلا لنفسه، لا له .
وأنشدوا:

لمن جدت أبصرته فشجاني
سفكت عليه أدمعي فسقيته
وقفت به حيران وقفة هائم
وما بي من في القبر لكن رأيت
وأنشدوا أيضا:

لمن الأقبر في تلك الربي
لمن الأوجه فيها كسفت
لمن الأجسام فيها بليت
ومن الفرسان فيها قد نسوا
ورموا إذ هتف الموت بهم
ومن الخُرد فيها شدَّ ما
نظر الموت إليها فغدت
لمن الأقبر في تلك الربي
يا جفونا أرسلت أدمعها
صاح يا صاح ونيران الجوى (٣٧)

ملأت صدري شجوا وأسى
بعد حسن وجمال وضيا
بعد زهو وشباب وانتشا (٣٥)
روعة الحرب بروعات الثرى
بسيوف الهند رعبا والقنا (٣٦)
فتكت قبل بأساد الشرى
تنفر الأنفس منها إذ ترى
ألست جسمي أثواب الضنا
ما بذا بأس نو أرسلت الدما
علقت مني بأثناء الحشا

(٣٤) الغض: الطري .
(٣٥) الانتشاء: السكر والمراد فرحة الشباب .
(٣٦) القنا: جمع قناة وهي الرمح .
(٣٧) الجوى: شدة الوجد من حزن أو عشق، داء في الصدر .

لا تظنن بكائي لهم
إنما أبكي لنفسي لا لهم
حامد الجمرة موهون القوى
رب يارب يارب الورى
كفر الإحسان قدما وبغى
ما ترى في أمره يا من ترى
ليس إلا عفوك المرجو أو
وعياذا بك يا مولاي أن
وإذا اسلمته رب فمن
ليس والله لهم هذا البكا
فكأنى اليوم فيهم أو غدا
دائم الحسرة مقطوع العرى
ما ترى في عبد سوء ما ترى
وطغى ثم طغى ثم طغى
كل شيء وهو رب لا يرى
دفعه تنزله قعر لظى
يلتوي في يده جبل الرجا
يقصد اليوم له أو يرتجى

ولعلك يا هذا الباكي على ميتة لا تفرغ من بكائك عليه حتى ينزل بك
ما نزل به، فتكون قد ضيعت وقتك بسببه، ولم تشف صدرك من وصبه، ولا
قضيت ببكائك جميع أربه، كما روى عن عبد الملك بن قريب الأصمعي قال:
رأيت بالبادية امرأة على راحلة تطوف حول قبر تبكي وتنشد وتقول:

يا من بمقلته^(٣٨) أزها الدهر
زعموا قُتِلْتُ وما لهم خبر
يا قبر سيدنا المجن^(٣٩) سباحة
ما ضر لحدا أنت ساكنه
فلينبعن سماح جودك في الثرى
وإذا غَضِبْتَ تصدَّعت قَرْقاً^(٤١)
وإذا رَقَدْتَ فأنت منتبه
والله لو بك لم أدع أحدا
قد كان منك تطاول الأمر
كذبوا وقبرك ما لهم عذر
صلى الله عليك يا قبر
ألا يمر بأرضه القطر^(٤٠)
وليورقن بقبرك الصخر
منك الجبال وخافك الذعر
وإذا انتبهت فوجهك البدر
إلا قتلت لفاتني الوتر^(٤٢)

(٣٨) المقلّة: العين.

(٣٩) المجن: الحامي، الواقى.

(٤٠) القطر: المطر.

(٤١) الفرق: الخوف.

(٤٢) الوتر: الانتقام.

قال الأصمعي : فأعجبني شعرها ، فدنوت منها لأكلمها وأسألها عن أمرها ، فإذا هي قد سقطت ميتة .

وقال ميمون بن مهران رحمه الله : خرجت مع عمر بن عبدالعزيز إلى المقابر ، فلما نظر إليها بكى ، ثم قال وأقبل علي : يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأن لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وطيب عيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلاث (٤٣) ، واستحكم فيهم البلى وأصاب الهوام في أجسامهم مقيلاً ؟ ! ثم بكى وقال : والله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله عز وجل .

وقال ثابت البناني : دخلت المقابر ، فلما أردت الخروج منها إذا بصوت يقول : يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها ، فكم من نفس معذبة فيها .

ويروى أن فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم نظرت إلى جنازة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقالت :

وكانوا رجاءً ثم عادوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت (٤٤)
ثم ضربت على قبره فسطاطاً (٤٥) وأقامت عليه سنة ، فلما مضت السنة
قلعوا الفسطاط ليدخلوا المدينة ، فسمعوا صوتاً من جانب البقيع (٤٦) ، - يعني
المقابر - يقول : هل وجدوا ما طلبوا ؟ فسمعوا صوتاً من الجانب الآخر يجاوبه : بل
يشسوا فانقلبوا .

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبراً كان يألف صاحبه ، فأنشأ يقول :

قبر الحبيب فلا يرد جوابي	مالي مررت على القبور مسلماً
أَمَلَّتْ بعدي خلة الأصحاب	فأجبت مالك لا تجيب مناديا
وَحُجِبَتْ عن أهلي وعن أحبابي	أكل التراب محاسني فنسيتمكم
	قال : فهتف بي هاتف يقول :

(٤٣) المثلاث : العبر ، العقوبات .

(٤٤) جلّت : عظمت .

(٤٥) الفسطاط : الخيمة .

(٤٦) البقيع : مقبرة المدينة المنورة .

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم عقدة الأسباب
وقال أبو موسى التيمي : توفيت النوار امرأة الفرزدق ، فخرج في جنازتها
وجوه أهل البصرة وقراؤها ، وفيهم الحسن بن أبي الحسين البصري ، فقال
الحسن للفرزدق : يا أبا فراس ما أعددت لهذا اليوم ؟

فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة ، وخمس نجائب لا يدركن
- يعني الصلوات الخمس - فلما دفنت النوار قام الفرزدق على قبرها وقال :
أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا قادني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسربلا سربيل قطران لبوسا محرقا
إذا شربوا فيها الحميم رأيتهم يذوبون من حر الجحيم تمزقا
وقال مالك بن دينار : أتيت القبور يوما ، فقلت فيها بيتين :

أتيت القبور فناديتها وأين المعظم والمحتقر
وأين المدل (٤٧) بسلطانه وأين العزيز إذا ما افتخر

قال : فنوديت من بينها ، أسمع صوتا ولا أرى شخصا ، وهو يقول :
تفانوا جميعا فلا مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
وصاروا إلى مالك قاهر عزيز مطاع إذا ما أمر
تروح وتغدو بنات الثرى وتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا أمالك فيما ترى معتبر
لقا. قلد القوم ما قدموا فأما نعيم وإما سقر
قال مالك : فرجعت وأنا أبكي .

وأنشد بعضهم :

قف بالقبور بأكباد مصدعة ودمعة من سواد القلب تنبعث

(٤٧) المدل بسلطانه : المفتخر به ، الواثق ، الشجاع .

وسل بها عن أناس طالما رشفوا
 ماذا لقوا في خباياها وما قدموا
 وعن محاسنهم إن كان غيرها
 وما لهم حشرات الأرض تنهشهم
 وتلكم الفتيات إذ طرحن بها
 فإن يجبك على لأي مجبهم
 فانظر مكانك في أفناء ساحتهم
 واعمل لمصرع يوم هال أوله
 ثغر النعيم وما في ظله مكثوا
 عليه فيها وما من أجله ارتبثوا (٤٨)
 طول المقام ببطن الأرض واللبث
 نهشا نزول له الأعضاء والنجث (٤٩)
 هل كان فيهن ذا التغير والشعث
 ولن يجيب وأنى ينطق الجحدث
 فإنه الجد لا هزل ولا عبث
 ومن أمامك فيه الروع والجأث (٥٠)

ولعلك (٥١) أيضا ممن يرفع قبروليهِ ويزخرفه ويشيده ، ويشغل بظاهره ويغفل عن
 باطنه ، ولا يدري هل أبيض على من فيه أو أسود ، وهل انفرج له أو انسد ؟ وما
 ساكنه ؟ اشقي أم سعيد ، غوي أو رشيد ؟ وأحسن عنده أن يتصدق بتلك النفقة
 عنه ، ليزداد بها حسنة ، أو يحط عنه بها سيئة .
 وأنشدوا :

ليت شعري ساكن القبر المشيد
 وهل الباطن فيه مثل ما
 وهل الأركان منه بالتقى
 وهل المضجع فيه لين
 ليت شعري ساكن القبر المشيد
 اقريب أنت من رحمة من
 أم بعيد أنت منها فلقد
 هل وجدت اليوم فيه من مزيد
 هو في الظاهر تزويقا وشيد
 نيرات أو بأعمالك سود
 أو سعي رمالها فيه خود
 أشقي أنت فيه أم سعيد
 وسع العالم إحسانا وجود
 طرقت دارك بالويل البعيد

(٤٨) ارتبثوا : تفرقوا واختلّفوا .

(٤٩) النجث : غلاف القلب ، ونجث على وزن ثلث وربيع .

(٥٠) الجأث : الفزع . وفي الحديث أنه عليه السلام رأى جبريل ، قال : فجئت منه فرقا حين
 رأيته ، أي ذعرت .

(٥١) من هنا إلى : واعلم رحمك الله انفردت به نسخة «ل» .

ولقد حل بأرجائك ما ضاق عنه كل ما في ذا الوجود
أيها الغافل مثلي وإلى كم تعامى وتلوى وتحيد
ادن فاقراً فوق رأسي أحرفاً خرجت ويحك من قلب عميد
صرعته فكرة صادقة وهموم كلما تمضي تعود
وندامات لأيام مضت هو منها في قيام وقعود
وغدا ترجع مثلي فاتعظ بي وإلا فامض واعمل ما تريد
قد نصحناك فإن لم تره سيراه بصر منك حديد

واعلم رحمك الله أن الشيء الممكن وجوده لا يعرف مقداره على الحقيقة
إلا إذا عدم وفقد، وطلب فلم يوجد، كما قال القائل :
مر الشباب ولم أقدر أراجعه ولم أحييه إلا بعدما انصرفا
والمرء يجهل قدر الشيء يمكنه حتى إذا فاته إمكانه عرفا
ألا ترى رحمك الله أن الصحة لا يعرف مقدارها على الحقيقة إلا
المرضى، والعافية لا يعرف مقدارها إلا المبتلى، فكذلك الحياة لا يعرف
مقدارها إلا الموتى، لأنهم قد ظهرت لهم الأمور، وانكشفت لهم الحقائق،
وتبدت لهم المنازل وعلموا مقدار الأعمال الصالحة، إذ ليس ينفق هناك إلا عمل
صالح زكي، ولا يرتفع هناك إلا عبد تقى وكلما ازداد هنا عملاً صالحاً كان هناك
أرفع درجة واشرف رتبة، وأكثر وجاهة، وكلما ازداد في الدنيا فضيلة كان أقرب
إلى الله وسيلة.

فلما استبان لهم ذلك، وعلموا مقدار ما ضيعوا، وقيمة ما فيه فرطوا ندموا
وأسفوا، وودوا لو أنهم إلى الدنيا رجعوا، وإلى حالتهم الأولى ردوا، وكل على
حاله، فالذي عمل صالحاً يود أن لو رجع إلى الدنيا فازداد من عمله الصالح،
وأكثر من متجره الرابع.

والمقصود لو ردّ فاستدرك ما فات، ونظر فيما فرط فيه.

فالمفرط المهمل بالجملة يكون تمنيه الرجوع أكثر وحرصه على الإقالة
أشد، كل يتكلم عن حاله، ويخبر عما هوفيه، حتى قال الشهيد الذي قتل في

سبيل الله لما قيل له : ما تشتهي ؟ قال : أريد أن أرجع إلى الدنيا فأقاتل فأقتل مرة أخرى ، وذلك لما يرى من فضل الشهادة وازدحام الحور العين عليه حال قتله .

وقال غيره : « رب ارجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت » وقالوا : ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » .

وقال : ﷺ ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال : إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع . أخرجه الترمذي (٥٢) .

ويروى أن رجلا جاء إلى القبور وصلى ركعتين ، ثم اضطجع على شقه فنام ، فرأى صاحب القبر في المنام ، فقال له : يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ، ولأن تكون ركعتك في صحيفتي أحب إليّ من الدنيا وما فيها .

وقال بعض الصالحين : مات أخ لي في الله ، فرأيت في النوم فقلت له : يا فلان ما فعل الله بك عشت الحمد لله رب العالمين قال لي : لأن أقدر - يعني علي أن أقول الحمد لله رب العالمين - أحب إليّ من الدنيا وما فيها ، ثم قال : ألم تر حيث كانوا يدفنونني فإن فلانا جاء فصلى ركعتين ، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها .

ألا ترى - رحمك الله إلى ندمهم على تفريطهم ، وتأسفهم على تضييعهم ، ندموا والله حيث لا ينفع الندم ، وطلبوا ما لا يمكن ، وسألوا فيما ٤٩ / أ لا يجوز فتركوا على حالهم ، ولم يسعفوا في سؤلهم ، وبقي كل واحد منهم فيما هو فيه .

ولما أشرف بعضهم على الآخرة ، وأخذ في الانحذار إلى أوديتها والتدلي في مهاوئها ، وأراد التمسك فلم يمكنه ذلك ، وأراد التثبيت فلم يقدر عليه ، والرجوع فلم يجد إليه سبيلا ، أمر أن يكتب على قبره كذا ، ويرسم عليه كذا ، ليكون تذكرة لمن رآه ، وموعظة لمن مر به ، كما قال القائل .

(٥٢) الترمذي رقم ٢٤٠٥ في الزهد . وإسناده ضعيف . جامع الأصول ١١ / ١٨٠ .

أيها الماشي بين القبور غافلا عن حقيقة القبور
أنا ميت كما تراني طريح بين أطباق روضة (٥٣) وصخور
ادن مني أنبيك عني ولا ينبيك عني مثل خير
أنا في بيت غربة وانفراد مع قربي من جيرتي وعشيري
ليس لي فيه مؤنس غير سعي من صلاح سعيته أو فجور
وكذا أنت فاتعظ بي وإلا فعذيري منك الغداة عذير

فمن رأى قبرا فإنما رأى واعظا يعظه، ومذكرا يذكره، فإن كان القبر ساكتا فإنه ناطق بلسان الحال، ومفصح بما يكون منك في المال، فكأنه إنما يخاطبك إنسان ويبين لك عاقبتك، ويقول لك: يا هذا كنت حيا مثلك وقد مت، وكذلك أنت تموت، فضيعت أمر ربّي وندمت، وكذلك إن ضيعت أمر ربك ستندم، كما قال القائل:

ألا قل لماش على قبرنا غفول عن أشياء حلت بنا
سيندم يوما لتفريطه كما قد ندمنا لتفريطنا
فويحك كفّ خطام الهوى وقُدِّمْ جيلا تفزّ بالمنى
والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، وإنما هي ساعة واحدة وإن طال المدى وامتد العمر واتصلت الأيام، كما قال القائل:

وإنما عمرك المرجى هذا الذي نلته كساعة
وقال الأصمعي: أصيب حصير حول الحيرة أدرج فيه رجل عليه خلقان، وعند رأسه لوح مكتوب فيه: أنا عبد المسيح بن حيان بن نفيلة:

حلبت (٥٤) الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني فلم أخضع لمعضلة كؤود
وكدت أنال بالشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلود

(٥٣) الروضة: مكان مرتفع من الأرض دون الهضبة، وفي الحديث: لما نزل وانذر عشيرتك

الأقربين أتى روضة جبل فعلا أعلاها. اللسان - رضم.

(٥٤) حلبت الدهر أشطره: أي جربت أموره خيرها وشرها. الأشطر: اخلاف الناقة.

وحدثني أبو الطاهر السلفي نزيل الاسكندرية فيما أذن لي أن أحدث به
عنه بإسناده إلى وهب بن منبه قال : أصيب على قبر إبراهيم الخليل مكتوبا
خلفه على حجر :

ألهى جهولا أملة يموت من جاء أجله
وكيف يبقى آخر قد مات عنه أوله
ومن دنا من حتفه (٥٥) لم تغن عنه حيله
ووقع في كتاب المجالسة لأبي بكر أحمد بن مروان المالكي الدينوري
ووجد على قبره مكتوبا :

يا أيها الناس كان لي أمل
فليتق الله ربه زجل
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا
وعلى آخر مكتوبا :

تناجيك أجدات وهن سكوت
أيام جامع الدنيا لغير بلاغه
ووجد على آخر مكتوب :

وقفت على الأحبة حين صُفّت
فلما أن بكيت وفاض دمعي
ومما يذكر أنه وجد شعر قديم بالشام مكتوبا على قبر، وقيل إنه على قصر
من قصور اليمن :

ماتوا على قلل (٥٦) الأجدال تحرسهم
واستنزّلوا بعد عز من معاقلهم
ناداهم صارخ من بعد ما دُفِنوا
أين الوجوه التي كانت منعمة
غلب (٥٧) الرجال فلم تمنعهم القلل
وأنزلوا حفرة يا بئس ما نزلوا
أين الأسرة والتيجان والحلل
من دونها تضرب الأستار والكلل

(٥٥) حتفه : هلاكه ، موته .

(٥٦) قلل الأجدال : أعالي رؤوسها .

(٥٧) غلب الرجال : جمع أغلب وهو غليظ العنق ، والمراد العظماء .

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
لطال ما أكلوا دهرًا وما نعموا
قال أبو القاسم محمد بن سعد: رأيت قبرًا في بستان كثير النخل والرمان وأصناف
الشجر، وعليه مكتوب:

كم ساكن في حفرة يلى جديد جماله
ترك الأحبة بعده يتلذذون بمآله
وقال جعفر بن محمد المستملي عن أبيه: قرأت على قبر:

ما حال من سكن الثرى ما حاله
أمسى ولا روح (٥٩) الحياة يصيبه
أضحى وحيدًا موحشًا متفردًا
أمسى وقد درست محاسن وجهه
واستبدلت منه المجالس غيره
هل من قبيل (٦٠) تعلمون مكانه
قال: وقرأت على قبر أيضًا:

يا باكي الميت على قبره
من عاين الموت فذاك الذي
كم من شقيق لم يجد غير أن
وكم محب لحبيب إذا
ووجد على قبر مكتوبًا:

الموت أخرجني من بيت مملكتي
لله عبد رأى قبري فأعبره (٦٢)

(٥٨) صرمت: قطعت.

(٥٩) روح: راحة.

(٦٠) قبيل: جماعة.

(٦١) سجاه: مد علوه الثوب وغطاه.

(٦٢) أعبره: اعطاه العبرة والعظة، أو جعله يبكي بعبره أي بدمعه.

(٦٣) ريب التصارييف: أحداث الدهر.

هذا مصير بني الدنيا وإن نعموا فيها وغرهم طول التساويف (٦٤)
استغفر الله من جرمي ومن زلي وأسأل الله فوزا يوم توقيف

ووجد على آخر مكتوبا :

قف واعتبر فكأن قد حلت هذا المحلا
هذا مكان يساوي فيه الأعز الأذلا
ما كان لي من صديق إلا جفاني وملا
وما جفاني ولكن طال المدى فتسلى

وعلى قبر أبي عامر بن شهيد مكتوب، وهو مدفون بإزاء صاحبه أبي
مروان الرجال، وكأنه إنما يخاطبه، وقد دفنا في بستان كانا كثيرا ما يجتمعان فيه :
يا صاحبي قم فقد أطلنا أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصعيد (٦٥)
تذكر كم ليلة نعمنا في ظلها إذ الزمان عيد
وكم سرور همي (٦٦) علينا سحابه ثرة (٦٧) يجود
كل كأن لم يكن تقضى وشؤمه حاضر عتيد
حصّله كاتب حفيظ وضّمه صادق شهيد
يا جسرتا إن نكبتنا (٦٨) رحمة من بطشه شديد
يارب عفوا فأنت مولى قصّر في حقه العبيد

ورأيت على قبر أحد بني حبيب بإشبيلية مكتوبا في لوح رخام :

عمّرت خمسين واثنتين في حالة لم تقرّ عيني
أطيع دنيا دُفِعت عنها إلى التي آذنت بحيني (٦٩)

(٦٤) التساويف : جمع تسويف وهو التأجيل بأن يقول سوف أفعل .

(٦٥) الصعيد التراب .

(٦٦) همي : نزل .

(٦٧) ثرة : السحاب الثر : غزير المطر .

(٦٨) نكبتنا : عدلت عنا، تخبّئنا واعتزلتنا .

(٦٩) الحين : يسكون الياء : الهلاك، المحنة .

تركت في الحي أصفياي
قد ننت عنهم أخرى الليالي
وسوف ينسونني وشيكا
إن كان دين الحياة ديني
ومما وجد على قبر مكتوبا:

إن الحبيب من الأحباب مختلس^(٧٠)
وكيف تفرح بالدينيا ولذتها
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته
كم أخرس الموت من قبر وقفت به
قد كان قصرك معمورا له شرف
وأمر أبو العلاء بن زهير، وكان

ترحم بفضلك يا واقفا
تراب الضريح^(٧١) على صفحتي
أداوي الأنام^(٧٢) حذار المنون
ووجد على قبر مكتوبا:

أنا مشغول بذنبي
وخطايا موبقات^(٧٣)
ولقد كنت جليلا
صرت في ظلمة قبري
في ثرى الأرض وحيدا
وتركت الأهل والمال

وحيل ما بينهم وبينني
ليس كبئن الحياة بيثني
من بعد خمسين واثنتين
فسرني أن قضيت ديني

لا يمنع الموت حجاب ولا حرس
يا من عليه يعدّ اللفظ والنفس
وانت دهرك في اللذات تنغمس
ولا الذي كان منه العلم يقتبس
عن الجواب لسانا ما به خرس
فقبرك اليوم في الأجداث مندرس
طبيب عصره أن يكتب على قبره:

وأبصر مكانا دفعنا إليه
كأنني لم أمش يوما عليه
فها أنا قد صرت رهنا لديه

عن ذنوب العالمينا
تركت قلبي حزينا
في عيون الناظرينا
خاليا فيه رهينا
في جوار الهانكينا
ل لعمري والبنينا

(٧٠) مختلس: مأخوذ.

(٧١) الضريح: القبر.

(٧٢) الأنام: الناس.

(٧٣) موبقات: مهلكات.

ولقد عمّرت دهرًا بعد أحقاب سنينا
 في نعيم وسرور فوق وصف الواصميننا
 وملكت الشرق والغرب ب وكان الملك فينا
 وفتحت المدن قهرا وغلبت الغاليننا
 فأتى الموت علينا بعد هذا ففنيننا
 أيها المغرور بادِرْ لثواب الصالحينا
 كل حي سوف يفنى غير محيي الميتينا

ووجد على قبر مكتوبا:

هذي منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش عجيب ما له خطر
 صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر
 وما يذكر أنه وجد على قبر بطليطة إذ كانت للمسلمين مكتوبا:

كأنك قد رحلت عن المباني ووارتك الجنادل^(٧٤) والصعيدُ
 وناداك الحبيب فلم تجبه وقُربك منه في الدنيا بعيدُ
 وأصبح مالك المجموعُ نهبا وعطل بعدك القصر المشيدُ
 وصار بنوك أيتاما صغارا وعانق عرسك^(٧٥) البعل^(٧٦) الجديدُ
 وأكبر منه أنك لست تدري شقي أنت ومحك أم سعيدُ
 ووجد على باب مقبرة مكتوبا:

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس
 ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم يطعموا من كل رطب يابس
 ولم يك منهم في الحياة منافس طويل المنى فيها كثير الوسوس
 ألا ليت شعري أين قبر خليلكم وقبر العزيز الشامخ المتشارس^(٧٧)

(٧٤) الجنادل: الصخور.

(٧٥) عرسك: زوجتك.

(٧٦) البعل: الزوج.

(٧٧) المتشارس: الذي به شراسة أو يدعيها ويتظاهر بها.

لقد صرّت في غاية الترب واحدا فهاهم بها مابين راج ويائس
ولو عقل المرء المنافس في الذي تركتم من الدنيا له لم ينافس



الباب التاسع

في زيارة القبور والبكاء عندها ، وما جاء أن الميت يعرف من زاره ، ويبلغه دعاء من دعا له وسلام من سلّم عليه ، وفي إباحة زيارة قبر الوالدين المشركين ، وما جاء أن الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون أحوالهم وأعمالهم .

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : قال زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى الناس من حوله وقال ﷺ : استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكركم بالموت^(١)

وذكر أبوداود من حديث بريدة بن حصيب قال : قال رسول الله ﷺ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرا^(٢) .
وذكر النسائي عن بريدة أيضا عن النبي ﷺ قال : من أراد أن يزور قبرا فليزره ولا تقولوا هجرا .

وذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : ما من رجل يزور قبر أخيه المؤمن كان يعرفه ويسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام .
ويروى من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم .

(١) مسلم رقم ٩٧٦ في الجنائز . وأبوداود رقم ٣٢٣٤ في الجنائز . والنسائي ٩٠/٤ في الجنائز . جامع الأصول ١١/١٥٣ .

(٢) أبوداود رقم ٣٢٣٥ في الجنائز . ١١/١٥٢ جامع الأصول .

وذكر النسائي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام (٣).
وذكر أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أورد عليه السلام (٤).
وقال سليمان بن نعيم : رأيت النبي ﷺ ٤٩ / ب في النوم ، فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم ؟ قال نعم وأرد عليهم .
وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المقابر قال : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية (٥) . وكان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر ، وهذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، ودعاء من دعا له .

ويروى أن الفضل بن موفق قال : كنت آتي قبر أبي المرة بعد المرة وأكثر من ذلك ، فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها فتعجلت بحاجتي ولم آته ، فلما كان من الليل رأيته في المنام ، فقال لي : يا بني لم لا تأتيني ؟ فقلت له : يا أبت وإنك لتعلم بي إذا أتيتك ؟ قال : أي والله يا بني ، وإنك لتأتيني فما أزال أنظر إليك حتى تطلع من القنطرة ، حتى تصل إليّ وتقعّد عندي ثم تقوم فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز (٦) القنطرة .

وكذلك أبيحت زيارة القبور للنساء كما أبيحت للرجال ، وأبيح لهن البكاء عند القبور كما أبيح للرجال .

مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر صبي لها ، فقال لها : اتقي الله واصبري ، فقالت : إليك (٧) عني فإنك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فلما ذهب

(٣) النسائي ٤٣/٣ في السهو ، باب السلام على النبي ﷺ ، ورواه أحمد والدارمي وابن حبان . جامع الأصول ٤٠٦/٤ .

(٤) أبو داود رقم ٢٠٤١ في المناسك ، باب زيارة القبور ، جامع الأصول ٥٤٥/٨ .

(٥) أخرجه مسلم رقم ٩٧٥ في الجنائز . والنسائي ٩٤/٤ في الجنائز . جامع الأصول ١٥٧/١١ . وليس فيه أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع . ومعنى فرط : سابق متقدم .

(٦) تجوز : تعبر ، تحتاز .

(٧) إليك عني : ابتعد .

قيل لها: إنه النبي ﷺ فأخذها مثل الموت ، ، فأثت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت: يا رسول الله لم أعرفك ، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى .

والحديث صحيح مشهور ذكره مسلم والبخاري وغيرهما .

ولو كان بكاء النساء عند القبور وزيارتهم لها حراما لأنها ﷺ ولزجرها زجرا يزجر بمثله من أتى محرما وارتكب منها .

وماروي من النهي عن زيارة القبور للنساء فغير صحيح ، والصحيح ما ذكرت لك من الإباحة ، إلا أن عمل النساء في خروجهن ما لا يجوز لهن من تبرج أو كلام أو غيره فذلك هو المنهي عنه . وقد أبيض لك أن تبكي على قبر ميتك حزنا عليه أورحة له مما بين يديه ، فإن وجدت لك بكاء فيبك ، ومع بكائك على ميتك فلا تغفل عن بكائك على نفسك ، وعن الفكرة فيما عملته في يومك وأمسك ، وفي مآلك عند حلول رمسك .

بل لو أمكنك أن تجعل بكاءك كله عليك كان الأولى بك والأحمد لك .

وأنشدوا:

صدعت عليه أكباد العميد
فذكرني بمنتبذ بعيد
أعاد عليّ أحزاني وعيد
ومثلي من بكى عند اللحد
غداة غد سأدخل في العديد

لمن جدث لدى باب البنود
نظرت إليه منتبذا بعيدا
مررت به فحادثني حديثا
وأبكاني وأبكاني وأبكى
وما بي من ثوى^(٨) فيها ولكن
وفي هذا المعنى :

تصان به هذي الجسوم وتكرم
كأني لأنفاس الصبا اتنسم
مقابر منها لا طيء^(١٠) ومسنم

ولما حللنا من بجاية جانبنا
وجدت لها طيبا وروحا وراحة
فقلت لصحبي ما الذي أمرجت^(٩) له

(٨) ثوى: نزول وإقامة، ومنه المثوى .

(٩) أمرجت: وسعت وصارت كالمرج .

(١٠) لا طيء: لاصق، قريب من الأرض . ومسنم: غير مسطح كأنه السنام .

فأوهمتهم أني جهلت وانني فقالوا طلبنا علم ذاك فلم نجد تَضَوَّع^(١١) بطن الأرض منها كأنها ففاضت دموعي عند ذاك وربما خليلي ما بالي وبالي نوائب^(١٢) وما شجاني وهو أعظم أنني ولم أدر ما كانت تحية خصمه وأعظم منها موقعاً وأشدّه باني في تلك المسالك سالك وما أنا أدري ما ألاقى وما الذي فهل من دم أبكيه صرفاً فإنما وقد تقدم أن الميت يتأذى ببكاء أهله عليه، وفيه حديث ابن أبي شيبه يقول النبي ﷺ يا عباد الله لا تعذبوا أمواتكم .

وربما يتأذى كذلك أو أكثر من ذلك ببكاء غير أهله، ويعتبر ذلك بالحي إذا بكى عنده من ليس له غرض في بكائه، ولا ارادة في عويله .

يروى عن أبي بكر بن اللباد قال : حدثتني عائشة الأندلسية - وكانت عائشة هذه من الصالحات - قالت توفي لي ولد بمصر فقدمت القيروان، فكنت أخرج إلى المقابر في باب سلم، فأجلس عند قبر وأبكي، فرأيت ذات ليلة كأنني خرجت إلى باب سلم على عادتي وإذا أهل القبور قعود على أفنية قبورهم ٥٠/أ، الرجال والنساء والصبيان، فلما أقبلت إلى الموضع الذي كنت أبكي عنده، سمعت أهل القبور يقولون: قد جاءت هذه المرأة، أها عندنا قبر تبكي عليه؟ قالوا: لا . قالوا: فلم تؤذينا ببكائها؟ قالت: ثم لطمني منهم ميت في خدي الأيمن، قالت: فقلت لهم: أتلطمون خدي وقد مسست به الركن

(١١) تَضَوَّع: انتشرت رائحته .

(١٢) نوائب: جمع نائبة وهي المصيبة .

(١٣) يكلم: يجرح .

والحجر الأسود؟ فقالوا لي : قبرك بمصر وتؤذينا أنت هاهنا؟ قالت : فانتبهت وأثر اللطمة في خدي . قال أبو بكر : وكشفت لي عن وجهها فرأيت أثر اللطمة سوادا أقام نحو من أربعين يوما ثم تقشر وذهب .

فينبغي لمن زار القبور أن يسلم على أهلها ، وأن يدعو لهم ويسأل الله عز وجل فيهم ، ويترك الكلام عندهم بما لا يحل ، والحديث على رؤوسهم بما لا يحب ، فإن كان المتكلم لا يدري مقدار ما يقول فإن الميت يدري مقداره ويتحقق موقعه ويتبين ضرره ، فواجب عليك ألا تؤذيه بسماع ما لا يريد سماعه ، وألا تدخل عليه ما لا يريد إدخاله ، وإلا فربما لم يف لك خير زيارتك إياه بشر ما تنقلب به من عنده .

كان بقرطبة رجل من الزهاد المحتسبين يكنى بأبي مروان وكان ديناً فاضلاً ، طلب العلم وروى الحديث وسمع من محمد بن وضاح ، وسكن عنده إلى أن مات ، وصلى عليه ابن وضاح ودفنه بمقبرة تعرف بمقبرة خلل ، وتعرف أيضاً بمقبرة المساكين ، وكان ابن وضاح بعد ذلك متى حضر جنازة في تلك المقبرة مشى إلى قبر أبي مروان هذا فوقف به وسلم عليه ودعا له . فحضر جنازة في بعض الأيام في تلك المقبرة ، وأعجله أمر عن المشي إليه على عادته للسلام عليه والدعاء له ، قال ابن وضاح فلما كانت الليلة المقبلة رأيت أبا مروان في نومي وكأنه يقول لي يا أبا عبد الله كن إذا دخلت هذه المقبرة وقفت بي وسلمت علي ودعوت لي فأنست بك وفرحت بدعائك ، ودخلت اليوم فلم تفعل شيئاً من ذلك فقلت : له يا أبا مروان وإنكم لتعرفون من يقف بكم ويسلم عليكم؟ فقال : نعم ، ولقد قعد ابنك محمد على قبري اليوم مع رجل ما هو إلا يهودي ، وتكلم بكلام ما هو إلا كفر ، ولقد تأذيت بقعودهما وكلامهما . قال ابن وضاح : فلما أصبحت دعوت ابني محمداً فقلت له : اين قعدت أمس إذ حضرنا جنازة فلان؟ قال : عند قبر أبي مروان الزاهد ، فقلت : مع من قعدت؟ فكتمني ، فقلت له مع من قعدت وعزمت عليه ، فقال لي : مع فلان وأعلمني بالقاعد معه ، فعرفته ، وكان ذلك الرجل مولعاً ببعض الكلام ، وقلت له : فيم تكلمتم وفيم خضتم؟ فقال : تكلمنا في الباري تبارك وتعالى وفي القرآن وغير ذلك : فقلت

له : إياك أن تقاعده أو تتكلم معه أو مع غيره في شيء من هذا ، فإن أبا مروان أتاني البارحة في نومي فأعلمني بكذا وكذا .

وهذه حكاية صحيحة عن ابن وضاح . وفي بعض طرقها ان ابنه قال : سبحان الذي جعل أبا مروان وكيلا علينا في حياته وبعد مماته .

٥٠/ب وكما يتأذى الميت - رحمك الله - بما يسمع من الكفر ، فكذلك يتأذى بما يسمع من الفحش والهجر ، ولكنه أذى دون أذى ، فواجب عليك ألا تؤذيه بقليل ولا كثير ، وإن لم تنفعه فلا تضره .

واعلم أن الميت كالحى فيما يعطاه ويهدي إليه ، بل الميت أكثر وأكثر ، لأن الحى قد يستقل بما يهدى إليه ويستحقر ما يتحف به ، والميت لا يستحقر شيئا من ذلك ولو كان مقدار جناح بعوضة ، أو وزن مثقال ذرة لأنه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه .

ومما يدل على صحة وصول ما يهدي الحى إلى الميت قوله ﷺ إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له (١٤) .

فدعاء الولد يصل إلى والده ، وينتفع به ، وكذلك أمره عليه السلام بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم ، ما ذاك إلا لكون الدعاء لهم والسلام عليهم يصل إليهم ويأتيهم . والله أعلم .

ويروى أن النبي ﷺ قال : الميت كالغريق في قبره ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها . والأخبار في هذا كثيرة .

قال بشر بن منصور : كان رجل زمن الطاعون يختلف إلى المقابر ، ثم يستقبل القبور فيقول : أمن الله روعتكم ، آنس الله وحشتكم ، رحم الله غربتكم ، تقبل الله حسناتكم ، تجاوز الله عن سيئاتكم ، لا يزيد على هؤلاء الكلمات . قال الرجل : فانصرفت ذات يوم ولم أدع ، فلما كان الليل رأيت فيما يرى النائم خلقا

(١٤) رواه مسلم رقم ١٦٣١ في الوصية . وأبو داود رقم ٢٨٨٠ في الوصايا والترمذي رقم ١٣٧٦ في الأحكام . والنسائي ٢٥١/٦ في الوصايا . جامع الأصول ١٨٠/١١ .

كثيرا قد جاءوني فقلت لهم : من أنتم؟ قالوا : أهل المقابر . قلت : وما حاجتكم؟ قالوا إنك قد عودتنا منك هدية تهديها إلينا عند انصرافك ، قلت : وما هي؟ قالوا : الدعوات التي كنت تدعوبها لنا ، قلت : فإني أعود لما كنت أدعوبه ، قال : فما تركت ذلك بعد .

وقال بشار بن غالب : رأيت رابعة العدوية - يعني العابدة - في المنام ، وكنت كثير الدعاء لها ، فقالت : يا بشار هديتك تأتينا في أطباق من نور عليها مناديل حرير ، وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لأخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال هذه هدية فلان إليك .

ورأيت لبعض من يوثق به قال : ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات من القرآن فأهديتها لها ، ودعوت الله عز وجل واستغفرت وسألت ، فلما كان في اليوم الثاني حدثني امرأة تعرفني وتعرفها ، قالت لي : رأيت البارحة فلانة في النوم - تعني الميتة المذكورة - في مجلس حسن في دار حسنة ، وقد أخرجت لي أطباقا من تحت سرير كان في البيت ، والأطباق مملوءة قوارير فقالت لي يا فلانة هذا أهدها لي صاحب بيتي . قال : وما كنت أعلمت بما أهديت من ذلك أحدا . وقال أبو قلابة : أقبلت من الشام إلى البصرة ، فمررت على مقابر ٥١/أ فنزلت الخندق فتوضأت وصليت ركعتين ، ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ، فإذا بصاحب القبر في المنام قد وقف بي ثم قال : يا هذا لقد أذيتني منذ الليلة ، يعني بوضع رأسه على قبره ، ثم قال : جزى الله أهل الدنيا خيرا ، فإنهم لا يزال يدخل علينا من دعائهم أمثال الجبال ، فأقرئهم مني السلام .

وحدثني من أثق به قال : رأى فلان - وسمى رجلا موثوقا به - في النوم فلانة ، وكانت ميتة ، قال : فقالت لي : يا هذا إمض إلى ابنتي فلانة الفاعلة الصانعة - تسبها - وقل لها : أهذا من الصواب أو من البر أن أقعد مع النساء فتأتيهن الطرف والهدايا من عند بناتهن وإخوانهن وأهليهن ، وأتطلع وأنا أنظر يمينا وشمالا رجاء أن يأتيني منها شيء فلا يأتي فأبقى خجلة عند النساء خزيانة بينهن ، وقل لها أول فلانة تمضي إلى موضع كذا وكذا فإن فيه دنائير مدفونة فتفعل بها كذا وكذا ، قال فوجدت الدنائير كما قالت .

والأخبار في هذا الباب كثيرة قديما وحديثا . فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت وأنه قد لحق بهم ودخل في معسكرهم ، وأنه محتاج إلى ما هم إليه محتاجون ، وراغب فيما هم فيه راغبون ، فليأت إليهم بما يجب أن يؤتي به إليه ، وليتحفهم بما يجب أن يتحف به ، وليتفكر في تغيير أحوالهم وألوانهم ، وتقطع أبدانهم ، وتنگر أحوالهم ، وكيف صاروا بعد الأنس بهم والتسلي بحديثهم إلى النفار من رؤيتهم والوحشة من مشاهدتهم ويتفكر أيضا في انشقاق الأرض وبعشرة القبور وخروج الموتى وقيامهم بمرة واحدة حفاة عراة غرلا مهطعين إلى الداعي مسرعين إلى المنادي .

قال مطرف بن أبي بكر الهذلي : كانت عجوز متعبدة في بني عبد قيس ، وكانت إذا جاء الليل قامت في محرابها ، فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور ، فعوتبت في كثرة إتيانها إلى القبور ، فقالت : إن القلب إذا قسا وعتا لم يلينه إلا زيارة الموتى والوقوف على رسوم البلى ، فإني لآتي القبور فأقف عليها وأنظر إليها ، وأعتبر بها وأفكر فيها ، فكأنني أنظر إليهم وقد خرجوا من بين أطباقها وانبعثوا من تحت أحجارها ، فيالها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أشد نهكتها في الأجسام ، وأعظم مرارتها في الأنفس .

وأعلم أن قبور الصالحين لا تخلو من بركة ، وأن زائرها والمسلم عليها والقاريء عندها والداعي لمن فيها لا ينقلب إلا بخير ولا يرجع إلا بأجر ، وقد يوجد لذلك أمانة ويبدو منها بشارة .

روى أن رسول الله ﷺ لما نزل بالمأزمين قال له أصحابه يا رسول الله إنا نجد هاهنا ريح مسك ، فقال : وما يمنعكم وهاهنا قبر أبي معاوية ، وأبو معاوية هو عبادة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ قتل يوم بدر شهيدا ، وكان خرج ذلك اليوم ومات هناك شهيدا ، رضي الله عنه .

وروى يحيى بن سعيد عن شعبة بن الحجاج قال :

٥١/ ب فتن الناس بقبر عبد الله بن غالب ، كان يوجد ريح المسك منه .

قال مالك بن دينار رحمه الله : ذهبت إلى قبر عبد الله بن غالب رضي الله عنه فأخذت من ترابه فإذا هو مسك أو كأنه مسك .

وقال حماد بن زيد حدثني سعيد بن زيد قال : أدخلت يدي في قبر عبد الله بن غالب إلى المرفق ، فأخرجت منه ترابا فإذا ريحه ريح مسك .
وقصة هذا القبر صحيحة مشهورة ، ولما خيف على الناس منه الفتنة سُوي .

حدثنا أبو الوليد اسماعيل بن أحمد المعروف بابن افرند ، وكان هو وأبوه صالحين معروفين ، قال : قال أبو الوليد مات أبي رحمة الله عليه ، فحدثني بعض إخوانه ممن يوثق به وبحديثه - نسيت أنا اسمه - قال لي زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزبا من القرآن ، ثم قلت له يا فلان هذا أهديته لك فماذا لي ؟ قال : فهبت على نفحة مسك غشيتني وأقامت معي ساعة ، ثم انصرفت وهي معي ، فما فارقتني إلا وقد مشيت نصف الطريق .

وروى أبو محمد عبد الله البكري ويعرف بالمغاور ، وكان من الصالحين والله أعلم مشهورا بالصدق والخير ، قال : زرت قبر الزبير بن العوام صاحب النبي ﷺ وقرابته ، وهو أحد العشرة ، وقبره بأرض البصرة قال : فبينما أنا على قبره إذ رأيته قد صب عليّ ماء ورد من الجوف بلني حتى بل مرقعتي ، رأيت ذلك وأنا حاضر الذهن مفتوح العين .

وغير بعيد أن يخلق الله على رأسه ماء ورد يبله بل يبل الأرض كلها إذا شاء ، كرامة لصاحب نبيه ﷺ وبشرى لهذا بزيارته إياه ، ولا يلزم أن يكون هذا لكل زائر ولا عند كل مزور ، بل يكون الزائر أفضل من هذا ، والمزور أفضل من ذلك ، ولا يكون شيء من هذا .

وللكلام على هذا موضع آخر .

وذكر ابن اسحاق قال : حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مات النجاشي كان يُتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدفن أهل الخير فتدفنه معهم وتنزله بإزائهم ، وتسكنه في جوارهم تبركا بهم وتوسلا إلى الله تعالى بقرهم ، وأن تجتنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذي بمجاورته والتألم بمشاهدته فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : إن الميت يتأذى بالجوار السوء كما

يتأذى به الحي .

يروى^(١٥) أنه دفنت امرأة بقرطبة، فأثت أهلها في النوم، فجعلت تعاتبهم وتشكوهم، وتقول: ما وجدت أن تدفنوني إلا إلى بيت فرن جير، فبحثوا وسألوا عمن كان مدفوناً بإزائها، فوجدوه رجلاً سيفاً كان لابن عامر، وقبره إلى قبرها، فأخرجوها من جواره، والله تعالى أعلم بحقيقة حال المقبور، وإنما لنا ما ظهر خاصة، والله عز وجل ما ظهر وما بطن .



(١٥) من هنا إلى : من جواره انفردت به نسخة «ل» .

الباب العاشر

٥١/ ب ذكر منامات رثيت لبعض الصالحين تدل على ما هم فيه من الخير وحسن العاقبة

قال ﷺ إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، قال: فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات، قالوا يارسول الله وما المبشرات؟ قال: رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة^(١) وقد فسر قوله تبارك وتعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ أنها الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له^(٢). ذكر الحديثين الترمذي.

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: الرؤيا الصالحة بشرى من الله. ومن حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة^(٣). ذكر هذا الحديث مسلم وغيره. وقال ﷺ رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة^(٤). وإذا ثبت صلاح العبد صدقت رؤياه، وإلا فهي تسر ولا تضر والله أعلم بمن يثبت صلاحه وبمن يصدق كل ما يراه، وليس هذا موضع الكلام وسأذكر لك جملاً من هذه الأخبار.

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٢٧٣ في الرؤيا. وقال صحيح غريب. جامع الأصول ٥٢٦/٢.
(٢) رواه مالك في الموطأ ٩٥٨/٢ في الرؤيا. وإسناده صحيح جامع الأصول ٥٢٦/٢.
(٣) مسلم رقم ٢٢٦٥ في الرؤيا جامع الأصول ٥٢٥/٢.
(٤) رواه البخاري ٣٣١/١٢ في التعبير. جامع الأصول ٥٢٥/٢.

وذكر البخاري من حديث أم العلاء وكانت ممن بايع رسول الله ﷺ
٥٢/ أ قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى حين أقرعت الأنصار على
سكنى المهاجرين، فاشتكى فمرضناه حتى توفي، ثم جعلناه في أثوابه، فدخل
علينا رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد
أكرمك الله، فقال: وما يدريك أن الله أكرمه؟ قلت: لا أدري والله، قال: أما
هو فقد جاءه اليقين إني لأرجو له الخير من الله، والله ما أدري وأنا رسول الله ما
يفعل بي ولا بكم، قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده.

قالت وأحزني ذلك فمنت فرأيت لعثمان بن مظعون في النوم عينا تجري،
فجئت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ذلك عمله يجري له.

ويروى عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال: رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته
بثلاث على فرس أبلق، وخلفه كرجال أهل منى، رجال بيض وعليهم ثياب
خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول: ياليت قومي يعلمون بما غفري
ربي وجعلني من المكرمين، ثم التفت يمينه وشماله يقول: يا ابن رواحة، يا ابن
مظعون الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبأ من الجنة حيث نشاء
فنعم أحر العاملين، قال: ثم صافحني وسلم عليّ.

معاذ بن جبل وعثمان بن مظعون وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم
تشهد لهم صحبة رسول الله ﷺ بما هم فيه من الخير، وبما صاروا إليه من
الكرامة، ولا يحتاج لهم إلى رؤيا، ولكن أردت ألا أخلي هذا الباب من ذكر
بعض الصحابة رضي الله عنهم.

قال صالح بن بشير المري: رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته،
فقلت له: يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا، فقال: أما والله لقد
أعقبني ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما، فقلت: في أي الدرجات أنت: قال:
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ولما مات سفيان الثوري رثي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال:
وضعت أول قدم على الصراط، والثاني في الجنة، وقال إبراهيم بن إياس،
رأيت سفيان الثوري في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أنا مع السفارة

قلت: وما السفرة؟ قال: الكرام البررة.

وقال عبد الله بن المبارك: رأيت الثوري في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت محمدا وحزبه.

وقال صخر بن راشد: رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته، فقلت له: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بـخ^(٥) بخ ذلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وعن قبيصة بن سفيان قال: رأيت سفيان الثوري في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال:

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي هينئ رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا^(٦) بعبرة^(٧) محزون وقلب عميد
فدونك^(٨) فاخترأي قصر تريده وزرني فإني منك غير بعيد
٥٢/ب وعن سفيان بن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم وقد مات كأنه
يطير في الجنة من شجرة إلى نخلة، ومن نخلة إلى شجرة وهو يقول: لمثل هذا
فليعمل العاملون، فقليل له: بم دخلت الجنة؟ قال: بالورع، فقليل له: فما
فعل علي بن عاصم؟ قال: ما نراه إلا مثل الكوكب.

وكان شعبة بن الحجاج ومسر بن كدام رحمهما الله رجلين فاضلين
جليلين، وكانا من ثقات المحدثين وحفاظهم، وكان شعبة أكبر وأجل، فماتا،
قال أبو أحمد الزبيدي: فرأيتهما في النوم وكنت إلى شعبة أميل مني إلى مسعر،
فقلت له: يا أبا بسطام ما فعل الله بك؟ قال: وفقك الله يا بني لحفظ ما أقول.
ثم أنشد:

(٥) بخ: اسم فعل وتقال هذه الكلمة للرضى بالشيء أو المدح، وقد تكرر للمبالغة.

(٦) دجا: أظلم.

(٧) عبرة: بفتح العين وتسكين الباء: دمة.

(٨) دونك: خذ.

حباني^(٩) إلهي في الجنان بقبة
وقال لي الجبار يا شعبة الذي
تنعم بقربي إنني عنك ذورضا
كفى مسعرا عزا بأن سيزورني
فهذي فعالي بالذين تنسكوا^(١١)
لها ألف باب من لجين^(١٠) مجوهرا
تبهر في جمع العلوم فأكثرنا
وعن عبيد القوام في الليل مسعرا
وأكشف عن وجهي ويدنول ينظرا
ولم يألّفوا في سالف الدهر منكرا
وذكر أبو الحسن بن جهضم عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الحجاج قال : حدثني
رجل من أهل طرسوس ، قال : دعوت الله عز وجل أن يريني أهل القبور ، حتى
أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله به ؟ فرأيت بعد عشر سنين فيما يرى النائم
كأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادروني بالكلام وقالوا : يا هذا كم تدعو
الله أن يريك إيانا ؟

تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحفه^(١٢) الملائكة تحت شجرة طوبى ؟ .
وهذا الكلام من أهل القبور إنما هو عبارة عن علو درجة أحمد بن حنبل
وارتفاع مكانته وعظم منزلته ، فلم يقدروا أن يعبروا عن صفة حاله وعما هو فيه
إلا بهذا أوبما هو في معناه .

وقال محمد بن أحمد الكندي : رأيت أحمد بن حنبل في النوم ، فقلت له :
يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ثم قال لي : يا أحمد ضربت في ستين
سوطا ؟ قلت : نعم يارب ، قال : هذا وجهي قد أبحتك فانظر إليه .

ويروى عن عبدة العابدة قالت : لما حضرت الوفاة رابعة العدوية قالت
لي : يا عبدة لا تؤذني بموتي أحدا ، وكفني في جبتي هذه وهي جبة من شعر
كانت تصلي بالليل فيها ، قالت : فكفناها في تلك الجبة وفي خمار^(١٣) من صوف

(٩) حباني : خصني .

(١٠) لجين : فضة .

(١١) تنسكوا : تعبدوا وتزهدوا .

(١٢) تحفه : تحيط به .

(١٣) غطاء الرأس .

كانت تلبسه، قالت: عبدة: فرأيتها في منامي بعد دفنها وعليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر قط شيئاً أحسن منها، قالت: فقلت لها: ياربعة ما فعلت تلك الجبة التي كنا كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنما والله نزعنا مني واستبدلت بهما هذا الذي ترين علي، وطويما وختم عليهما ورفعنا في عليين ليكمل ثوابهما إلى يوم القيامة. قلت لها: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ قالت: هيهات هيهات سبقتنا والله ٥٣/ أ إلى الدرجات العلى، قلت لها وبم وقد كنت انت عند الناس أكبر منها؟ قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا ولا أمست، قلت: فما فعل ضيغم بن مالك؟ قالت: يزور الله عز وجل متى شاء، قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أعطي والله فوق ما كان يأمل.

قالت: فقلت لها: فيم تأمريني أن أتقرب إلى الله عز وجل؟ فقالت: عليك بذكر الله فيوشك أن تغتبطي^(١٤) بذلك في قبرك. وقال بعض الصالحين: رأيت بشر بن منصور في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فأعرض عني، فقلت له: فضيغم بن مالك؟ قال: ركب إلى الله الساعة.

وقال ابن ثعلبة العابد: رأيت ضيغم بن مالك في النوم بعد وفاته، فقال لي: يا ابن ثعلبة أما صليت علي؟ فذكرت له شيئاً معني، فقال: أما أنك لو صليت عليّ لربحت رأسك، يقول لنجوت وغفر لك. وقال أبو جعفر السقاء صاحب بشر بن الحارث: رأيت بشر بن الحارث ومعروفا الكرخي رحمة الله عليهما وهما جاثيان وكأنهما في قبة أو كما قال: فقلت: من أين؟ فالأ: من جنة الفردوس زرنا كلیم الله موسى عليه السلام. ولما احتضر حجاج الزاهد قيل له: ما تشتهي؟ قال: الله، ثم خرجت نفسه، فرآه بعض إخوانه في النوم يمشي على حائط، قال: فرفعت رأسي إليه وأنا أمشي بالأرض، فقلت له: أبا يوسف كيف حالك؟ وكيف أنت؟ وعلام

(١٤) تغتبطي: تفرحي.

قدمت؟ قال : فضحك وقال : ما الأمر إلا سهل ما رأيت شيئاً مما كنت أخافه والحمد لله رب العالمين .

وعن سعيد بن أسد أن رجلاً كان من دعائه : اللهم سهل عليّ الموت ويسّر عليّ الحساب ، وبارك لي في اللقاء ، وأعذني من جهد البلاء ، فمات ، فرثني في النوم ، فقيل له : ما فعلت؟ فقال : لقيت خيراً ، وكل شيء سألت الله أن يعطينيه أعطانيه .

وقال بعض الصالحين : رأيت بشر بن الحارث في النوم ، وما كنت رأيته في اليقظة ولا كلمته قط ، فرأيت كأني واقف بين يدي الله عز وجل أسمع كلاماً ولا أرى أحداً وهو يقول : يا بشر قد قبلناك وقبلنا ما كان منك ، فسمعت بشراً يقول : ومن تبعني يارب ، قال : قد غفرت لهم .

وقال عاصم الجزري : رأيت في النوم كأني لقيت بشر بن الحارث فقلت : من أين يا أبا نصر؟ فقال : من عليين . قال : فقلت له : ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال : تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان ، قلت له : فأنت؟ قال : علم الله قلة رغبتني في الطعام فأباحني النظر إليه .

وقال أبو جعفر السقاء : رأيت بشر بن الحارث في النوم بعد موته ، فقلت له : يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ فقال : أطفني ورحمني وقال لي : يا بشر لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادي منك ، وأباح لي نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ، ووعدني أن يغفر لمن تبع جنازتي فقلت له : ما فعل أبو نصر التمار؟ قال : ذاك فوق الناس لصبره على بلائه وفقره . لعله أراد بقوله : أباح لي نصف الجنة نصف نعيم الجنة ، لأن نعيم الجنة نصفان : نصف روحاني ٥٣/ب ونصف جسماني ، فيتنعمون أولاً بالروحاني ثم إذا ردت الأرواح إلى الأجساد أضيف لهم النعيم الجسماني إلى النعيم الروحاني والله أعلم بما أراد .

وذكر بعض الصالحين قال: رثي بشر بن الحارث في النوم وهو يهول (١٥)
ويقول الساعة انطلقنا من السجن.

وقال أبو الحسن المالكي: صحبت خيرا النساج سنين كثيرة، فقال لي قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس قبل المغرب، وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستنسى هذا فلا تنس، قال: فنسيت به إلى يوم الجمعة، فلقيت من أخبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته، فوجدت الناس قد أخرجوا جنازته قبل الصلاة كما قال، فسألت من حضر وفاته، فقال: إنه غشي عليه ثم أفاق فالتفت إلى ناحية البيت وقال: قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور والذي أمرت به أنت لا يفوتك، والذي أمرت به أنا يفوتني، ثم دعا بهاء فجدد الوضوء ثم صلى، ثم تمدد وغمض عينيه ومات رحمه الله، فرثي في المنام فقيل له: كيف حالك؟ فقال: لا تسأل ولكني تخلصت من دنياكم الوضرة (١٦).

وكان من دعاء بعض الصالحين: اللهم يا سيدي حبست من شئت عن خدمتك، وأطلقت لها من أحببت من خلقك، غير ظالم ولا مسئول عن فعلك، وقد تقدمت لي فيك آمال، فلا تجمع عليّ المنع من الطاعة وخيبة الأمل فيك يا كريم، فكان هذا خاتمة دعائه، فلما مات رثي في المنام في الجنة، فقيل له: بم نلت هذا؟ قال: بذلك التضرع، والاستغاثة في الأسحار، قيل: ورثي عليه حلة قال الرائي: فما رأيت شيئا لها، وعليها مكتوب بالذهب انعم فقد نلت الأمل، فقلت له: ما هذا الكتاب على ثيابك؟ قال: هذا خاتمة تضرعي وأملي الذي كنت أؤمله من سيدي.

وقال بعض الصالحين: رأيت أبا بكر الشبلي رحمه الله في المنام وكأني قاعد في مجلس الرصافة بالموضع الذي كان يقعد فيه، وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان، قال: فقممت إليه وسلمت عليه، وجلست بين يديه، فقلت له: يا سيدي من أقرب أصحابك إليك؟ فقال مسرعا: ألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله.

(١٥) يهول: يجري جريا خفيفا.

(١٦) الوضرة: الوسخة.

وقال أبو عبد الرحمن الساحلي: رأيت ميسرة بن سلم في المنام بعد موته، فقلت له: أصلحك الله طالت غيبتك، فقال: السفر طويل، قلت: فما الذي قدمت عليه؟ فقال: رخص لنا لأننا كنا نفقي بالرخص، فقلت له: فما تأمرني به؟ فقال: اتباع الآثار، وصحبة الأخيار ينجليان من النار ويقربان من الجبار.

وروي عن شعيب بن حرب قال: كانت بمكة امرأة من الصالحات من أهل القرآن، فرأت فيما يرى النائم حول الكعبة وصائف بأيديهن الرياحين وعليهن المعصفرات، فقالت: سبحان الله أحول الكعبة يكون هذا؟! فقيل لها: أما علمت أن عبد العزيز بن أبي رواد تزوج الليلة؟ ٥٤/ أ قالت: فاستيقظت فإذا عبد العزيز بن أبي رواد قد مات في تلك الليلة.

وقال بعض الصالحين: رأيت في النوم كأي في السماء، ولأهل السماء ضجيج وحركة، وهم يقولون: جاء المحسن جعفر بن الزبير، فانتبهت فمشيت إلى منزله، فوجدته قد مات.

ويروى عن أبي جعفر الضرير أنه قال: رأيت عيسى بن زاذان في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فأنشأ يقول:

لورأيت الحسان في الخلد حولي وأكاويها^(١٧) بصافي الشراب
يترنمن^(١٨) بالقرآن جميعا يتمشين مسيلات^(١٩) الثياب

وقال عبود المعلم، وكان يعرف بوجه الجنة: رأيت أبا عبد الله الفزاري المعلم في النوم بعد موته، فقلت له: كيف وجدت الأمر؟ قال: أسهل مما تذكرون، وأصعب مما تصفون، فقلت له: صاحبك سهل الوراق أمعك هو؟ قال: يدي في يده، ويده في يدي - يعني في الجنة - ولكنه أطول مني قامة.

وقوله: أطول مني قامة: يريد أرفع مني مرتبة، وكان قد رآه بعد موته.

ويروى عن معوذ بن داود الباكرتي وكان من الصالحين أنه قال: رأيت أبا حفص عمر بن عبادل المرعيني الزاهد بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟

(١٧) أكايوب: أكواب.

(١٨) يترنمن: يغنين.

(١٩) مسيلات: مطيلات.

فقال : لو كنت أعلم الغيب لا ستكثر من الخير، وهذا يدل على أنه فعل معه خير فأراد الزيادة منه .

وعن يعلي بن عبيد قال : جاء رجل إلى سفيان الثوري فقال له : يا أبا عبدالله رأيت في المنام كأن ملكا نزل من السماء إلى الشام ، فاقتلع ريحانة ثم صعد بها إلى السماء ، فقال له سفيان : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي ، فحفظ ذلك اليوم فجاء نعيه أنه مات فيه .

ويروى عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن حفصة قالت : كان مروان المحلمي لنا جاراً ، وكان عابداً مجتهداً ، فمات ، فحزنت عليه حزناً شديداً ، فرأيت في النوم ، فقلت له : يا أبا عبدالله ما صنع بك ربك ؟ قال : أدخلني الجنة ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : رفعت إلى أصحاب اليمين ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم رفعت إلى المقربين ، قلت : فمن رأيت ثم من أصحابك ؟ قال : رأيت الحسن البصري ومحمد بن سيرين وميمون بن سياه ، قال حماد : قال هشام : فحدثتني أم عبدالله وكانت من خيار نسل أهل البصرة قالت : رأيت فيما يرى النائم كافي دخلت بستاناً ، فذكرت من حسنه ما شاء الله أن تذكر ، فإذا أنا برجل متكئ على سرير من ذهب ، وحوله الوصائف بأيديهن الأكواب ، قالت : فأنا متعجبة من حسن ما أرى إذ أتى ذلك الرجل فقبل له هذا مروان المحلمي قد أقبل ، فوثب فاستوى جالسا على سريره ، قالت : فاستيقظت من منامي فإذا بجنازة مروان المحلمي قد مر بها على بابي تلك الساعة .

ويروى عن عبدالواحد^(٢٠) بن زيد - وكان من الصالحين ، قال : رأيت في المنام ليلة مات الحسن البصري كأن أبواب السماء قد فتحت وكأن الملائكة صفوف ، فقلت : ما هذا إلا لأمر عظيم ، فسمعت منادياً ينادي ألا إن الحسن بن أبي الحسن قدم على الله وهو عنه راض .

٥٤/ ب ويروى أن امرأة قالت لابن سيرين وهو يأكل : رأيت كأن شجرة باسمين قلعت من الأرض ورفعت إلى السماء ، وكان الثريا سقطت من السماء

(٢٠) عبدالواحد : في زعبد الرحمن .

في دارك، قال: فرفع ابن سيرين يده من الطعام وقال: أعظم الله أجري في نفسي، وإن كثر البقاء فإلى سبع. فكان كذلك.

ويروى عن عمرو بن عمرو بن صفوان عن بعض مشيخته قال: رأيت في النوم كأني جئت إلى هذه المقبرة التي بمكة فرأيت على عامتها سرادقات ورأيت منها قبرا عليه سرادق وفسطاط وسدرة، فجئت حتى دخلت وإذا مسلم بن خالد الزنجي، فسلمت عليه وقلت: يا أبا خالد ما بال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة؟ فقال: إني كنت كثير الصيام، فقلت له يا أبا خالد أين قبر ابن جريج؟ دلي عليه فقد كنت أجالسه، وأنا أحب أن أسلم عليه، فقال هكذا بيده هيهات وأدار أصبعه السبابة وقال: وأين قبر ابن جريج؟ رفعت صحيفته في عليين.

ويروى عن بعض الصالحين قال: رأيت بعض جيرانى في النوم فقلت له: ما حالك؟ فذكر شيئا، قلت: فما حال عبد الله بن المبارك؟ قال: ذلك مشهور في الجنة.

ورئي حماد بن سلمة في النوم، ف قيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: طال ما كددت (٢١) نفسك في الدنيا فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين.

وعن أسلم بن زرعة العباداني قال: كان عندنا بالساحل رجل له فضل بارع، كان يعذب له الماء المالح، قال: قال لي يوما: رأيت البارحة فيما يرى النائم كأن رجلا يقول لي: قد فرغنا من بناء دارك، ولورأيتها لقرت عيناك، وقد أمرنا أن ننجزها لك والفراغ منها إلى سبعة أيام، واسمها السرور، فابشر بخير، قال: فلما كان في اليوم السابع بكر للوضوء ونزل للنهر وقد هدا، فزلق فغرق فمات، فأخرجناه فدفناه، قال فأريته بعد ثلاثة وهو يكبر وعليه حلل خضر، فقال لي: يا أبا الرضى أنزلني الكريم دار السرور وماذا أعد لي فيها؟ فقلت: صف لي هذا، فقال: هيهات يعجز الواصفون ان تنطق ألسنتهم بما فيها، فياليت عيالي

(٢١) كددت نفسك: أتعبتها.

يعلمون أنه قد هيء لهم منازل معي فيها كل ما اشتته أنفسهم ولدت أعينهم .
نعم وإخواني وأنت معهم إن شاء الله . قال : ثم انتبهت .

وقال أبو محمد اللباد الفقيه رحمه الله : رأيت ربيعا العطار في المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك؟ فقال : في الجنة ، فقلت : وكيف حالكم فيها؟ قال : تارة تزخرف لنا الجنان ، وتارة تشرف علينا الحور العين ، وتارة تصطك لنا الحجب ، قال : فقلت له : فمن أعلى منزلة أنت أم فلان؟ - وسمي له رجلا معروفا عندهم - قال : فتبسم وقال : كلنا جمعنا في حديقة واحدة - يعني في جنة واحدة . ورأى بعض من يوثق به رجلا كان يعرف بالخير والعفاف ، بعد موته ، وعليه عمامة خز (٢٢) ، فأنكرها عليه ، وكأنه قال له : ألبسها ولباس الخزمكروه؟ فقال له : هو عندنا في هذه الدار مباح .

ورئي غيره شابا وكان في الدنيا أشيب ، فقيل له : نراك دون شيب؟ فقال : لا يشيب أحد في هذه الدار (٢٣) .

وقال بعض الصالحين : كان لي ولد فاستشهد ، فرأيته في النوم ليلة مات عمر بن عبد العزيز ، فقلت له : يا بني أأست ميتا؟ قال : لا ولكني حي أرزق ، فقلت : فما جاء بك؟ قال : نودي في أهل السماء لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا يحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز ، فحضرت ثم جئت لأسلم عليكم وأراكم .

والأخبار في هذا الباب لا تحصى .

(٢٢) الخز: ما عمل من الحرير والصوف .

(٢٣) هذه الفقرة من : ورئي إلى هنا سقطت من «ز» ومن «ل» .

الباب الحادي عشر ذكر منامات رثيت لرجال تدل على ما هم فيه من سوء الحال

روى عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال : كنت مؤاخيا لأبي لهب ، فلما مات أخبر الله عنه بما أخبر ، وحزنت عليه ، وأهمني أمره ، فسألت الله حولا كاملا أن يريني في المنام ، قال : فرأيت - يلتهب نارا ، فسألته عن حاله ، فقال : صرت إلى النار ، والعذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الليالي والأيام ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : ولد في تلك الليلة محمد ﷺ ، فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة أمه إياه ، ففرحت واعتقت وليدة فرحاه ، فأثابني الله بذلك أن يرفع عني العذاب في كل ليلة اثنين .

ويروى أيضا أن أبا لهب كان قد أعتق أمة له يقال لها ثوبية ، وكانت ثوبية قد أرضعت رسول الله ﷺ ، فلما مات أبوهب أريته بعض أهله في منامه بشر خيبة أي بشر حال ، فقال له : ماذا لقيت ؟ فقال : لم ألق بعدكم خيرا غير أنني سقيت في هذه لعتاقتي ثوبية .

ومعنى سقيت في هذه يريد النقرة التي بين الابهام والسبابة ذكر هذه الحكاية البخاري .

أبوهب كان عم النبي ﷺ وكان كثيرا لإذاية للرسول بعدما جاءته النبوة ، شديد العداوة له .

ويروى عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : رأيت بسوق عكاظ رجلا شابا جميل الوجه يقول : أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، ووراء رجل أعور قبيح يقول : أيها الناس لا تصدقوه فإنه كذاب ، وقد رمى كعبه^(١)

(١) الكعبان : عظيمان ناتئان على جانبي القدم .

وعرقوبيه بالحجارة حتى أدماه، فقلت: من هذا الشاب؟ قالوا هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب يزعم أن الله أرسله، قلت ومن هذا الآخر وراءه؟ قالوا عمه أبو لهب.

وسوء حال أبي لهب أوضح من أن يحتاج فيه إلى شاهد، ولكنني أردت إلا أخلي هذا الباب من ذكره أو ذكر مثله.

وليعلم أيضا أن الكافر لا يغني عنه من الله شيء، وأنه ليس له من دون الله ولي ولا نصير، وهذا التخفيف الذي ذكر إن كان فإنما هو في البرزخ، وأما في الآخرة فلا تخفيف ولا تفتير ولا راحة، نعوذ بالله من عذابه.

يروى عن بعض الصالحين من أهل القيروان قال: كان لي جار يذكر أنه ليس بمسلم، فمات، فرأيت في النوم حجرا ململماً^(٢) يتدحرج حتى وصل إلى باب ذلك الرجل، فدنوت منه فإذا بالحجر قد انفرج، فخرج منه رجل هو ذلك الرجل، فقلت له: ما هذا؟ فقال: هكذا نحن نعذب، وذكر سوء حاله، فقلت: لعل الله أن يغفر لك، قال: وكيف يغفر لي وأنا قد مت على غير الإسلام؟.

ويروى عن هشام بن حسان قال: ٥٥/ب مات ابن لي شاب فرأيته في النوم وهو أشيب، فقلت له: يا بني ما هذا الشيب؟ قال: قدم فلان فزفرت جهنم لقدمه زفرة لم يبق منا أحد إلا شاب.

ويروى أن رجلاً رثي في المنام شاحب اللون متغير الوجه، وقد غُلَّتْ يدها إلى عنقه، ف قيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشأ يقول:

تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب
ويروى أن دلف بن أبي دلف العجلي رأى أباه في النوم وكأنه في بيت مظلم حيطانه وسقفه مسودة من الدخان، وهو جالس في صدر البيت، فقال له: يا أبت كيف حالك؟ فقال: يا بني الأمر صعب، والحساب دقيق، ثم أنشأ يقول:
ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

(٢) ململماً: على شكل كرة.

ولكننا إلذامتنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شي (٣) وفي رؤيا عمر بن عبد العزيز فذكر القيامة والبعث، وجمع الناس لفصل القضاء وكيف نوذي الخلفاء واحدا بعد واحد، وحسابهم وكل واحد منهم على منزلته، ثم نادى المنادي أين عمر بن عبد العزيز؟ قال: فتصيبت عرقا، ثم أخذت الملائكة بيدي، فأوقفتني بين يدي الله تعالى، فسألني عن الفتيل والنقير (٤) والقطمير، وعن كل قضية قضيتها، حتى ظننت أني لست بناج، ثم إنه تفضل علي برحمة منه فغفر لي وأمر بي ذات اليمين إلى الجنة، فمررت بجيفة ملقاة، فقلت للملائكة من هذا؟ قالوا كلمه يكلمك، فوكزته برجلي، فرفع رأسه وفتح عينيه، فإذا برجل أفطس أثرم شديد الأدمة وحش المنظر، فقال لي: من أنت؟ فقلت: عمر بن عبد العزيز فقال: ما فعل الله بك؟ فقلت: تفضل علي برحمته فغفر لي وأمر بي ذات اليمين إلى الجنة، قال: فما فعل أصحابك الخلفاء الذين معك؟ قلت: أما الأربعة فغفر الله لهم وأمر بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما الباقيون فلا أدري ما فعل الله بهم، قال: وأخذني البكاء، ثم قال: هنأك الله بما صرت إليه. قلت: من تكون؟ قال: أنا الحجاج بن يوسف قدمت على ربي فوجدته شديد العقاب، قتلني بكل قتيل قتلته قتلة، وها أنذا موقوف بين يديه أنتظر ما ينتظر الموجودون. والأخبار في هذا الباب كثيرة أيضا.

(٣) من ويرى أن دلف إلى هنا سقط من ش وز.
(٤) الفتيل: ما فتلته بين أصابعك من الوسخ، والمراد أصغر الأشياء وأحقرها.
النقير: النكتة في ظهر النواة. القطمير: القشرة الرقيقة بين النواة والتمر.

الباب الثاني عشر

٥٥/ ب ذكر الأرواح أين يذهب بها وما جاء في عذاب القبر والسؤال فيه

ذكر أبو بكر البزار في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر^(١) ريحان ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ، ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضيا عنك ، إلى رُوح الله وكرامته ، فإذا خرج روحه وضع على ذلك المسك والريحان ، وطويت عليه الحريرة وذهب به إلى عليين .

وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح^(٢) فيه جمرة ، فتتزع روحه انتزاعا شديدا ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرج روحه وضع على تلك الجمرة ، ويطوى عليه المسح ويذهب بها إلى سجين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة بيضاء ، فيقولون : اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح ٥٦/ أ الله وريحان ، ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح مسك ، حتى انه ليناوله بعضهم بعضا يشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض ، فكلما أتوا سماء قالوا لهم مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين ، فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم ، فيقولون : ما فعل فلان؟ فيقولون : دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدينا ، فإذا أصبح واستراح قال لهم : أما أناكم فإنه قد مات؟ فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية .

(١) ضبائر: حُزم .

(٢) مسح : كساء من شعر .

وأما الكافر فإن ملائكة العذاب تأتيه بمسح من شعر، فيقولون : اخرجي
ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله وسخطه، فتخرج كأنتن ريح جيفة،
فينطلقون به إلى باب الأرض، فيقولون : ما أنتن هذه الريح ! كلما أتوا على
أرض قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح الكفار (٣).

ذكره قاسم بن أصبغ وغيره من حديث أبي هريرة أيضا.
وذكر مالك في الموطأ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول
الله ﷺ قال : إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى
جسده يوم يبعثه. (٤).

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : رأيت عمرو بن
لحي بن قمعة بن خندف أخابني كعب وهو يحرق قصبه في النار (٥).
القصب : الأمعاء.

وذكر مسلم أيضا من حديث أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت،
قال : قال أبو سعيد ولم أشهده من رسول الله ﷺ ولكن حدثني زيد بن ثابت
قال : بينما رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة، ونحن معه، إذ حادت
به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال : من يعرف أصحاب
هذه الأقبر؟ فقال رجل : أنا، قال : فمتى مات هؤلاء؟ قال : ماتوا في الإشراف،
فقال : إن هذه الأمة تبلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن
يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه.

ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا : نعوذ بالله من
عذاب النار، قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقالوا : نعوذ بالله من عذاب
القبر، قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا : نعوذ بالله من
الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا : نعوذ بالله
من فتنة الدجال (٦).

(٣) أخرجه النسائي ٨/٤ و ٩ في الجنائز، ورواه أحمد وغيره. وإسناده حسن جامع الأصول
٨٦/١١.

(٤) موطأ مالك ١/٢٤٠ في الجنائز. والنسائي ١٠٨/٤ في الجنائز. وإسناده صحيح. جامع
الأصول ٤٢٢/١٠.

(٥) مسلم رقم ٢٨٥٦ في الجنة، والبخاري ٣٩٩/٦ و ٤٠٠ في الأنبياء.

(٦) مسلم ١٦١/٨. مختصر صحيح مسلم رقم ٤٩٣.

وعن أبي أيوب الأنصاري قال : خرج علينا رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس فسمع صوتا ، فقال : يهود تعذب في قبورها (٧) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول : هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت : فارتاع رسول الله ﷺ وقال : إنها تفتن يهود ، قالت عائشة : فلبثنا ليالي ، ثم قال رسول الله ﷺ : هل شعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور؟ قالت عائشة : فسمعتة بعد يستعيز بالله من عذاب القبر (٨) .

٥٦/ب وعن عائشة أيضا قالت : دخلت علي عجوزان (٨) من عجز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ، ودخل علي رسول الله ﷺ فقلت له : يارسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، فقال : صدقتا ، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم ، ثم ما رأيته بعد في صلاته إلا يتعوذ بالله من عذاب القبر .
وفي هذا الحديث زيادة كثيرة تحييء بعد إن إ شاء الله .

وذكر أبو داود من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل (٩) .
وقد تقدم .

وذكر مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ، قال : نزلت في عذاب القبر ، يقال له من ربك؟ فيقول ربي الله ونبيي محمد ، فذلك قوله عز وجل : يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (١٠) .

(٧) البخاري ١٩٢/٣ في الجنائز ، ومسلم رقم ٢٨٦٩ في صفة الجنة ، والنسائي ١٠٢/٤ في الجنائز . جامع الأصول ١٧٢/١١ .

(٨) مسلم رقم ٥٨٤ ، والبخاري ١٨٦/٣ و ١٨٧ في الجنائز . جامع الأصول ١٦٦/١١ .

(٩) أبو داود رقم ٣٢٢١ في الجنائز .

(١٠) رواه البخاري ١٨٤/٣ في الجنائز . ومسلم رقم ٢٨٧١ في الجنة ، وأبو داود رقم ٤٧٥٠ في السنة ، والترمذي رقم ٣١١٩ في التفسير . جامع الأصول ١٧٧/١١ .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا ، أو مثل فتنة المسيح الدجال - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيؤتى أحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن - الموقن - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول هو محمد هو رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وأطعنا ، ثلاث مرات ، فيقال له : نعم قد كنا نعلم أنك لمؤمن به ، فثم صالحا .

وأما المنافق - أو المرتاب - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلت .

وذكر النسائي عن أنس أن النبي ﷺ قال : إن العبد إذا وضع في قبره وتولي عنه أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا [من الجنة] ، قال رسول الله ﷺ فإيهما جميعا ، وأما الكافر أو المنافق فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول كما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين (١٢) .

ذكره البخاري وقال : ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح ، وذكر باقي الحديث .

وذكر الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا قبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ٥٧ / أ ما كان يقول هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،

(١١) رواه البخاري ١٨٧/٣ في الجنائز، والنسائي ١٠٣/٤ و ١٠٤ في الجنائز. جامع الأصول ١٧٠/١١ .

(١٢) رواه البخاري ١٨٨/٣ و ١٨٩ في الجنائز، ومسلم رقم ٢٨٧٠ في الجنة وأبو داود رقم ٣٢٣١ في الجنائز، والنسائي ٩٧/٤ و ٩٨ في الجنائز.

فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك . وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون شيئا فقلت مثله لا أدري ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض التثمي عليه ، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه ، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك . (١٣) .

وذكر عبد بن حميد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت يهودية فاستطعمت على بابي ، فقالت : أطعموني أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال ، فلم أزل أحبسها حتى جاء الرسول ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية ؟ فقال : وما تقول ؟ قلت : أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال ، قالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ فرفع يده مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ، قالت : ثم قال : أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا وقد حذر أمته وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبي أمته ، إنه أعور وإن الله ليس بأعور ، بين عينيه مكتوب . . كافر . . يقرؤه كل مؤمن ، وأما فتنة القبر ففي فتنتون وعني تسألون ، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ، فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول في الإسلام ، فيقال له : ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله ربنا ، فأمنّا به وصدقناه قال : فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول : ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبل النار ، فينظر إليها محطم بعضها بعضا ، فيقال له : انظر إلى ما وراك الله ، ثم يفرج له فرجة أخرى قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك منها ، ويقال له : على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعا مشعوبا (١٤) ، فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال

(١٣) أخرجه الترمذي رقم ١٠٧١ في الجنائز . جامع الأصول ١١/١٧٦ .

(١٤) مشعوبا : مغلوبا على قلبه .

له : ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا : فيفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار ، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : هذا مقعدك ، على الشك كنت ، وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ، ثم يعذب .

وقال عبد بن حميد أيضاً عن ابن أبي ذئب : قال محمد بن عمرو : فحدثني سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة وأبشري ٥٧/ب بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ويعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقولون : مرحباً بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها عليون .

وإذا كان الرجل السوء قيل : اخرجي أيتها النفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ويعرج بها إلى السماء ، فيقال : من هذا ، فية ال : فلان ، فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة فإنك لا تفتح لك أبواب السماء ، فيرسل من السماء ، ثم يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح ، فيقال له ، فيرد بها في حديث عائشة سواء ، وقد تقدم ، ويجلس الرجل السوء ، فيقال له ، فيرد بها في حديث عائشة سواء .

قال عبد وأخبرني عمرو بن عون ، أخبرنا أبو عوانة عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنها على رؤوسنا الطير (١٥) ، قال : فجعل النبي ﷺ يرفع

بصره إلى السماء، وينكت^(١٦) في الأرض ويحدث نفسه، ثم قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، ثلاثاً، ثم قال: إن الرجل إذا كان في قبل^(١٧) من الآخرة وانقطع من الدنيا، أتاه ملك الموت، فجلس عند رأسه، فإن كان مسلماً قال: أخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج نفسه تسيل كما تسيل قطرة السقاء، وتنزل الملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط^(١٨) من حنوط الجنة، فيجلسون منه مد البصر، فإذا أخذها قاموا إليه فلم يتركوها في يده طرفة عين، فذلك قوله عز وجل: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾، قال: فتخرج منه مثل أطيب ريح وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة، فيقولون هذا فلان بأحسن أسائه، قال: فتفتح له أبواب السماء، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهوا به إلى السماء السابعة، قال: فيقال: اكتبوا كتابه في عليين، ﴿وما أدراك ما عليون﴾ كتاب مرقوم * يشهده المقربون^(١٩) ﴿وأرجعوه إلى الأرض فإني وعدتهم منها خلقناهم وفيها نعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرجع روحه إلى جسده، قال: ويبعث إليه ملكان شديدا الانتهار، فيجلسانه ويتنهرانه ٥٨ / أويقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت به، فذلك قوله عز وجل: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾^(٢٠) وينادي من السماء: أن قد صدق فألبسوه من الجنة، وأفرشوا له من الجنة، وأروه منزله من الجنة، قال: فيلبس من الجنة، ويفرش له من

(١٦) نكت الأرض بعود: ضررها حتى أثر فيها.

(١٧) قبل: إقبال وقدم.

(١٨) الحنوط: ما يوضع على الميت لتطيب رائحته أو منع فساد.

(١٩) الآيات ١٩ - ٢١ المطففين.

(٢٠) آية ٢٧ سورة إبراهيم.

الجنة، ويرى منزله من الجنة، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، قال: فيقول له أبشربما أعد الله لك من الكرامة، هذا يومك الذي كنت توعده، قال: فيقول له: من أنت رحمك الله؟ فوالله لوجهك الوجه الذي جاءنا بالخير، قال: فيقول: أنا عمك الصالح، والله ما علمت أن كنت حريصا على طاعة الله، بطيئا عن معصية الله، فجزاك الله عني خيرا، قال: فيقول: رب أقم الساعة لكي أرجع إلى أهلي ومالي.

وقال الأعمش - وهو سليمان بن مهران - وحدثني أبو صالح قال: حدثني بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال يقال له: نم، فينام ألد نومة نامها نائم قط حتى، توقظه الساعة.

ثم رجع إلى حديث البراء بن عازب، قال: وإن كان فاجرا إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه، فيقول: اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى غضب وسخط من الله، قال: فيتفرق روحه في جسده، قال: فيستخرجها يقطع معها العروق، كما يستخرج الصوف المبلول بالسفود، قال: وينزل ملائكة من السماء سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، فإذا وقعت في يد ملك الموت قامت إليه الملائكة فلم يتركوها في يده طرفة عين، قال: ويخرج منه مثل أتنن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: هذا فلان بأسوأ أسمائهم، قال: فإذا انتهى به إلى السماء الدنيا أغلقت دونه ولم يفتح له، وينادي مناد أن اكتبوا كتابه في سجين وأرجعوه إلى الأرض فإني وعدتهم أن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرمى به من السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ (٢١).

(٢١) آية ٣١ الحج.

قال : فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار . فيجلسانه ويستهرانه ، فيقولان له : من ربك؟ فيقول : لا أدري ، فيقولان له : ما هذا النبي الذي بعث فيكم؟ فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك ، لا أدري ، قال : فيقولان له : لا دريت ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ (٢٢) قال : وينادي مناد من السماء ان قد كذب فالبسوه من النار ٥٨/ب وافرشوا له من النار ، وأروه منزله من النار ، قال : فيكسى من النار ويفرش له من النار ويرى منها منزله ، قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، قال : ويمثل له رجل قبيح الوجه قبيح المنظر ، قبيح الثياب متن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، أبشر بغضب من الله وسخط ، هذا يومك الذي كنت توعده ، هذا يومك الذي كنت تكذب به ، قال : فيقول له : ويلك فمن أنت؟ فوالله لوجهك وجهٌ جاءَ بالشر ، قال : فيقول : أنا عمك الخبيث ، والله ما علمت أن كنت لبطيئا عن طاعة الله حريصا على معصية الله ، فجزاك الله عني شر الجزاء ، فيقول : يارب لا تقم الساعة مما يرى مما أعد الله له . (٢٣)

وذكر أبو بكر البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة ، فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس إن هذه الأمة تسأل في قبورها ، فإذا الانسان دفن وتفرق عنه أصحابه ، جاءه ملك بيده مطراق ، فأقعه فقال : ما تقول في هذا الرجل؟ يعني محمداً ﷺ ، فإن كان مؤمنا قال : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، قال : فيقول : صدقت ، ويفتح له باب إلى النار ، فيقول : هذا كان منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذ آمنت به فهذا منزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة ، فيريد أن ينهض إليه ، فيقول له : اسكن ، ويفسح له في قبره . وإن كان كافرا أو منافقا يقول له ما تقول في هذا الرجل ، فيقول : لا أدري

(٢٢) آية ٢٧ سورة إبراهيم .

(٢٣) رواه أبوداود رقم ٣٢١٢ في الجنائز ، ورقم ٤٧٥٣ و ٤٧٥٤ في السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ، وإسناده حسن . جامع الأصول ١١/ ١٧٧ .

سمعت الناس يقولون شيئا، فقلت، فيقول له الملك: لا دريت ولا تلميت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت فإن الله قد أبدلك به هذا ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق، يسمعها خلق الله كلهم إلا الثقلين^(٢٤)، فقال رجل من القوم: يارسول الله ما من أحد يقوم عليه ملك في يده مطرقة إلا تهبل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء»

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، ولو أن تينا منها نفخ في الأرض لما أنبتت خضرا.

وذكر البخاري عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله^(٢٥)، قال: فدعا بعسيب رطب، فشقه باثنين، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا، ثم قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا.

وذكر النسائي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه^(٢٦)، وهذا الذي ٥٩/أ تحرك له العرش هو سعد بن معاذ الأنصاري رمي بسهم في غزوة الخندق ثم مات منه بعد ذلك، ويعني بالضم ضمة القبر.

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله

(٢٤) الثقلين: الانس والجن.

(٢٥) في رواية: لا يستبريء من بوله. والعسيب: جريدة نخل، والحديث ليس حجة لأولئك الذين يغرزون على القبر أغصانا خضراء، لأن ما فعله عليه السلام خصوصية له. والحديث رواه الخمسة إلا ابن ماجه. انظر جامع الأصول ١١/١٦٧.

(٢٦) النسائي ١٠١/٤ في الجنائز، وإسناده صحيح. جامع الأصول ١١/١٧٢.

عنها قالت : قال رسول الله ﷺ إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ .

وذكر مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة (٢٧) .

ويروى : عرض على مقعده .

وهذا ضرب من العذاب كبير ، وعندنا المثل في الدنيا بمن يعرض عليه السيف للقتل أو غيره من آلات العذاب ، أو بما يهدد به من غير أن يرى الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه ، بكرمه ورحمته .

وقد صحت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر على الجملة ، ولا مطعن فيها ولا معارض لها ، وإنما اختلف الناس هل تعذب الروح في القبر قبل أن ترد إلى الجسد ، أو تعذب فيه بعدما ترد إليه ، لأن الرواية في رد الروح إلى الجسد في القبر لم تصح صحة عذاب القبر من غير ذكر رد الروح . وحديث رد الروح إلى الجسد في القبر ذكره أبو داود أيضا ، وكيفما كان فالعذاب محسوس ، والألم موجود ، والأمر شديد .

وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلا بالنائم فإن روحه تتنعم أو تتعذب ، والجسد لا يحس بشيء من ذلك ، فتفكر أيها الإنسان في نفسك ، وتخيل حالك عند حلول رمسك ، وهل يكون أول سعدك ، أو يكون أول نحسك .

وقد جاء في الخبر أن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه (٢٨) .

(٢٧) أخرجه الجماعة إلا أبا داود . البخاري ١٩٣/٣ في الجنائز ، ومسلم رقم ٢٨٦٦ في الجنة ، ومالك في الموطأ ٢٣٩/١ في الجنائز ، والترمذي رقم ١٠٧٢ في الجنائز ، والنسائي ١٠٧/٤ في الجنائز . جامع الأصول ١٦٨/١١ .

(٢٨) أخرجه الترمذي : رقم ٢٣٠٩ في الزهد . وإسناده حسن . جامع الأصول ١٦٥/١١ .

وفي الخبر أيضا أن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار^(٢٩). وقد تقدم الحديثان.

وأنت أعلم بحالك، وبما قدمت من أعمالك، فتخيل بين عينيك وثوب منكرونكير عليك، وفي اسميهما ما يدل على وصفيهما وقولهما وفعلهما، وقد بدا لك بعض ما يعذبان به ذلك الممتحن، وما يسومان به ذلك البائس المرتهن. واعلم أن عذاب القبر ليس مختصا بالكافرين، ولا موقوفا على المنافقين، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله من عمله، وما استوجبه بخطيئته وزله، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة في عذاب القبر إنما جاءت في الكافر والمنافق، ومن أين لك بالأمان من تلك الصفة المذمومة والأعمال المشثومة، وإنما الأعمال بالخواتيم، وما ختم لك به فهو الواجب عليك واللازم، والطوق في عنقك المقيم الدائم، وعذاب المؤمن لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله.

قد يكون عذاب المؤمن في ضمة القبر أو ضيقه أو صعوبة منظره أو بما يصيبه من الروعات عند مشاهدة تلك الزلات، وبالحسرات على ما سلف له من الجهالات، ٥٩/ب وبالندامات على ما مضى من الساعات، أو بما شاء الله تعالى، فيكون من ذلك ما شاء الله أن يكون، ويدوم ذلك ما شاء الله أن يدوم، فإن أمنت ذلك العذاب الأكبر، فما الذي أمنك من هذا الذي هو بالإضافة إليه عذاب أصغر، فتفكر ما دام ينفعك التفكير، وتخيل ما دمت ترجو ثمرة هذا التخيل إذا طرحت في حفرة من الأرض قصيرة الطول، ضيقة العرض، فاشتدت بها وحشتك، واستبان غريبتك، وانضمت عليك ضمة كسرت أنفك وشدخت رأسك، ورضت عظامك، وسدت وراءك وأمامك وتحثك وفوقك، وملأت ظلمة أرضك وأفقك، فيالك من قلب قد نكس، وبدن قد هرس، ونفس قد قصر وجبس، فأردت أن تفر فلم تترك، وأردت أن تستغيث فلم تملك، ولا تدري ما يدوم، ولا متى تدرك أن تقعد أو تقوم.

(٢٩) رواه الترمذي رقم ٢٤٦٢ في صفة القيامة. جامع الأصول ١١/ ١٧٠.

أترك كنت مفتديا من هذا المقام بما كنت جمعت من حطام بل بما جمعه جميع الأنام من حلال وحرام، بل بما لا يحصر من أضعاف ذلك ولا يحد ولا يجمع ولا يعد.

ولعلك يا هذا قد كنت في الدنيا لا ترضى بمنزلك المتسع، ولا بشملك المجتمع، ولا تقنع برزق ربك المتدفق عليك المندفع، فانظر رحمك الله لنفسك فادفع عنك جوانب هذه الحفرة، ونفّس عنك من هذه الضمة، وأنس من هذه الوحشة، واعمل ما وجدت سبيلا للعمل، وما دمت في فسحة ومهل، ومَهْد المضجع، ووطيء لذلك المصراع، وارغب وتوسل واضرع وتذلّل، فلعلّ الإله المعبود الذي عمّ جوده الوجود، وكرمه لا محصور ولا معدود، وفيض نعمه لا مقطوع ولا محدود سيرسل منه قطرة تغمر العرش والذرة فيصيبك منه بنصيب، وبيلك منه بذنوب (٣٠)، ويعمك منه بشؤبوب (٣١) وقد انقطع الرجاء إلا منه، وسدت الأبواب إلا عنه جل وعلا وتبارك وتعالى.

حدثني الفقيه أبو الحكم بن برجان، وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله أنهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرق إشبيلية، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم، وإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر، فجعلت أذنّها عليه كأنها تسمع، ثم ولت فارة، ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنّها عليه كأنها تسمع، ثم ولت كذلك ثم أعادت ذلك مرة بعد أخرى، قال أبو الحكم رحمه الله: فذكرت عذاب القبر وقول النبي ﷺ إنهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم، والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت، ذكر هذه الحكاية لما قرأ القاريء هذا الحديث في عذاب القبر، ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج رضي الله عنه.

وروي أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا، فلما كشف عن الميت إذا بنار تحرق الميت، فأهوت إليه منها شرارة، فهرب وتاب إلى الله عز وجل.

(٣٠) ذنوب: بفتح الـ ذال: دلو.

(٣١) شؤبوب: دفعة من المطر.

وروى عن أبي بكر بن أبي الدنيا عن بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته : ما سبب توبتك ورجوعك إلى الله ؟ قال : نبشت إنسانا فوجدته قد سمر بمسامير في جميع جسده ، ومسمار كبير في رأسه ، وآخر في رجله .
وقيل لآخر : ما سبب توبتك ؟ قال : رأيت جمجمة إنسان قد صب فيها الرصاص ، وقد روي في ٦٠ / أ الحديث : من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون - أويسرونه عنه - صب في أذنيه الآنك يوم القيامة ، ذكره البخاري (٣٢) .
ولعل هذا كان ممن يفعل ذلك ، والله أعلم بما كان عليه .

(٣٢) البخاري ٣٧٤/١٢ و ٣٧٥ في التعبير ، وأبوداود رقم ٥٠٢٤ في الأدب والآنك : الرصاص المذاب . جامع الأصول ٧١٩/١١ .

الباب الثالث عشر ذكر يوم القيامة وأهواله

يضحك المرء والبكاء أمامه ويمشي الحديث في كل لغو ولأمر بكاه كل لبیب صاح حدث حديثه واختصره عجز الواصفون عنه وقالوا فلتحدثه جملة وشتاتا (٣) واعلم رحمك الله أن هذا اليوم ليس عظمه مما يوصف، ولا هوله مما يكيف، ولا يجري على مقدار مما يعلم في الدنيا ويعرف، بل لا يعلم مقدار عظمه ولا هوله إلا الله تعالى، وما ظنك بيوم عبر الله تبارك وتعالى عن بعض ما يكون فيه شيء عظيم، قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (٤). وماذا عسى أن يقول القائل فيه، وماذا عسى أن يصفه الواصف به، الأمر أعظم، والخطب أكبر، والهول أشنع، كما قال القائل: وما عسى أن أقول أو أقوم به الأمر أعظم مما قيل أو وُصف

(١) يروم: يريد، يطلب.

(٢) كظامه: قناة للماء في باطن الأرض.

(٣) شتاتا: متفرقا.

(٤) الآيات ١، ٢ من سورة الحج.

والأمر مهما [قد] نظرت له ألفيته^(٥) الأعظم الألفا^(٦)
يوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة، ثم ما أدراك ما يوم القيامة، يوم
الحسرة والندامة، يوم يجد كل عامل عمله أمامه، يوم الدمدمة^(٧)، يوم الزلزلة،
يوم الصاعقة، يوم الواقعة، يوم الراجفة، يوم الرادفة، يوم الغاشية، يوم
الداهية، يوم الآزفة^(٨)، يوم الحاقة، يوم الطامة، يوم الصاخة،^(٩) يوم التلاق،
يوم الفراق، يوم المساق، يوم الإشفاق، يوم القصاص، يوم لات حين^(١٠)
مناص، يوم التناد، يوم الإشهداد، يوم الميعاد، يوم المرصاد، يوم المسائلة، يوم
الحساب، يوم المناقشة، يوم المآب^(١١)، يوم العذاب يوم القرار إما في الجنة وإما
في النار، يوم القضاء، يوم الجزاء، يوم البكاء، يوم البلاء، يوم تمور السماء
مورا، وتسير الجبال سيرا، يوم الحشر، يوم النشر، يوم الجمع، يوم البعث، يوم
العرض، يوم الوزر^(١٢)، يوم الحق، يوم الحكم، يوم الفصل، يوم الجزاء، يوم
عظيم، يوم عقيم، يوم عسير، يوم قمطير،^(١٣) يوم النشور، يوم المصير، يوم
الدين، يوم اليقين، يوم النفخة، يوم الصيحة، يوم الرجفة، يوم الرجة، يوم
الزجرة، يوم السكرة، يوم الفرع، يوم الجزع، يوم القلق، يوم الفرق^(١٤)، يوم
العرق، يوم الميقات، يوم يخرج الأموات وتظهر المخبات، يوم الانشقاق، يوم
الانكدار، يوم الانتشار، يوم الانفطار، يوم الافتقار، يوم الوقوف، يوم
الخروج، يوم الانصداع، يوم الانقطاع، يوم معلوم، يوم موعود، يوم مشهود،

-
- (٥) هذا الشطر غير موزون ويستقيم الوزن إذا وضعنا كلمة مثل الفادح بعد ألفيته.
(٦) الألف: الشديد، المختلط.
(٧) الدمدمة: الهلاك.
(٨) الآزفة: القرية.
(٩) الصاخة: القرية.
(١٠) لات حين مناص: ليس حين مهرب.
(١١) المآب: المرجع.
(١٢) الوزر: الحمل والمراد الذنب.
(١٣) قمطير: الشديد من الأيام أو من الشر.
(١٤) الفرق: الخوف.

يوم تبلى السرائر، يوم تخرج الضمائر، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا،
٦٠/ب، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم يدعى فيه إلى النار، يوم يسجن
فيه في النار، يوم تقلب الوجوه فيه في النار، يوم البروز إلى الله، يوم الصدور إلى
الله، يوم لا تنفع المезде، يوم لا يرتجى إلا من الله المغفرة، وأهول أسماؤه،
وأشنع ألقابه يوم الخلود، وما أدراك ما يوم الخلود؟ يوم لا انقطاع لعذابه، ولا
آخر لعقابه، ولا يكشف فيه عن كافر ما به، ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله من بلائه
وسوء قضائه بكرمه ورحمته.

واعلم أن العرب قد تسمى الشيء بأسماء كثيرة، وتجعل له ألقابا عديدة،
تعظيما لشأنه وإكثارا لأمره، وقد سمي الله تعالى يوم القيامة بأسماء كثيرة، ولعله
من هذا، وهو تبارك وتعالى أعلم.

الباب الرابع عشر ذكر النفخ في الصور النفخة الأولى والثانية

قد تقدم الكلام في ذكر الموت وغصته وكربه وشدته ، وعذاب القبر وفتنته وضيقه وظلمته ، ومنكر ونكير ورؤيتهما وسماع كلامهما على فظاظتهما وغلظتهما وبشاعة منظرهما ، وتكلف جوابهما ، والتوقي من مقامعهما بالإقرار بالربوبية ، والشهادة بالرسالة لمن ثبته الله تعالى بالقول الثابت ، وأمدّه بنور الإيمان وألهمه حجته ، وإن في ذكر هذا التنبيه من الغفلة ، وتنشيطا من الكسل ، وحلا من عقال البطالة وصرفا عن اللذات وردعا عن نيل الشهوات ، بل فيه ما يذهل النفوس ، ويميت القلوب أن تنال من الدنيا حظها الذي يكون به حياتها ويكون به قوامها ، ويقيم به رمقها ، فكيف أن ينال منها غير ذلك ، فكيف بما وراء هذا من جمع العباد ليوم التناد ، ويوم يقوم الاشهاد ، وحشر الأمم لذلك اليوم الأعظم .

واعلم أن الانسان لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من إحدى الدارين ، وصحبه من أحد الفريقين ، وأنه لا تزال نفسه معذبة أو منعمة إلى يوم الجزاء والاجتماع لفصل القضاء ، وبعد ذلك يتجدد النعيم أو العذاب على وجه آخر ووصفة أخرى مما سيأتي مما أمكن ذكره منه بعد هذا إن شاء الله عز وجل .
واعلم أن الله تبارك وتعالى خلق للجنة أهلا ، وخلق للنار خلقاً ، وهم مع الساعات راحلون ، ومع الأنفاس ظاعنون^(١) إلى دار البلى ومعسكر الموتى ،

(١) ظاعنون: راحلون .

ومستقر الأرواح، وكل مطلع على مكانه الذي يصير إليه، ومشرف على منزله الذي ينزل به، وبذلك يكون نعيمهم وعذابهم، وبغير ذلك مما شاء الله عز وجل، فلا يزالون هكذا يرحلون وينتقلون ويظعنون إلى أن يفرغ العدد السعيد والفريق المنعم، ويبقى من العدد الشقي والفريق المقصي بقية، وخروجهم من الدنيا في دفعة واحدة لا يحصيها إلا الله تعالى خالقها، لكنهم قليل بالإضافة إلى ما رحل منهم يكون ارتحال البقية إلى الدار الآخرة بمرة واحدة، وخروجهم من الدنيا في دفعة واحدة، وهم الذين تبعثهم الصيحة وتقوم عليهم الساعة، قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (٢)

يروى عن الشعبي قال: لقي جبريل عيسى عليه السلام، فقال له عيسى: متى الساعة؟ فنفض جبريل أجنحته وقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ثقلت في السموات والأرض ٦١/أ لا تأتاكم إلا بغتة.

وأما تقريب وقتها فكل آت قريب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣) وقال عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لا هية قلوبهم﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ * وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر * ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغني النذر.﴾ (٥).

وقال الله عز وجل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦)

(٢) آية ١٨٧ الأعراف.

(٣) آية ٧٧ النحل.

(٤) الآيات من ١ - ٣ من سورة الأنبياء.

(٥) آية ١ - ٥ القمر.

(٦) آية ١ النحل.

ويروى أن النبي ﷺ لما نزل عليه : ﴿أتى أمر الله﴾ وثب قائماً، فلما نزل قوله ﴿فلا تستعجلوه﴾ جلس . قال بعض العلماء إنما وثب ﷺ خوفاً منه أن تكون الساعة قد قامت، وقال ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين، وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ذكره مسلم بن الحجاج في كتابه^(٧) وذكر أيضاً عن النواس بن سمعان الكلابي عن النبي ﷺ وذكر خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج عليه، ثم هلاكهم، ثم ذكر ما يكون من بعد ذلك من البركات والخيرات، قال : فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهاجراً^(٨) الحمر، فعليهم تقوم الساعة^(٩).

واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته، لكنها قيامة صغرى، وقيامة كبرى، فالقيامة الصغرى هي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة، والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبي ﷺ لقوم من الأعراب وقد سألوه، متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال : إن يعيش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم ذكره مسلم بن الحجاج في كتابه^(١٠) والقيامة التي تعم الأرض إنما تأتيهم بغتة، وتأخذهم على غفلة لما تقدم، ولكنها تقوم في يوم الجمعة في غير شهر معروف ولا سنة معروفة . والملك الذي وكل بهذه النفخة، وجعل على يديه هذه الصعقة قد استعد لها، وتهباً لإمضائها .

(٧) مسلم رقم ٢٩٥١ في الفتن .

(٨) هذا الحديث طويل يقع في نحو ثلاث صفحات أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧ في الفتن وأبو داود رقم ٤٣٢١ و٤٣٢٢ في الملاحم، والترمذي رقم ٢٢٤١ في الفتن .

(٩) ومعنى تهاج الحمر: اقتتالها ووثوب بعضها على بعض، والحمر: الحمير .

(١٠) مسلم رقم ٢٩٥٢ في الفتن، والبخاري ٣١٢/١١ و٣١٣ في الرقاق جامع الأصول ٣٨٩/١٠ .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال :
 لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ،
 فتذاكروا الساعة متى هي ، فبدأوا بإبراهيم عليه السلام ، فسألوه عنها ، فلم
 يكن عنده منها علم ، فسألوا موسى عليه السلام ، فلم يكن عنده منها علم ،
 فردوا الحديث إلى عيسى عليه السلام ، فقال : عَهْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيَّ فِيهَا دُونَ
 وَجِبَتِهَا ، فَأَمَّا وَجِبَتُهَا فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ .
 ويعني بوجبتها : وقعتها .

قال : فذكر من خروج الدجال ، فأهبط فأقتله ، ف يرجع الناس إلى بلادهم ،
 فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، لا يمرون بهاء إلا
 شربوه ، ولا بشيء إلا أفسدوه ، فيجأرون (١١) إِلَيَّ فَأَدْعُوا اللَّهَ فِيمَتِهِمْ [فيملاً
 الأرض ربحهم] فيجأرون إِلَيَّ فَأَدْعُوا اللَّهَ فِيرسل من السماء ماء فيحمل أجسامهم
 ٦١/ب فيلقيهم في البحر ، ثم تنسف الجبال ، وتمد الأرض مد الأديم ، فعهد
 الله إِلَيَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَإِنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ الْمَتَمِّ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلِهَا
 مَتَى تَفْجُوهُمْ بَوْلَادَتِهَا ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا .

قال النواس : فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل وقرأ : ﴿ حَتَّى
 إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ * واقترب الوعد
 الحق ﴿ (١٢) .

وذكر أبو داود من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ خير يوم طلعت فيه
 الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق الله آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه
 مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين
 تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس ، وفيها ساعة لا
 يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه (١٣) .

(١١) يجأرون : يرفعون أصواتهم بالدعاء ، يتضرعون .

(١٢) آية ٩٦ - ٩٧ الأنبياء .

(١٣) رواه أبو داود ١٠٤٦ في الصلاة ، والنسائي ١١٤/٣ و ١١٥ في الجمعة ، والترمذي رقم ٤٩١
 في الصلاة . ومالك في الموطأ ١٠٨/١ - ١١٠ في الجمعة جامع الأصول ٢٧١/٩ .

وذكر النسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر بالنفخ فينفخ؟ قالوا: يارسول الله وكيف نقول؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا^(١٤).

وذكر الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ ما زال صاحب الصور مذ وكل به مستعدا ينظر نحو العرش، أن يؤمر فينفخ قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان.

ومن مسند البزار عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور، فقال: عن يمينه جبريل، وعن يساره ميكائيل^(١٥).

وذكر الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه^(١٦).

وذكر أبو بشر الدولابي من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿نفخ في الصور﴾ فقال: الصور كهيئة القرن.
وقال بعض العلماء: الصور أيضا جمع صورة.

وذكر البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثف فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرض عليه: لا أرب لي فيه، وحتى يتناول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع

(١٤) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رقم ٢٤٣٣ في القيامة. هكذا في جامع الأصول ٤٢٠/١٠ وليس فيه النسائي ولا أبو هريرة.

(١٥) رواه أبو داود رقم ٣٩٩٩ في الحروف والقراءات، وأحد في المسند ١٠/٣ وإسناده ضعيف. جامع الأصول ٤٢٣/١٠.

(١٦) الترمذي رقم ٢٤٣٢ في صفة القيامة، وأبو داود رقم ٤٧٤٢ في السنة.

الشمس من مغربها، فإذا طلعت وراها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن ٦٢/أ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها. (١٧).

وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي، - يريد عوافي السباع والطير- ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينقان بغنمهما، فيجدانها ملئت وحوشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما. (١٨)

وسمعت في تفسيره أن هذين الراعيين إنما يخرجان على وجوههما من صيحة يوم القيامة، فعند هذه الصيحة تحمد الأصوات وتسكن الحركات وتخلي من أهلها الأرضون والسموات إلى يوم الخروج والميقات، والجزاء بالحسنات والسيئات، إلا أن الله تعالى ذكر عند هذه الصيحة استثناء سيأتي ما قيل فيه بعد إن شاء الله.

ثم ينزل الله مطراً فتنبت منه الأجسام، ويحيى به الرفات من العظام ويستعد لقبول الأرواح عند النفخة الثانية، قال الله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾.

وذكر مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً - الشك من الراوي - قال: فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد على وجه الأرض في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى

(١٧) البخاري ٧٢/١٣ - ٧٨ في الفتن جامع الأصول ٤٠٥/١٠.

(١٨) مسلم رقم ١٣٨٩ في الحج، والبخاري ٧٧/٤ في فضائل المدينة، ومالك في الموطأ ٢/٨٨٨ في باب ما جاء في سكنى المدينة. جامع الأصول ٣٣٢/٩.

لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه . قال : سمعتها من رسول الله ﷺ . قال : فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفها ، ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول لهم : أما تستجيئون؟ فيقولون : فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دارٌ رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها ورفع ليتها^(١٩) ، قال : وأول من يسمعه رجل يلوط^(٢٠) حوض إبله ، قال : فيصعق ويصعق^(٢١) الناس ، ثم يرسل - أو قال ينزل - الله مطرا كأنه الطل^(٢٢) - أو الظل - الشك من الراوي ، فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾^(٢٣) ثم يقال : أيها الناس هلموا إلى ربكم : ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾^(٢٤) ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقال : من كم؟ فيقال ، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال : فذلك يوم يجعل الولدان شيبا ، وذلك ﴿يوم يكشف عن ساق﴾^(٢٥) .

ويروى أن هذا المطر الذي تنبت منه الأجساد أنه كمني الرجال ، وقد أخبر الله أن إنشاء الأجسام مثل إخراج النبات من الأرض ، قال الله سبحانه : ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها ، كذلك النشور﴾^(٢٦) أي كما ينبت نبات الأرض بالماء كذلك تنبت الأجساد بهذا الماء .

فبينما روحك في البرزخ مع الأرواح ، وكل على عمله من فساد أو صلاح ، إذ أمر الله عز وجل بها أن تجمع ، فتقبل أرواح المؤمنين تتلأأ نورا ، وأرواح الكافرين

(١٩) اللبث : صفة العنق ، وإصفاؤه : إمالته .

(٢٠) يلوط الحوض : يصلحه حتى لا يجف .

(٢١) يصعق : يغشى عليه ويموت .

(٢٢) الطل : الندى الذي ينزل من السماء في الصحو .

(٢٣) آية ٦٨ الزمر .

(٢٤) آية ٢٤ الصافات .

(٢٥) انتهى الحديث هنا وقد رواه مسلم عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود رقم ٢٩٤٠ في

الفتن . جامع الأصول ١٠/٤١٧ .

(٢٦) آية ٩ فاطر .

تسود ظلمة، فيقبضها جميعا فيجعلها في الصور، ثم ينفخ اسرافيل فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل الحياشيم، حتى تمشي مشي السم في اللدغ.

وذكر مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون عاما؟ قال: أبيت؟ قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون يوما؟ قال: أبيت (٢٧)، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس شيء من الانسان إلا ويبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب (٢٧)، ومنه يركب الخلق يوم القيامة (٢٧).

وذكر أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: يأكل التراب كل شيء من الانسان إلا عجب الذنب، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه تنشأون. (٢٧)

وذكر أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر عن النبي ﷺ في حديث طويل قال فيه: ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصيحة فلعمرو إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك يطوف في الأرض وقد خلت عليه البلاد، فأرسل ربك السماء بهضب (٢٨) من عند العرش، فلعمرو إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من قبل رأسه.

وذكر الحديث، وسيأتي بكماله إن شاء الله تعالى.

قوله: فأصبح ربك يطوف (٢٩) في الأرض وقد خلت عليه البلاد: إنها هو تفهيم وتقريب إلى أن جميع من في الأرض يموت، وأن الأرض تبقى خالية،

(٢٧) مسلم رقم ٢٩٥٥ في الفتن، والبخاري ٤٢٤/٨ في تفسير سورة الزمر وقوله أبيت: أي امتنعت عن الاجابة، لأنه لا يعرف. وعجب الذنب: أصله عند رأس العنصر.

(٢٨) هضب: مطر شديد.

(٢٩) يطوف: ليس كطواف البشر ولكنه طواف يليق بجلاله.

ليس يبقى إلا الله وحده، كما قال تعالى : ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (٣٠).

وقوله : والملائكة الذين مع ربك، فإنه قد جاء في بعض التفاسير في قوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ هو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يؤمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل، ثم يؤمر ملك الموت أن يموت، فيموت، ولا يبقى إلا الذي له البقاء والعزة والكبرياء والملك الذي ٦٣/أ لا يزول ولا يفنى تبارك وتعالى، فينادي جل جلاله : لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه محيب، ومن ذا يجيبه ولم يبق موجود إلا الواحد المعبود، فيجيب نفسه، فيقول سبحانه : الله الواحد القهار، ثم يمكث الناس في البرزخ أربعين عاما، ثم يحيى الله عز وجل إسرافيل، فيأمره أن ينفخ النفخة الثانية، فذلك قوله عز وجل : ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ (٣١) قيام على أرجلهم ينظرون إلى ذلك الأمر العظيم والهول الجسيم.

واعلم رحمك الله أنك إن كنت ممن لا يشاهد هذه الصعقة العامة التي هي قيام الساعة، فلا بد لك من أن تشاهد صعقة نفسك التي تخصك، وهي صعقة موتك وخروج روحك، ولا بد من إنشائك وتسويتك ورد روحك إلى جسدك، وإخراجك من الأرض التي خلقت منها، كما قال تعالى : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (٣٢). وقال عز من قال : ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ (٣٣) قال سبحانه : وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في

(٣٠) الأيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الرحمن.

(٣١) آية ٦٨ من سورة الزمر.

(٣٢) آية ٥٥ طه.

(٣٣) آية ٧٧ - ٧٩ يس

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . (٣٤)

وقوله عز وجل : وهو أهون عليه : أي هوهين عليه ، لأنه ليس عند الله شيء أهون من شيء ، بل كل عليه هين .

وقال تبارك وتعالى : ﴿يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (٣٥) .

وقال سبحانه : ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ .

وذكر النسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : قال الله تبارك وتعالى : كذمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يكذبني ، وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يشتمني ، أما تكذيبه إياي فقوله أي لا أعيده كما بدأته ، وليس آخر الخلق بأعز علي من أوله ، وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدا ، وأنا الله أحد صمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد . (٣٦)

وقد أخرجه البخاري بمعناه .

والاعتبار الصحيح يشهد بصحة النشأة الآخرة ، والقدرة متسعة لها ولكل ما شاءه الحكيم القدير تبارك وتعالى ، كما قال سبحانه : وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا

خلق سبحانه الماء من لا شيء ، وأخرجه من غير شيء ، أخرجه من عدم إلى الوجود ، فكونه بعد أن لم يكن شيئا ، ثم خلق منه الإنسان فجعله آية عجبا ، وعبرة ظاهرة في شكله وتخطيطه وحركاته وسكناته ، وما فيه من الحكمة ، وما أودعه من عجائب الصنعة مما يطول وصفه ، ويتسع شرحه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وأنشدوا :

أيأ ابن آدم والآلاء (٣٧) سابغة ومزنة (٣٨) الجود لا تنفك عن ديم (٣٩)

(٣٤) آية ٢٧ الروم .

(٣٥) آية ١٠٧ الأنبياء .

(٣٦) النسائي ١١٢/٤ في الجنائز ، والبخاري ٥٦٨/٨ . جامع الأصول ٤٤٢/٢ .

(٣٧) الآلاء سابغة : النعم شاملة .

(٣٨) مزنة : سحابة .

(٣٩) ديم : جمع ديمة وهي المطر في سكون بلا رعد ولا برق .

هل أنت ذاكر ما أوليت من حسن براك^(٤١) باريء هذا الخلق من عدم أنشاك من حمأ^(٤٢) ولا حراك به مكمل الأدوات آية عجبا ترى وتسمع كلا قد حببت به هداك بالعلم سبل الصالحين له ماذا عليك له من نعمة غمرت غراء كالشمس قد ألقنت أشعتها فاشكر ولست مطيقا شكرها أبدا رزق وأمن وإيمان وعافية ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾^(٤٣) * إن ربك هو الخلاق العليم^(٤٤).

فمن آمن بهذا لم يضق صدره عن الإيمان بالنشأة الثانية، وكان منتظرا لها، مشتغلا بالفكرة فيها، وإنها لموضع الانتظار وموضع الاشتغال آناء الليل وأطراف النهار لكن حب العاجل والاشتغال بالحاضر، والنظر إلى هذا الخيال القائم صرف وجه القلب عن استعمال الحقيقة في هذا الأمر، وطمس عينه عن النظر إليها، وسد مجاري فكره عن التصرف فيها، فلواشتغل ونظر وتفكر لأذهله ذلك عن الأهل والمال، وشغله عن قيل وقال، وصرفه عن لذة الحال [إلى] المال، لكنه إن لم ينظر الآن، فسينظر في وقت لا ينفعه فيه النظر، ولا ينقضي له به وطر^(٤٥) وسيقدم فيعلم.

(٤٠) خولت: أعطيت.

(٤١) براك: خلقك.

(٤٢) حمأ: طين أسود.

(٤٣) آية ١١ لقمان.

(٤٤) آية ٨٦ الحجر.

(٤٥) وطر: حاجة، مطلب.

الباب الخامس عشر

٦٣/ ب في انبعاث الناس من قبورهم ، وصفة الأرض التي يحشرون عليها ، وكيف يحشرون وذكر أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وما جاء أنهم يبعثون على نياتهم وما كانوا عليه

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : يعوذ عائذ بالبيت ، فيبعث الله بعثا ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسفت بهم . قلت : يا رسول الله فكيف بمن كان كارها ؟ قال : يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته . (١)

وعن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم .
وعن جابر بن عبدالله قال : سمعت النبي ﷺ يقول : يبعث كل عبد على ما مات عليه . (٢)

وأما أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة فنبينا محمد ﷺ كما ذكر مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع . (٣)

(١) مسلم رقم ٢٨٨٢ في الفتن ، والترمذي رقم ١٢٧٢ في الفتن أيضا .

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٧٨ في الجنة . جامع الأصول ٤٣٠/١٠ .

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٢٧٨ في الفضائل وأود داود رقم ٤٧٦٣ في المناقح جامع الأصول

وذكر البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة الآخرة، ويروى: فأكون أول من يفيق، وهو الأكثر.

وقال البخاري أيضا في بعض ألفاظ هذا الحديث: «فإذا أنا بموسى اخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أقام قبلي أم جوزي بصعقة الطور»^(٤)، لم يكن عنده ﷺ علم حتى يعلمه الله عز وجل، فقد أخبر ﷺ أنه أول من ينشق عنه القبر وهو حديث صحيح مشهور.

واعلم رحمك الله انه إن لم تشق سمعك النفخة الأولى في الصور لهلاك هذا المعمور، فلا بد أن تشق سمعك النفخة الثانية، لبعثرة القبور وقيام الخلائق ليوم النشور ١/٦٤ وتحصيل ما في الصدور.

﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الانسان ماله * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾^(٥)
﴿إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجعت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا﴾^(٦)

﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والمملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾^(٧)

﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت﴾^(٨)

(٤) البخاري ٥٢/٥ في الأنبياء ونفخ الصور، جامع الأصول ٥١٤/٨.

(٥) سورة الزلزلة كاملة.

(٦) آية ١ - ٦ الواقعة.

(٧) آية ١٣ - ١٨ الحاقة.

(٨) آية ١ - ٦ التكوير.

فناهيك من صيحة يقوم لها الأموات، وتحيا بها العظام الرفات، وحسبك من هدة تنهد لها الجبال، وتعود كالكتيب المهيل من الرمال كما قال عز وجل : يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا. (٩)
﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾. (١٠)

﴿فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾. (١١)
وهذه أهوال لا بد لك من مكابدتها، وأحوال لا بد لك من مشاهدتها، يخرج سهمك فيها بما خرج، ويلج بك سعيك منها فيما يلج، فلما بنزول في درك، وإما بارتقاء في درج.
وقد صح هذا عندك فماذا أعددت له؟ وثبت في نفسك فيما تستقبله؟ وماذا تقوله؟ وماذا تفعله؟ لطال ما دعاك الداعي فتصامت، ونصحك النصيح فتعاميت، وذكرك المذكر فتناسيت، فقد وقفت على العيان مما كان عرضه عليك بالأمس البرهان، وجاءك به الرسول وخاطبك به القرآن، فهل من رجعة أو سبيل اليوم إلى استعمالك تلك الدعوة؟ هيهات طمعت في غير مطمع، وسمعت ما لا يسمع، إن كنت تريد أن تعود إلى الدنيا أو ترجع، فتفكر الآن في نفسك، وكونك في قبرك، إذا سمعت انشقاق الأرض من فوقك، ووقع ذلك الصوت الهائل في سمعك، صوت تتصدع له الأكباد لو أذن لها في الانصداع، وتتقطع له القلوب لو أذن لها في الانقطاع. قال الله تعالى : ﴿واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾. (١٢)
وفي الحديث أن هذا الاجتماع يكون بالشام.

روى أبو بكر البزار في مسنده من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : الشام أرض المحشر والمنشر.

(٩) آية ١٤ المزمل.

(١٠) آية ٤ - ٥ القارعة.

(١١) آية ٣٧ الرحمن.

(١٢) آية ٤١ - ٤٢ ق.

ويروى أن المنادي ينادي على صخرة بيت المقدس : أيتها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

وهذا النداء خلاف الصيحة العظمى ، فتفكر وأطل فكرك في عظيم تلك الصيحة ، وشدة تلك النفخة ، وتخيل قيام الناس وثوراهم من قبورهم دفعة واحدة ، وانبعاثهم بمرة واحدة ، وأنت بينهم وفي جملتهم منكسفا وجهك ، متغيرا لونك ، متعثرا قدمك ، قد ملأ قلبك الفزع ، وقصم ظهرك ذلك ٦٤/ب المستمع ، وانت حيران عطشان سكران شاخص البصر نحو النداء ، مستمعا الى ذلك الدعاء ، ولو وجدت مطارا لطرت ، ومفرا لفررت . ﴿كلا لا وزر﴾ * إلى ربك يومئذ المستقر * ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ . (١٣)

﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان﴾ * فبأي الاء ربكما تكذبان﴾ . (١٤)

ويروى عن الأوزاعي عن بلال بن سعد أنه قال : إن للناس جولة يوم القيامة ، وهو قوله تعالى : ﴿يقول الانسان يومئذ أين المفر﴾ . (١٥)

وقال تعالى : ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ . (١٦)

وقال سبحانه : ﴿إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم﴾ . (١٧)

وأنشدوا :

وأعدّ فيهم حديث المعاد	ناد في القوم بيوم التناد
محدث في القلب صدع ^(١٨) الفؤاد	فالحديث اليوم في غير هذا
ذكره أذهب طيب الرقاد	وخلو القلب عن ذكر يوم

(١٣) آية ١١ - ١٣ القيامة .

(١٤) آية ٣٣ - ٣٤ الرحمن .

(١٥) آية ١٠ القيامة .

(١٦) آية ٥١ سبأ .

(١٧) آية ٣٢ - ٣٣ غافر .

(١٨) صدع : شق .

ومن الغبن خفي وبإد
 في الدياجي بكاء العهد
 وصف وصاف بليغ وشاد
 ووجوه قد طليت بالحداد
 بالجمال الشم^(٢٠) وسط الوهاد^(٢١)
 بسكاري غير سكر التناد
 من تليد كان او من تلاد
 نازلا منه الى بطن واد
 رائحا في نيل ذاكم وغاد
 جانب الأمن ولين المهاد
 وعدته^(٢٢) عن هواه عواد
 نشرت شعلاتها في البلاد
 مزجت دمعته بالجساد^(٢٤)
 بات من كربته في ازدياد
 لأمر بين أيدي العباد
 كالبحار السبع عند الثماد^(٢٥)
 فمراد الحق ترك المراد

غبن^(١٩) في الرأي للعقل بإد
 ولأمر ما بكاه رجال
 اي يوم ضاق عن حالتيه
 مشهد تبيض فيه وجوه
 يجعل الولدان شيبا ويرمي
 وترى الناس سكارى وما هم
 فدع الدار ومادار فيها
 واقطع الأرض على ظهر طود
 طالبا كهف نجاة لتنجو
 واقدح النار بجفن مروع
 رام أمرا فشتتته امور
 فطوى كشحا^(٢٣) على محرقات
 وأفض دمة بالك حزين
 وإذا ما أراد ذكرى لذنوب
 وقليل كل هذا قليل
 وكروب عند ما أنت فيه
 فاجهد النفس وجاهد هواها

وقيل في قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ . (٢٦)

-
- (١٩) الدياجي : الظلمات .
 (٢٠) الشم : العالية .
 (٢١) الوهاد : جمع وهدة وهي المنخفضات .
 (٢٢) عدته عواد : صرفته شواغل .
 (٢٣) طوى كشحا : ضم واستمر .
 (٢٤) الجساد : الدم اليابس .
 (٢٥) الثماد : الحفر يجتمع فيها المطر .
 (٢٦) آيه ٣٧ النور .

أما تقلب القلوب فانتزعها من أماكنها، فتغص بها الحناجر، فلا هي تخرج، ولا هي ترجع إلى مواضعها، قال الله تعالى : ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يطاع﴾ . (٢٧)

وأما تقلب الأبصار فمن الكحل إلى الزرق، ومن البصر إلى العمى قال الله تعالى : ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ . (٢٨)

وقال سبحانه : ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ماؤاهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ . (٢٩)

فتفكر في بهتك وحيرتك وانكسارك وذلتك وافتقارك وقلتك يوم لا تجد إلا عملك الذي عملت، وسعيك الذي سعت، قال الله تعالى : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه﴾ . (٣٠)

وأنشد بعضهم من قصيدة :

واذكر رقادك في الثرى	في قعر مظلمة بهيم
قد نحيت تلك الحلى	واستبدلت تلك الرسوم
واعترضت من حلل الغنى	وحلاه خلقان العديم
وتُركت ويحك مفردا	لا أهل فيه ولا حميم
حيران تفزع للبكا	لهفان تأنس بالغموم
حتى ينادي بالورى	فتقوم أسرع ما تقوم
عريان مصطفق الحشا	هيان مجتمع الهموم
والناس قد رجفت بهم	حرب هنالك عقيم
في مازق تهفو به	لفحات نيران السموم

(٢٧) آية ١٨ غافر.

(٢٨) آية ١٠٢ طه.

(٢٩) آية ٩٧ الاسراء.

(٣٠) آية ٣٠ آل عمران.

وبدت هناك سرائر قد كنت قبل لها كتوم
ورأيت في محصولها ما شئت من خسر وشوم^(٣١)
ان لم يجد بالعفو من يعفو عن الذنب العظيم
واعلم انه كلما عظم قدر رجل في الدنيا صغر هناك ، وكلما كثر جاهه في
الدنيا قل هناك ، إلا من كان شعاره التقوى في الدنيا ، وطريقته المثلى ، وكل ما
تراه او تسمع به من ملك جبار او عزيز قهار قد قاد الأجناد وأكثر الأمداد ودوخ
البلاد وأذل العباد ، فهو في ذلك اليوم كالذرة في الرغام تطؤه الأقدام ، ويمحقه
ذلك الزحام ، كما قال القائل :

ألم تسمع عن النبأ العظيم
وزلزال يهد الأرض هدا
وأهوال كأطواد^(٣٢) رواس
فمن رأس يشيب ومن فؤاد
وسكران ولم يشرب حيا
ومرضعة قد اذهلها أساها
ومؤتمة تولت عن بنيتها
وحبلى اسقطت ذعرا وخوفا
وهذا مشهد لا بد منه
وما كسرى وقيصر والنجاشي
بذاك اليوم الا في مقام
وما للمرء الا ما سعا
وأنت كما علمت ورب أمر
فدع عينيك تسبح في معين

وعن خطب خلقت له جسيم
ويرمي في الحضيضة^(٣٣) بالنجوم
تلاطم في ضلوع كالهشيم
يذوب ومن هموم في هموم
وهيمان ولم يعلق بريم
فما تدري الرضيع من الفطيم
وألقت باليتيمة واليتيم
فيا لله لليوم العقيم
وجمع للحديث وللقديم
وتبع القروم^(٣٤) بنو القروم
أذل من التراب لذى السليم
لدار البؤس او دار النعيم
يكون أذاه أوقع بالعليم
وقلبك ذره يقلب في جحيم

(٣١) شوم : شؤم .

(٣٢) الحضيضة : القرار من الأرض عند أسفل الجبل .

(٣٣) أطواد : جمع طود وهو الجبل العظيم .

(٣٤) ريم : غزال .

(٣٥) القروم : جمع قرم بفتح القاف وسكون الراء وهو الفحل إذا ترك عن الركوب والعمل . والمراد

السيد في قومه .

وشق جيوب صبرك شق شكلي تعلقت ابنها رجلا سهوم (٣٦)
وماذا الأمر ذلكم ولكن تُشبهه بالبحاريد الكريم

وذكر مسلم بن الحجاج من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين، ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيُجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ * ان تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴿ فيقال لي: انهم لم يزالوا مدبرين على أعقابهم منذ فارقتهم (٣٧)

٦٥/ب وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، (٣٨) ثم ينقاض أهل السماء الدنيا على الأرض، فأهل السماء الدنيا وحدهم أكثر من جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف، فيفزعون إليهم ويقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: سبحانه ليس فينا، وهوأت، ثم ينقاض أهل السماء الثانية فينتشرون على وجه الأرض، فأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الأرض من جنهم وإنسهم بالضعف فيفزعون إليهم، فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: سبحانه ليس فينا، وهوأت، ثم ينقاض أهل السموات سماء سماء، كلما انقضت سماء انتشر أهلها على وجه الأرض، فيكونون أكثر من أهل السموات التي تحتهم وأهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف، ويفزع إليهم أهل الأرض فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: سبحانه ليس فينا، وهوأت، ثم ينقاض أهل السماء السابعة، فينتشر

(٣٦) سهوم: السهام: تغير اللون مع الهزال، داء يصيب الابل.

(٣٧) مسلم رقم ٢٨٦٠ في الجنة، والبخاري ٣٣١/١١ - ٣٣٣ في الرقاق وفي الأنبياء، والتفسير جامع الأصول ٤٢٤/١٠.

أما الآيتان: وكنتم عليهم شهيدا، إلى العزيز الحكيم فهما آية ١١٧ - ١١٨ من سورة المائدة.

(٣٨) الأديم: الجلد.

أهلها على وجه الأرض، فلهم وحدهم أكثر من أهل السموات ومن جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف، وينزل الله تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة.

فتفكر في هذا المشهد العظيم، واليوم العقيم، يوم يجمع فيه هذا الخلق كلهم من الملائكة ومن بني آدم من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الدنيا، فتفكر في أي أرض تسعهم، وأي مكان يحملهم، فكيف وينضاف إليهم جميع الوحوش النافرة والهوام الشاردة، إلى غير ذلك من المخلوقات التي ضمها ذلك الموعد، وحشرها ذلك المشهد، فتفكر الآن فيهم، كيف يساقون وكيف يجمعون، وكيف يحشرون، من بين محمول قد مدت ظلال الرحمة عليه، وجهت الأماني في يديه وبين ساع على قدميه، وآخر مجرور على خديه ومصروع لهول ما بين يديه.

كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: إنكم تحشرون إلى الله عز وجل، رجالا وركبانا، وتجرون على وجوهكم (٣٩) - ويروى ويجرون على وجوههم - على أرض بيضاء قاع صفصف مستوية، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، لا ربوة يستتر بها، ولا وهدة يختفى فيها، بل هو صعيد واحد، ليس فيه شيء قائم ولا علم مرتفع، قال الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾. (٤٠)

وقال النبي ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد. (٤١)
وقال ﷺ: يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر. (٤٢)

ذكر الحديثين مسلم من حديث سهل وأبي هريرة.
يريد ﷺ أرضا مستوية لا جبل فيها، ولا أكمة، ولا ربوة، ولا وهدة،

(٣٩) إلى هنا رواه الترمذي رقم ٢٤٢٦ في صفة القيامة. وبقية الكلام للمؤلف وليس من الحديث.

(٤٠) الآيتان ١٠٥ و ١٠٦ من سورة طه.

(٤١) أخرجه البخاري عن سهل بن سعد ٣٢٣/١١ في الرقاق، ومسلم رقم ٢٧٩٠ في المنافقين.

جامع الأصول ٤٢٤/١٠.

(٤٢) مسلم رقم ١٩٤ في الايمان، والبخاري ٢٦٤/٦ في الانبياء، جامع لأصول ٤٨٢/١٠.

أرض بيضاء نقية، لم يسفك عليها دم، ولا عمل عليها خطيئة، ولا ارتكب فيها محرم.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. (٤٣)

وفي حديث ثوبان أن النبي ﷺ ٦٦/أ سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، قال: هم في الظلمة دون الجسر - والجسر هو الصراط -.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنهم على الصراط. ذكر هذين الحديثين مسلم بن الحجاج.

فتفكر في هذا المجتمع، وهذا الهول الأشنع، والخطب الأقطع الأبشع، وفيمن يحضره ويشهده، ويعانيه ويبصره، وكيف يقومون على أقدامهم ويشخصون بأبصارهم، وأنت معهم في ضيق مقام وطول قيام.

قد جُمِعُوا جمع الدراهم في الصرة المشدودة، والنبل في الكنانة (٤٤) المشحونة، وقد انشقت السماء فوقهم، وذابت عليهم وسالت على رؤوسهم، وطاشت الأبواب، وذهل الأوهام، وتحيرت العقول وتجلجت الألسن فلم يدر قائل ما يقول، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، وضعفت الحركات فلا تسمع للأقدام حسا فيالك من هول تنهد منه الجبال فكيف الرجال، وبالك من خطب تنشق منه السماء فكيف الأحشاء.

فتفكر فيما يشق سمعك من ذلك، وما يخلع قلبك من الروع الذي هنالك، وكيف بك إذا رأيت الشمس قد كورت فذهب ضوءها والنجوم قد طمست فمحي نورها وزالت عن مواضعها، وفُقدت في مطالعها وانتشرت على من تحتها وعلى من كان من سمتها، واشتبك الناس بعضهم في بعض، وتداخل الخلق بعضهم في بعض فصاروا كالفراش المبثوث، (٤٥) وقامت الملائكة على أرجاء السماء، وأحاطت بالخلائق من كل الأرجاء، والناس حفاة عراة

(٤٣) آية ٤٨ إبراهيم.

(٤٤) الكنانة: جعبة الأسهم.

(٤٥) المبثوث: المنتشر.

غزل^(٤٦) كما خلقوا، فيالك من يوم يختلط فيه الرجال مع النساء وقد آمنوا أن ينظر بعضهم إلى بعض، أو يحس بعضهم ببعض.

وذكر مسلم بن الحجاج من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض.^(٤٧)

وذكر النسائي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ تحشرون حفاة عراة غرلا، فقالت له زوجته: أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.^(٤٨)

فيالك من هول ما أعظمه، ومن كرب ما أشده، ومن خطب ما أبشعه. وإياك أن تستبطيء هذا اليوم وأن تستبعده، فما سيرك اليه ببطيء، وما هو منك ببعيد وإن طال المدى وامتدت الغاية، فكل آتٍ قريب، وكل ما يكون سيكون، قال الله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾.^(٤٩)

وقال سبحانه: ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فأسأل العاديين﴾.^(٥٠)

وقال تعالى: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ * يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا * نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما﴾.^(٥١)

اي يقول ذلك بعضهم الى بعض سرا، فيقول أعدلهم قولا، وأرجحهم عقلا: «ان لبثتم الا يوما» اي ما لبثتم في القبور الا يوما واحدا.

(٤٦) غزل: غير مختونين.

(٤٧) مسلم رقم ٢٨٥٩ في الجنة والبخاري ٣٣٤/١١ في الرقاق.

(٤٨) النسائي ١١٤/٤ في الجنازات جامع الأصول ٤٢٦/١٠.

(٤٩) آية ٤٥ يونس.

(٥٠) آية ١١٢ - ١١٣ المؤمنون.

٦٦/ب ويروى عن مجاهد انه قال : للكفار هجعة قبل يوم القيامة ، يجدون فيها طعم النوم ، فاذا بعثوا قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ فيقول لهم المؤمنون : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . فيخرج الخلائق مذعورين خائفين وجلين ، وإذا المنادي ينادي : يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، فيطمع في هذا المؤمنون والكافرون فينادي المنادي : الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، فينكس الكفار رؤوسهم ويبقى المسلمون ، فينادي المنادي الثالثة ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فينكس أهل الكبائر رؤوسهم ويبقى أهل التقوى رافعي رؤوسهم ، قد زال عنهم الخوف ، وذهب عنهم الحزن ، وغشيهم الفوز والأمن ، ذلك «يوما يجعل الولدان شيبا» ولا ترى فيه إلا حزينا كثيبا ، يوم تشقق السماء كأنها السحاب ، وتسير الجبال كأنها السراب .

واعلم ان الناس يحشرون يومئذ على ثلاثة أصناف : ركبانا ومشاة ، وعلى وجوههم ، كما قال تعالى : ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾ . (٥٢) والوفد : في اللغة القوم المكرمون يفدون من بلادهم في جماعتهم وإلى ملكهم ، فينزلهم ويكرمهم ، والورد : العطاش يساقون كما تساق الابل وغيرها من الأنعام ، تسوقهم الملائكة بسياط من النار الى النار . وقوم يمشون على وجوههم .

ذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة ، وصنف ركبانا ، وصنف على وجوههم ، قيل : يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك . (٥٣)

وذكر مسلم بن الحجاج من حديث قتادة عن أنس بن مالك أن رجلا

(٥١) آية ١٠٢ - ١٠٤ طه .

(٥٢) آية ٨٥ - ٨٦ مريم .

(٥٣) الترمذي رقم ٣١٤١ في تفسير سورة بني إسرائيل . وقال هذا حديث حسن جامع الأصول

٤٢٧/١٠ .

قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال : أليس الذي أمشاه على رجله في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة [حين بلغه] بلى وعزة ربنا . (٥٤)

قال أبو حامد : - وذكر هذا الفصل - في طبع الأدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولم يشاهده ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها لأنكر المشي من غير رجل ، والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك ، فيأياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا ، فإنك لو لم تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها ، فأحضر رحمك الله في قلبك صورتك وأنت قد وقفت عاريا مكشوبا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا ، منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء . (٥٥)

ذكر أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده الى لقيط بن عامر العقيلي قال : خرجت أنا ٦٧/أ وصاحب لي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة ، (٥٦) فقام في الناس خطيبا ، فقال : أيها الناس ، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ، ألا لأسمعكم اليوم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له اعلم ما يقول لنا رسول الله ﷺ ألا ثم لعله أن يلهمه حديث نفسه أو حديث صاحبه ، أو يلهمه الضلال ، ألا إني مسئول ، هل بلغت ، ألا اسمعوا تعوا ، ألا اجلسوا ، ألا اجلسوا ، فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره ، قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ قال : فضحك لعمر والله وهز رأسه وزعم أني ابتغي تسخطه ، فقال : ضن (٥٧) ربك بخمس من الغيب لا يعلمها الا الله ، وأشار بيده ، قلت : وما هن يا رسول الله؟ قال : علم المنية ، قد علم متى منية

(٥٤) مسلم رقم ٢٨٠٦ في المنافقين ، والبخاري ٣٣٠/١١ في الرقاق ، وفي تفسير سورة الفرقان .
جامع الأصول ٤٢٦/١٠ .

(٥٥) إحياء علوم الدين ٥١٤/٤ .

(٥٦) الغداة : الصبح .

(٥٧) ضن : بخل والمراد أنه لم يخبر بها أحدا .

أحدكم ولا تعلمونه، وعلم النبي متى يكون في الرحم، قد علمه ولا تعلمونه، وعلم ما في غد، قد علم ما أنت طاعم^(٥٨) غدا، ولا تعلمونه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين^(٥٩) مشفقين^(٦٠)، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب، قال لقيط. لم نعدم من رب يضحك خيرا، قال: وعلم يوم الساعة. قلت: يا رسول الله إني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني، قال: سل عما شئت، قلت: يا رسول الله علّمنا مما لم يعلم الناس وما تعلم قال: تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصيحة، فلعمرو إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك يطوف في الأرض قد خلت عليه البلاد، فأرسل ربك السماء بهضب من عند العرش، فلعمرو إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه، حتى تخلقه من قبل رأسه، حتى يستوي جالسا، يقول ربك مهيم لما كان فيه، فيقول: يا رب أمتني أمس وأحييتني اليوم، لعهدده بالحياة يحسبه حديثا بأهله. فقلت: يا رسول الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلوى والسباع؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في إل^(٦١) الله الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية، فقلت: لا تحيا أبدا، ثم أرسل ربك عليها السماء، فلم تلبث عنها إلا أياما حتى اشرفت عليها فإذا هي شربة واحدة، فلعمرو إلهك هو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأضواء ومن مصارعكم، فتنتظرون إليه ساعة، وينظر اليكم. قال: قلت يا رسول الله ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟! قال: أنبئكم بمثل ذلك في إل الله الشمس والقمر آية صغيرة ترونها ساعة واحدة ويريانكم لا تضامون في رؤيتهما ولعمرو إلهك هو أقدر على أن يراكم وترونها منهما، أو ترونها ويريانكم ولا تضامون في رؤيتهما. قلت: يا رسول الله فما يفعل ربنا بنا إذا لقيناه؟ قال:

(٥٨) طاعم: آكل الطعام.

(٥٩) أزلين: واقعين في ضيق وشدة.

(٦٠) مشفقين: خائفين.

(٦١) إل: عهد.

تُعَرِّضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً صَفْحَاتِكُمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَيَأْخُذُ رَبُّكَ بِيَدِهِ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ فَيَنْضِجُ بِهَا قَبْلَكُمْ، فَلَعِمُوا إِلَهَكُمْ مَا يَخْطِئُ وَجْهَ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْهَا قَطْرَةٌ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَتَدْعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرِّبْطَةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَحْطُمُهُ مِثْلَ الْحَمِيمِ الْأَسْوَدِ، أَلَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيَّكُمْ ٦٧/ب وَيَفْرُقُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَيَسْلُكُونَ جَسْرًا مِنَ النَّارِ، يَطَّأُ أَحَدُكُمْ الْجَمْرَةَ، فَتَقُولُ حَسَّ، يَقُولُ رَبُّكُمْ أَوَّانُهُ، أَلَا فَتَطْلَعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ، لَا يَظْمَأُ وَاللَّهُ نَاهِلُهُ، (٦٢) فَلَعِمُوا إِلَهَكُمْ مَا يَبْسُطُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَيْهَا قَدَحٌ يَطْهَرُهُ مِنَ الطُّوفِ (٦٣) وَالْبَوْلِ وَالْأَذَى، وَتَحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، فَلَا تَرَوْنَ مِنْهَا وَاحِدًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ نَبَصُرُ الْأَرْضَ؟ قَالَ: بِمِثْلِ سَاعَتِكُمْ هَذِهِ وَذَلِكَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمِ أَسْفَرْتَهُ الْأَرْضُ، وَوَاجِهَتِهِ الْجِبَالُ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ نَجْزِي مِنْ حَسَنَاتِنَا أَوْ سَيِّئَاتِنَا؟ قَالَ: الْحَسَنَةُ بَعِشْرُ أَمْثَالِهَا، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ تَغْفِرَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ؟ قَالَ: لَعِمُوا إِلَهَكُمْ إِنْ النَّارُ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا، وَإِنْ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَا نَطْلُعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مَصْفًى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بِهَا صَدَاعٌ وَلَا نَدَامَةٌ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَفَاكِهِةٍ، فَلَعِمُوا إِلَهَكُمْ مَا تَعْلَمُونَ وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ، وَأَزْوَاجٌ مَطْهَرَةٌ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ لَنَا فِيهَا أَزْوَاجًا وَهِيَ مَصْلُحَاتُ؟ قَالَ: الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، تَلْذَوْنَهُنَّ مِثْلَ لَذَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلْذَذْنَكُمْ غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدُوا. وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ. (٦٤)

(٦٢) النَّاهِلُ: الشَّارِبُ.

(٦٣) الطُّوفُ: الْمَوْتُ الْجَارِفُ.

(٦٤) رَاوَى هَذَا الْحَدِيثَ لَقِيطُ بْنُ عَامِرٍ ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ تَرْجُمَةً رَقْمَ ٧٥٥٥ وَقَالَ إِنَّهُ عَنِ اشْتَهَرَ بِكِتَابِهِ: (أَبُو رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ) وَأَشَارَ أَيْضًا إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ أَنَّهُ يَقَعُ فِي نَحْوِ رَقْمَيْنِ فِي صِفَةِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ شَاهِينَ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيَّاشِ الْأَنْصَارِيِّ، وَقَالَ أَنَّ صَاحِبَ أَبِي رَزِينِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ اسْمُهُ نَهْيُكُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ. كَمَا أَنَّ أَبَا رَزِينِ مِنْ بَنِي الْمُتَنَفِّقِ وَكَانَ وَافِدًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ. انْظُرْ الْإِصَابَةَ ٣٣٠/٣.

فصل دنو الشمس من الناس يوم القيامة

ذكر مسلم من حديث المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق ، حتى تكون منهم كمقدار ميل ، قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل ، أمسافة الأرض او الميل الذي تكحل به العين ، قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون الى كعبيه ، ومن من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق الجاما ، وأشار رسول الله ﷺ بيده الى فيه . (١)

وعن أبي أمامة [الباهلي] رضي الله عنه عن النبي ﷺ في هذا الحديث قال : تدنو الشمس يوم القيامة على مقدار ميل ، ويزاد فيها كذا وكذا ، تغلى منها الهوام كما تغلي القدور على الأثافي ، ذكره قاسم بن أصيغ .

وذكر مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «يوم يقوم الناس لرب العالمين» قال : يقوم أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه . (٢)
وذكر مسلم عن أبي هريرة في هذا الحديث ان رسول الله ﷺ قال : ان العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعا ، وإنه ليلبغ الى أفواه الناس ، أو الى آذانهم - الشك من الراوي - . (٣)

وروى عن أنس أنه قال : لم يلق ابن آدم قط شيئا منذ خلقه الله أشد عليه من الموت ، ثم ان الموت لأهون عليه مما بعده ، إنهم ليلقون من هول ذلك اليوم وشدته حتى يلجمهم العرق ، حتى لو أرسلت فيه السفن لجرت .

(١) مسلم رقم ٢٨٦٤ في صفة الجنة ، جامع الأصول ١٠/٤٣٠ .

(٢) قال عبد الرحيم العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : متفق عليه ٥١٤/٤ .

(٣) قال الغزالي في الإحياء : كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح ٥١٤/٤ .

٦٨/ أ وذكر أبو بكر البزار في مسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ إن العرق ليلزم المرء في الموقف ، حتى يقول : يا رب إرسالك بي إلى النار أهون علي مما أجد ، وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب .

ثم تفكر في ذلك الازدحام والانضمام والاتساق والاتصاف ، واجتماع الإنس والجن ، ومن يجمع من سائر أصناف الحيوان ، وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم ، ولا فرار ولا انتصار ، ولا ملاذ ولا انتقاذ ، وقربت الشمس منهم قبل تكويرها ، وكانت كمقدار ميل ، وزيد في حرها ، وضوعف في وهجها ، ولا ظل الا ظل عرش ربك ، بما قدمته من كسبك ، وقد انضاف الى حر الشمس حر الأنفاس لتزاحم الناس واحترق القلوب بما غشيها من الكروب ، واشتد الفرق ، وعظم القلق ، وسال من الأجسام العرق ، وانبعث من كل موضع من الجسد وانبتق ، وكان الناس فيه على قدر أعمالهم ، كما تقدم .

فنفكر في نفسك أيها المسكين ، وقد ضاق نفسك وزاد قلقك ، وسال عرقك وجرى من جميع بدنك من قرنك الى قدمك ، ووصل منك الى حيث أوصلته بعملك ، إما الى كعبك أو صاعدا حتى الى اذنك ، فانظر الى هذا الحال ، وتفكر في هذا الوبال ، وسوء هذا المآل ، واعلم رحمك الله انه لو سال عرقك في الدنيا طول عمرك وأضعافه في طاعة ربك وفي رضا سيدك على أن لا تعرق في ذلك اليوم لكان ذلك يسيرا ، ولكنك به جديرا ، ولكانت سلامتك منه غنما (٤) كثيرا ، وفوزا كبيرا .

وأنشدوا :

قَدَّمَ	لنفسك	نزلا	وارفع	لرأسك	ظلا
في يوم	تضحى	البرايا	في	شمسه	تتقلبي
فمن	جسوم	تصلي	ومن	رؤوس	تقلبي
ولا	ملاذ (٥)	هناكم	الا	سرائر	تبلي

(٤) غنم : مكسب وعكسه الغرم أي الخسارة .

(٥) ملاذ : ملجأ .

وكل	ما	كان	مخفى	هناك	للخلق	يجلى (٦)
فمن	دم	في	دموع	تهل	في	الخد هلا
ومن	جوى	في	ضلوع	قد حل	فيها	المحلا
فيا	أخي	والمنايا		تثل (٧)	عرشك	ثلا
وهذه		مفزعات		تكفيك	قولا	وفعلا
وإنه	الأمر	جد		وليس	يا	صاح هزلا
فاعمل	له	في	تراخ	للعمر	من	قبل ألا
وقد	نصحتك	فاقبل		واسمع	لنصحي	وإلا (٨)

* * * *

(٦) يجلى: يكشف ويوضح .
(٧) تثل: تهدم، تذهب بالعز.
(٨) وإلا: أي أن لا تقبل النصح تندم .

فصل طول يوم القيامة

اعلم رحمك الله أن يوم يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الأيام، بل هو آلاف من الأعوام، ينصرف فيه هذا الأنام على الوجوه والأقدام حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الأحكام، ولس يكون خلاصهم دفعة واحدة، ولا فراغهم في مرة واحدة، بل يتخلصون ويفرغون بفراغ اليوم، لكن طول ذلك اليوم «خمسین ألف سنة» فيفرغون بفراغ اليوم، ويفرغ اليوم بفراغهم.

وليس أيضا هذا اليوم مثل أيام الدنيا التي تكون على حكم دوران الفلك، اذا ذهب الليل جاء النهار، وإذا ذهب النهار جاء الليل، حكمة الله التي حيرت العقول، وأكلت^(١) الأبصار، وأخرست الألسن.

ليس هناك ليل، انها هوقت واحد على صفة واحدة، وهذا الذي يسمى يوما انها هو ٦٨/ب مقدار من ذلك الوقت، يطوله الله عزوجل ما شاء، ويقصره ما شاء، ويسمي ما شاء بها شاء.

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت لهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله إما الى الجنة، وإما الى النار. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وريدها، الا إذا

(١) أكلت: أتعبت.

كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر^(٢) أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلا واحدا، تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مرّ عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئا، ليس فيها عقصاء ولا جلهاء ولا أعضاء، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما مرّ عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار.^(٣) كذا روى، وإنما هو: كلما مرّ عليه أخراها رد عليه أولاها.

قال الحسن البصري: فما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة، لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا، واحترقت أجوافهم جوعا، انصرف بهم إلى النار، فسقوا من عين آنية، قد أنى حرها واشتد نضجها.

واعلم أن هذا اليوم يتلون ألوانا، ويستحيل حال الناس فيه أحوالا، فينبعثون فيه من قبورهم، ويساقون فيه إلى محشرهم ومكان القضاء فيهم، ويقفون فيه ما شاء الله أن يقفوا، شاخصة أبصارهم إلى السماء، مبهوتين سكارى حيارى من عظيم ما أصابهم، وهول ما نزل بهم، ثم يموج بعضهم في بعض، ويدخل بعضهم في بعض، ويمشون من نبي إلى نبي يطلبون الشفاعة في الاستعجال والانفصال، والتخلص من تلك الأهوال والأنكال، وليس كل الناس يكلم الأنبياء، وليس كل الناس يمشي إليهم، ومن الناس من يكون بمنزلة الرغام^(٤) تطؤه الأقدام في ذلك الزحام، وضيق ذلك المقام، ويأتي في هذا اليوم وقت منه يتكلم فيه المشركون، فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين،

(٢) القاع: المكان المستوي في الأرض. والقرقر: الأملس.

(٣) مسلم رقم ٩٨٧ في الزكاة، والبخاري ٢١٢/٣ في الزكاة وفي التفسير.

وأبو داود رقم ١٦٥٨ و ١٦٥٩ و ١٦٦٠ في الزكاة، والنسائي ١٢/٥ - ١٤ في الزكاة. جامع الأصول ٥٥٤/٤.

(٤) الرغام: التراب.

ويأتي عليهم منه وقت آخر لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، وفيه تكون المحاسبة والمناقشة ، وفيه يتعلق الناس بعضهم ببعض ، ويطلب بعضهم بعضا ، ويخاصم بعضهم بعضا ، فمن الناس من يخفف عليه اليوم حتى لا يجد فيه مشقة طول ، ولا يرد له فيه رغبة ولا سؤل .

وذكر ابن وهب من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ما أطول هذا اليوم ! فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن ، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة كان يصليها في الدنيا ، فمن الناس من يطول مقامه وحبسه الى آخر اليوم ، ومنهم من يكون انفصاله في ذلك اليوم في مقدار يوم من أيام الدنيا وفي ساعة من ساعاته ، ٦٩/ أ أو فيما شاء الله من ذلك ، أو يكون رائحا في ظل كسبه وعرش ربه ، ومنهم من يؤمر به الى الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما أن منهم من يؤمر به الى النار في أول الأمر ، من غير وقوف ولا انتظار ، أو بعد يسير من ذلك النهار ، وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم إلا وقد نزل كل إنسان بداره ، واستقر في قراره من جنته أو ناره .

فتفكر ايها الانسان في طول ذلك اليوم ، وفي طول ذلك القيام فيه ، مع ذلك الحال الأخطر ، والفرع الأكبر ، والهول الذي لا يكيف ولا يقدر ، فاختر لنفسك كم تريد أن تقف فيه ، وكيف تريد أن تكون فيه ، مادام النظر إليك ، والاختيار بيدك مع توفيق ربك عز وجل لك ، ومعونته إياك .
وأنشد بعضهم :

يا آمن الساحة لا يذعر	بين يديك الفرع الأكبر
وإنما أنت كمصبورة ^(٥)	حم ^(٦) رداها وهي لا تشعر
والمرء منصوب له حتفه	لو أنه من عمه ^(٧) يبصر
وهذه النفس لها حاجة	والعمر عن تحصيلها يقصر

(٥) مصبورة : المحبوسة للقتل .

(٦) حُم رداها : قرب موتها .

(٧) عمه : تردد في الضلال ، تحير .

كانت به أهيم^(٨) إذ تزجر
كالماء عن عنصره يقصر^(٩)
لو أنها يا ويحها تعذر
لو أنها تنظر إذ ينظر
يصرها الأكمه^(١٠) والمبصر
[ما] مثلها من روعة تسكر
ينزله الأعظم والأحقر
وصاحب الكبر به يصغر^(١١)
نكيرها المعروف والمنكر
من مشهد ما قدره يقدر
يَنْهَدُ منها الملاء الأكبر
كل الذي من وصفه يذكر
من أبْحُرْ تتبعها أبحر
أخبرك الصادق اذ يخبر
عذر وما مثلك من يعذر

وكلما تزجر عن مطلب
وإنما تقصر مغلوبة
وربما ألقت معاذيرها
وناظر الموت لها ناظر
وزائر الموت له طلعة
وروعة الموت لها سكرة
وبين أطباق الثرى منزل
يترك ذو الفخر به فخره
قد ملأت ارجاءه روعة
وبَعْدُ ما بعد وأعظم به
يرجف منه ذا الورى رجفة
وليس هذا الوصف مستوفيا
وإنما ذا قطرة أرسلت
وقد أتاك الثبت عنه بما
فاعمل له ويك وإلا فلا

واعلم أنه كلما طال قيامك في طاعة الله وانتصابك له، قصر قيامك في ذلك اليوم، وقل تعبك فيه، وكلما كثر تصرفك في طاعة الله سبحانه، وإقبالك وإدبارك في قضاء حاجة مسلم، ومشيك فيه ومشاركته له، يقل مشيك في ذلك اليوم، ويقل تعبك فيه ويقدر ما تبذل تعطى، وكما تدين تدان.

ولعلك يا هذا تستطيل ركعتين تقرأ فيهما حزبا أو حزينين، تقوم بهما لربك جل جلاله، ولعلك تعجز عن مشي ميل في قضاء حاجة مسلم، أو ميلين،

(٨) أهيم: أكثر تعلقا.

(٩) هذا البيت والذي قبله سقطا من ش.

(١٠) الأكمه: الذي ولد أعمى.

(١١) هذا البيت سقط من ز.

وبين يديك هذا اليوم الطويل المديد، والكرب العظيم الشديد، الذي لا يقصر إلا على من أطال التعب لله، ولا يسهل الا على من تحمل الشدائد في ذات الله، ولعلك ان صليتهما ليلة عجزت عنها ليلة أخرى، ولعلك ان مشيت يوما في حاجة مسلم برمت (١٢) من ذلك يوما آخر، وضجرت منه وكسلت عنه، وربما وقفت لسماع حديث فارغ يكون تقديره أكثر من حزب أو حزبين، وربما مشيت في فضول الميل والميلين وأكثر من ذلك، ولو تدبرت في أمرك ونظرت فيما يراد بك لسهل عليك من أمرك العسير، وقرب عليك فيه البعيد، فاعمل رحمك الله في أيام قصار ٦٩/ب وعمر قصير، لأيام طوال وعمر طويل.

(١٢) برمت: ضجرت.

الباب السادس عشر ذكر الحوض

قد سمعت رحمك الله يعطش هذا اليوم والتهابه، وما يصل الى القلوب من أواره واحتراقه، وأن الماء في ذلك اليوم اعز موجود وأعظم مفقود، وأن لا منهل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمود ﷺ، ولا مشرب لأتمه سواه، ولا تبرد اكبادهم إلا به، وأن الشربة منه تروي من الظما، وتشفي من الصدى، وتذهب كل داء، فلا يظما شاربها ولا يسقم بعدها أبدا، وأنها ترد العقل العازب والشباب الذاهب، ويؤوب معها من الزمن الصالح ما لم يكن قبل بآيب، وانه لا يرد ذلك الحوض الا من ورد في الدنيا حوض شرعته، وتمسك بسنته، وتوفي على ملته، وإلا فيجلى عنه ولا يدنومنه ولا يكاد، ويضرب عنه ضربا تنقطع له الجوانح والأكباد.

وأنا أذكر لك من أحاديث الحوض ما يسر الله عزوجل .

ذكر مسلم من حديث ثوبان ان النبي ﷺ قال: إني لبعقر حوضي أذود الفاس عنه لأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم، فسئل عن عرضه، فقال: من مقامي الى عَمَّان، وسئل عن شرابه، فقال: أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل يفت فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق. (١)

وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظما آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظما، عرضه مثل طوله، ما بين عَمَّان الى أيلة، ماؤه أشد بياضا من

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٣٠١ في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ جامع الأصول ٤٦٤/١٠ .
والورق: الفضة.

اللبن، وأحلى من العسل. (٢)
ومن حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ترى فيه أباريق الذهب والفضة عدد نجوم السماء.

وذكر الترمذي عن أبي سلام الحبشي قال: حدثني ثوبان عن النبي ﷺ قال: حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، أكاويه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا، الدنس ثيابا، الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد، فقال عمر بن عبد العزيز: قد نكحت المنعمات - فإطمة بنت عبد الملك - وفتحت لي أبواب السدد، لا جرم لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ. (٣)

وذكر البزار من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: حوضي من كذا إلى كذا فيه من الأنية عدد النجوم، أطيب ريحا من المسك وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللبن، من شرب منه لم يظمأ أبدا، ومن لم يشرب لم يرو أبدا.

وذكر مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ ٧٠/أ يقول وهو بين ظهري أصحابه: إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم، فوالله ليقطعن دوني رجال، فلاقولن: أي رب مني ومن أمي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، مازالوا يرجعون على أعقابهم. (٤)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورد، (٥) وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ بعدها أبدا.

(٢) رواه مسلم والترمذي، وليس عند الترمذي يشخب فيه مزابان من الجنة. ومعنى يشخب يسيل ويجري كما يجري الميزاب. والحديث في صحيح مسلم رقم ٢٣٠٠ في الفضائل. وعند الترمذي رقم ٢٤٤٧ في صفة القيامة.

(٣) الترمذي رقم ٢٤٤٦ في صفة القيامة.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٢٩٤ في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ جامع الأصول ٤٧١/١٠.

(٥) الورد: الفضة وهو بفتح الواو وكسر الراء.

وقالت أسماء بنت أبي بكر: قال رسول الله ﷺ: إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ أناس من دوني فأقول: يارب مني ومن أمّتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم. (٦)

قال: فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو أن نفتن عن ديننا.

وعن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس، إني لكم فرط على الحوض، فيأي لا يأتين أحدكم، فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا. (٧) وقال النسائي في هذا الحديث: يأيها الناس، بينا أنا على الحوض إذ مرّ بكم زمرّاً، فيذهب بكم الطرق، فأناديكم ألا هلم إلى الطريق فينادي مناد من ورائي: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: ألا سحقا سحقا.

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني رأيت إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدك من أمّتك يا رسول الله؟ قال: أرايت لو أن رجلاً له خيل غوّ محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال، أناديهم ألا هلم هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا.

وذكر البخاري من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إني فرط لكم على الحوض، من مرّ يشرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم. زاد أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

(٦) أخرجه البخاري ٤١٥/١١ في الرقاق، وفي الفتن، ومسلم رقم ٢٢٩٣ في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ جامع الأصول ٤٧٢/١٠.

(٧) أخرجه مسلم رقم ٢٢٩٥ في الفضائل، باب إثبات الحوض. جامع الأصول ٤٧٢/١٠.

قال: فأقول: أمّتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي. (٨)

وذكر (٩) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينا إنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك القهقري على أدبارهم. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم. (١٠)

٧٠/ب قوله ﷺ بينا أنا قائم» يريد: على الحوض، كما ورد في حديث آخر.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إني ممسك بحجزكم (١١) عن النار، وتغلبوني وتقتحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب، وأوشك أن أرسل حجزكم وأفرط لكم عن - أو على - الحوض - الشك من الراوي، وتردون عليّ معاً وأشتاتا، (١٢) فأعرفكم بأسمائكم وسيماكم كما يعرف الرجل الغريبة من الإبل في إبله، ويذهب بكم ذات الشمال، وأناشد فيكم رب العالمين، فأقول: أي رب رهطي، أي رب أمّتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم كانوا يمشون بعدك القهقري، فلا عرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء، ينادي يا محمد يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغت، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيراً له رغاء، فينادي يا محمد يا محمد، فأقول: لا

(٨) البخاري ٤١٢/١١ و٤١٣ في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم رقم ٢٣٠٤ في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ جامع الأصول ٤٦٩/١٠.

(٩) وذكر: أي البخاري.

(١٠) البخاري ٤١٣/١١ في الرقاق. باب في الحوض، جامع الأصول ٤٧٠/١٠ وهمل النعم: الماشية السائبة.

(١١) حجزكم: جمع حجرة وهو موضع التكة من السراويل. * الرغاء: صوت البعير.

(١٢) اشتاتا: متفرقين.

أملك لك من الله شيئاً، قد بلغت، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً له حممة، (١٣) ينادي يا محمد يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قشعاً من آدم ينادي يا محمد يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت.

وذكر أبو بكر البزار عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا فرط بين أيديكم، فإن لم تجدوني فأني على الحوض، وسيأتي أقوام رجال ونساء، ثم لا يذوقون منه شيئاً.

وذكر ابن السكن من حديث سويد بن (١٤) جبلة قال: قال رسول الله ﷺ: لتزدهن هذه الأمة على الحوض ازدحام واردات الحمُر.

وذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال: بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا ذات يوم إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليّ آتفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ فصل لربك وانحر ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾. (١٥) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آتيته عدد النجوم، فيختلج (١٦) العبد فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك. وفي طريق آخر عن أنس أيضاً: نهر وعدنيه ربي في الجنة عليه حوضي، ويروي عليه حوض.

وفي حديث لقيط - وذكر البعث - قال: تسلكون جسراً من النار، يطأ أحدكم الجمرة، فيقول: حس، ألا فتطلعون على حوض الرسول، لا يظماً والله ناهله، فلعمرو إهلك ما ييسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، رواه عن النبي ﷺ. (١٧)

(١٣) الحممة: كوزن زلزلة، سهيل الفرس ممزوج بحنين.

(١٤) سويد بن جبلة: ذكره ابن حجر في الإصابة رقم ٣٨١٦، وقال ليس له صحبة.

(١٥) سورة الكوثر.

(١٦) يختلج: يضطرب.

(١٧) علقتنا على هذا الحديث في باب انبعاث الناس النخ.

وذكر في هذا الحديث أن الحوض بعد الجسر، وما تقدم في الحوض من الأحاديث التي لم يحدّ له فيها موضع هو الصحيح المشهور.
وذكر الترمذي من حديث الحسن عن سُمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن لكل نبي حوضا، وإنهم ٧١/أ يتباهون أيهم أكثر واردة، (١٨) وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة.

وهذا يروي عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلا. (١٩)
وذكر أبو بكر البزار من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إن لي حوضا ما بين بيت المقدس الى الكعبة أبيض من اللبن، فيه عدد الكواكب آنية، وأنا فرطكم على الحوض، ولكل نبي حوض، وكل نبي يدعو أمته، فمنهم من يرد عليه فئام (٢٠) من الناس، ومنهم من يرد عليه ما هودون ذلك، ومنهم من ترد عليه العصاة، ومنهم من يرد عليه الرجال والرجل، وفيهم من لا يرد عليه أحد، فيقول : اللهم قد بلغت - ثلاثا - وذكر باقي الحديث.



(١٨) الواردة : الذين يردون للشرب .

(١٩) مرسلا : المرسل من الحديث ما رواه التابعي وسقط منه اسم الصحابي .

(٢٠) فئام : بكسر الفاء : الجماعة من الناس .

الباب السابع عشر ذكر الشفاعة الأولى التي تكون لفصل القضاء بين الناس

وهي المختصة بنبينا ﷺ فلا تكون إلا له ، ولا يشركه فيها أحد غيره .
ذكر البخاري من حديث آدم بن علي قال : سمعت ابن عمر يقول : ان
الناس يصيرون يوم القيامة جثى ، (١) كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع
لنا ، يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام
المحمود (٢) رواه حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ .
وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة ، قال : كنا مع النبي ﷺ في دعوة ،
فدفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهش منها نهشة (٣) ثم قال : أنا سيد الناس يوم
القيامة وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ،
فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم
والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلى ما قد بلغكم ،
ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم
بآدم ، فيأتون آدم ، فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من
روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن
فيه ، (٤) ألا ترى ما قد بلغ (٥) بنا؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم
يغضب مثله قبله ، ولن يغضب مثله بعده ، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته ،

(١) جثى وجثي : مفردهما جاث جثا يجثو : أى قام على أطراف أصابعه أو جلس على ركبتيه .
الناس - جثا وأشار إلى هذا الحديث قال تعالى : ونذر الظالمين فيها جثيا ، آية ٧٢ مريم .

(٢) في ش : وقد .

(٣) في ش إلى قد ما بلغكم .

(٤) في ش ألا ترى ما نحن .

(٥) بلغنا .

نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا إلى غيري^(٦) اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا ، فيقولون : يا نوح إنك^(٧) أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سأك الله عبدا شكورا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى ابراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، فذكرهن أبوحيان في الحديث ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى ، فيقولون : ياموسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفسا ، ولم أوامر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهدي ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، نفسي ، نفسي ، نفسي^(٨) اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد فيأتون محمدا ﷺ فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ﷺ وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا للربي ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يارب ، أمتي يارب

(٦) في ش اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

(٧) في ش أنت أول الرسل .

(٨) في ش نفسي هرتين مع جميع الرسل .

ثلاثا، فيقال: يا محمد أَدْخِلْ من امتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحجير، أو كما بين مكة وبصرى. (٩)

(٩) الترمذي رقم ٢٤٣٦ في صفة القيامة. والبخاري ٢٦٤/٦ و ٢٦٥ في الأنبياء، وفي التفسير. ومسلم رقم ١٩٤ في الأيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. جامع الأصول ٤٨٢/١٠. والمصراع: أحد غلقي الباب، وتسميه العامة ضلفة. بصري: بلد بسوريا، هجر: بلد في منطقة الاحساء قرب القطيف.

الباب الثامن عشر

المساءلة والتقرير والمحاسبة والقصاص

قال الله تعالى : ﴿فوريك لنسألهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ . (١)
وقال سبحانه : ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ . (٢)

وقال جل جلاله : ﴿وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ما
عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ . (٣)

ذكر قاسم بن أصبغ من حديث سعيد بن عبد الله عن أبي برزة الأسلمي
قال : قال رسول الله ﷺ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع عن
عمره فيما أفناه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ،
وعن جسمه فيما أبلاه . ذكره الترمذي (٤) أيضا .

وذكر مسلم من حديث صفوان بن محرز قال : قال رجل لابن عمر : كيف
سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : يدنى المؤمن يوم
القيامة من ربه تعالى ، حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بذنوبه ، فيقول : هل
تعرف ذنب كذا وكذا ؟ فيقول : رب أعرف ، قال : فإني سترتها عليك في الدنيا ،

(١) الآيتان ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحجر .

(٢) آية ٤٩ الكهف .

(٣) الآيتان ٦٩ و ٧٠ الزمر .

(٤) الترمذي رقم ٢٤١٩ في صفة القيامة ، وقال حديث حسن صحيح . انظر جامع الأصول
٤٣٦/١٠ .

وإني أغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. (٥)

وذكر مسلم أيضا من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ من حوسب يوم القيامة عذب، فقلت: أليس قد قال الله تعالى: فسوف يحاسب حسابا يسيرا، قال: ليس ذلك الحساب، وإنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب. (٦)

وذكر أبو بكر البزار من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم [التي] من الله عليه، فيقول الله تعالى: لأصغر نعمة - أحسبه قال في ديوان النعيم - خذي ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح ثم تتنحي، فتقول وعزتك ما استوفيت، وتبقى الذنوب والنعم، وقد ذهب العمل، فإذا أراد الله أن يرحم عبده، قال: يا عبدي، قد ضاعفت لك حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك، وأحسبه قال: ووهبت لك نعمي.

وذكر أبو بكر البزار من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: يؤتى بالملك والمملوك، والزوج والزوجة حتى يقال للرجل: شربت يوم كذا وكذا على لذة، ويقال للزوج: خطبت يوم كذا فلانة مع خطاب، فزوجتكها وتركتهم.

وفي الخبر المشهور أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أكلا تمرا وبسرا ورطبا، ثم أكلا خبزاً ولحماً، أطعمهما رجل من الأنصار، وأكلاه على جوع، فقال لهما النبي ﷺ لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة. والحديث ذكره مسلم. (٧)

(٥) مسلم رقم ٢٧٦٨ في التوبة، والبخاري ٧٠/٥ في المظالم وغيرها.

انظر جامع الأصول ٤٥٦/١٠.

(٦) مسلم رقم ٢٨٧٦ في الجنة، والبخاري ١٧٦/١ في العلم. جامع الأصول ٤٣٢/١٠.

(٧) مسلم رقم ٢٠٣٨ في الأشربة، والترمذي رقم ٢٣٧٠ في الزهد.

جامع الأصول ٦٩١/٤.

وذكر الترمذي من حديث عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : لما نزلت ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير: يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: نعم، قال: إن الأمر إذن لشديد. (٨)

وذكر النسائي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله عز وجل له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عنها. (٩)

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. (١٠)

وذكر البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يخلص المؤمنون من النار فيجلسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى لمنزله في الجنة منه بمنزله الذي كان في الدنيا. (١١)

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لتؤدَّن الحقوق

(٨) الترمذي رقم ٣٢٣٤ في تفسير سورة الزمر، والحاكم ٤٣٥/٢ ووافقه الذهبي وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥، وزاد نسبه لأحمد جامع الأصول ٣٣٦/٢.

(٩) النسائي ١٠٥/٨ في الايمان، وإسناده حسن.

(١٠) مسلم رقم ٢٥٨١ في البر، والترمذي رقم ٢٤٢٠ في صفة القيامة جامع الأصول ٤٣١/١٠.

(١١) البخاري ٧٠/٥ في المظالم وفي الرقاق. جامع الأصول ٥٤٩/١٠.

إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلهاء من الشاة القرناء. (١٢)
وذكر أبو بكر الشافعي من حديث أبي ذر قال: رأى رسول الله ﷺ شاتين
تنتطحان، فقال: يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟ قلت: لا أدري، قال:
لكن الله يدري ويقضي بينهما يوم القيامة.

وذكر البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من كانت
عنده مظلمة لأخيه فليتحللل منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ
لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح
عليه. (١٣)

وذكر أبو بكر البزار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ الظلم
ثلاثة، فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فاما الظلم الذي لا
يغفره فالشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) وأما
الظلم الذي يغفره فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي
لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم من بعض.

وذكر مسلم من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ إني لأعلم آخر
أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة
فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغار ذنوبه،
فيقال أعملت يوم كذا وكذا وكذا؟ فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو
مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة
حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ
ضحك حتى بدت نواجذه (١٥)

(١٢) - مسلم رقم ٢٥٨٢ في البر، والترمذي رقم ٢٤٢٢ في صفة القيامة.

جامع الأصول ٤٣٢/١٠. والجلحاء: التي لا قرن لها.

(١٣) البخاري ٧٣/٥ في المظالم، والترمذي رقم ٢٤٢١ في صفة القيامة.

جامع الأصول ٤٣١/١٠.

(١٤) آية ١٣ لقمان.

(١٥) مسلم رقم ١٩٠ في الايمان، والترمذي رقم ٢٥٩٩ في صفة جهنم جامع الأصول

٤٥٩/١٠.

وذكر الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج^(١٦) فيوقف بين يدي الله عز وجل، فيقول الله له: أعطيتك وخولتُك وأنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول: يارب جمعتة وثمرته فتركته أكثر ما كان، فارجعني آتاك به، فيقول له أرني ما قدمت، فيقول: يارب جمعتة وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتاك به، فإذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار. (١٧)

فتفكر أيها المسكين في نفسك بينما أنت في هذا اليوم الذي وصف لك، وفي هذا الحال الذي حدثت عنه، وقد جيء به بجهنم كما روي في الصحيح تقاد بسبعين ألف زمام^(١٨) مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تكون بمراى من الخلق ومسمع، يرون لهيبها ويسمعون زفيرها.

اذ أخذ بضبعيك،^(١٩) وقبض على عضديك، وجيء بك تتخطى الرقاب، وتحترق الصفوف والخلائق ينظرون اليك حتى اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسئلت عن القليل والكثير، والنقيز والقطمير، ولا تجد أحدا يجاوب عنك بلفظة، ولا يعينك بكلمة، ولا يرد عنك جوابا في مسألة.

وأنت قد شاهدت من عظم الأمر وجلالة القدر، وهيبة الحضرة ما أذهب بيانك، وأخرس لسانك، وأذهل جنانك،^(٢٠) ونظرت يمينا وشمالا وبين يديك، فلم تر الا النار وعملك الذي كنت تعمل، وكلمك رب العزة جل جلاله بغير حجاب يحجبك، ولا ترجمان يترجم لك، كما جاء في الخبر الصحيح وسئلت عن كل شيء كان منك في حق نفسك وحق غيرك، وقيل لك: مالك من أين اكتسبته؟ ومن أين جمعتة، وفيم أنفقته؟ فما ظنك بنفسك في ذلك اليوم؟ وكيف يكون فزعك وجزعك؟

(١٦) البذج: كلمة فارسية تكلم بها العرب، وهو أصفه ما يكون من الحملان: وجعه بذجال.

(١٧) الترمذي رقم ٢٤٢٩ في صفة القيامة. جامع الأصول ١٠/٤٣٧.

(١٨) زمام: لجام.

(١٩) ضبعيك: الواحد ضبع وهو وسط العضد أو الابط.

(٢٠) جنانك: قلبك.

وكيف تكون حيرتك ودهشتك إذا قيل لك : عاملت فلانا يوم كذا وكذا في كذا وكذا، وأخذت منه كذا وكذا، وغتته في كذا وكذا، وتركت نصيحتة في كذا وكذا وفي هذه السلعة ولم تبين له هذا العيب، أو غصبت فلانا أو ظلمت فلانا أو غششت فلانا، أو قتلت فلانا، أو فعلت كذا وكذا وقيل لك أدل بحجة، قم ببينة، ائت ببرهان، انفذ بسلطان، فأردت الكلام فلم تبين، وجئت بعذر فلم يستبن، هيهات أنى لك الكلام ولم تنقحه؟ وأنى لك بالعدرو في الدنيا لم تصححه؟

قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبًا * إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا ﴿٢١﴾

وقال الحارث بن أسد المحاسبي في موعظة له : أحذرك يا أخي ونفسي يوما آلى الله فيه على نفسه ألا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه، حتى يسأله عن عمله كله، دقيقه وجليله، ﴿٢٢﴾ سره وعلايته، فانظر بأي بدن تقف بين يديه، وبأي لسان تجيبه، فأعدّ للسؤال جوابا، وللجواب صوابا. فتفكر الآن وانظر بأي قدم تقف في ذلك المقام، وبأي أذن تسمع ذلك الكلام. فما شئت من قلب يخلع، وكبد تصدع، ولسان يتلجلج، وأحشاء تتموج، ونفس تريد أن تخرج فلا تترك أن تخرج.

فانظر ما أشأم تلك الأرباح التي ربحتها، وأخسر تلك المعاملات التي عاملت بها، انظر كيف ذهبت عنك مسراتها وبقيت حسراتها، والشهوات التي في ظلم العباد انفدتها كيف ذهب عنك الفرح بها وبقيت تبعثها، وانظر الآن بكم تفتدي من ذلك الموقف، وبكم تتخلص من ذلك السؤال.

أتقول لو كان لك نصف الدنيا أكنت تعطيه في التخلص من ذلك المقام، أي لعمر الله والدنيا وأضعافها مرات، فكيف ولم يحصل لك من عمرك الا درهمات يسيرة أنفقتها في أيام يسيرة، وربما لم تنفقها ولعلك كنت أنت جامعها والمتعب فيها، وكان المنفق لها سواك، والمتلذذ بها غيرك إما زوج ابنتك أو زوجة

(٢١) الآيات ٣٨ - ٤٠ من سورة النبأ.

(٢٢) دقيقة وجليلة : صغيرة وكبيرة.

ابنك ، أو غيرهما من ورثتك ، وأنت إنما حصل لك منها ما أنفقته في الحال ، لا ما أعددته للمآل ، وتركت ذلك لمن لا يحمذك ولا يشكرك ، ولعله ينفقها في معصية فتكون أنت السبب فيها ، ويكون مالك العون عليها ، أو ينفقها في طاعة فترى مالك في ميزان غيرك تشقى أنت به وينعم به سواك .

وإن كنت قد أنفقتها في معصية ربك ومخالفة مولاك واتباع هواك ، وأطلقت فيها شهوتك ، وأرسلت فيها لذتك فيا ويلك ثم يا ويلك من أسير شد خناقه وأحكم وثاقه وثبتت على عنقه أرباقه ، وطولب بما جناه ، وأخذ بما كسبت يده ، وقيل له : لا تلم فيما أنضج من جسمك وطبخ ، فidak اوكتا وفوك نفخ ، ولا تبك من سهم أنفذك وأصماك ، فطرفك أشار إليك ، وساعدك رماك .

وإن اخذت ذلك بالغضب والظلم وسائر أنواع المحرمات والأموار المحظورات فقد علمت ما أعد الله للظالمين ، وما تواعدهم في كتابه المبين .

وأعلم أن في هذا اليوم يصدق الله تعالى قوله : ﴿ فلنسالن الذين أرسل اليهم ولنسالن المرسلين * فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ . (٢٣) ﴿ فوربك لنسالنهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾ . (٢٤)

فبيد بالأنبياء عليهم السلام ، فيقول ماذا أجبتم ؟ قيل في تفسيرها : كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت (٢٥) أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظم الخطب وصعوبة الأمر ، فقالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب .

ثم يقرهم الله عز وجل فيدعى نوح عليه السلام .

وذكر البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :

يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيشهدون أنه بلغ ويكون الرسول عليهم شهيدا ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (٢٦) والوسط العدل .

(٢٣) الآيتان ٦ ، ٧ من سورة الأعراف .

(٢٤) الآيتان ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحجر .

(٢٥) غربت : غابت .

(٢٦) آية ١٤٣ البقرة .

وروى ابن أنعم عن حبان بن أبي جبلة ، قال : أول من يدعى يوم القيامة إسرافيل ، فيقول الله جل ثناؤه : هل بلغت عهدي ؟ فيقول : نعم يا رب قد بلغته جبريل ، فيدعى جبريل فيقال : هل بلغت إسرافيل عهدي ؟ فيقول : نعم يا رب ، فيخلى عن إسرافيل ويقول لجبريل : ما صنعت بعهدي ؟ فيقول : بلغته الرسل ، فيدعى الرسل ، فيقول : هل بلغكم جبريل عهدي ؟ فيقولون : نعم ، فيخلى عن جبريل ، ويقال للرسل : هل بلغتم عهدي ؟ فيقولون نعم قد بلغناه الأمم ، فتدعى الأمم ، فيقال لهم : هل بلغكم الرسل عهدي ؟ فمصدق ومكذب ، فتقول الرسل : لنا عليهم شهداء ، فيقول تبارك وتعالى : من ؟ فيقولون أمة محمد ﷺ فيقال لهم : أتشهدون ٧٤/أ أن الرسل قد بلغت الأمم ؟ فيقولون : نعم ، فتقول الأمم : يا رب كيف يشهد علينا من لم يدركنا ؟ فيقول الله تعالى : كيف تشهدون عليهم ولم تدركوهم ؟ فيقولون : يا ربنا أرسلت إلينا رسولا وأنزلت علينا كتابا فقصصت علينا فيه أن قد بلغوا ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ . والوسط العدل .

ثم يدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ثم ينادي كل انسان باسمه واحدا واحدا ، ويسألون واحدا واحدا ، وتعرض أعمالهم على رب العزة جل جلاله ، قليلها وكثيرها ، حسنها وقبيحها .

وفي بعض الأخبار : يتمنى رجال أن يبعث بهم الى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ، ولا تكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق ، فما ظنك بهذا المقام ، وبهذا السؤال وبهذا النكال والوبال ؟ (٢٧) وما ظنك بنفسك وقد جيء بجهنم على الوصف الذي تقدم ، وقد دنت من الخلائق ، وشهقت وزفرت وثارت وفارت ، وانتهض خزانها والموكلون بها والمعدون لتعذيب أهلها ، متسارعين الى أخذ ما أمروا بأخذه ، ساجدين له على بطنه وحروجه ، سامعين مطيعين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

فتمثل حالك وكيف أنت وقد امتلأت القلوب خوفا وجزعا ورعبا وفزعا ، وارتعدت الفرائص وبلغت القلوب الحناجر ، واصطفقت الأحشاء ، وتقطعت

(٢٧) من فما ظنك إلى هنا سقط من ز .

الأمعاء، وطلبوا الفرار فلا فرار، وطاروا لويصادفون مطارا، وَجِثَّتْ الأمم على اليركب، وأيقن المذنبون بالهلاك والعطب وسوء المنقلب.

وينادي الأنبياء والصديقون والأولياء: نفسي نفسي، كل نفس قد أفردت لشأنها، وتركت لما بها، وظن كل إنسان أنه هو المأخوذ، وأنه هو المقصود، وذهلت العقول، وطاشت الأبواب، وتحيرت الأذهان، وفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه، واشتغل بشأنه الذي يغنيه، وسئل عن جميع أمره سره وجهره، دقيقة وجليله، كثيره وقليله، وسئل عن أعضائه عضوا عضوا، وجارحة جارحة، وعن شكره عليها، وعن (٢٨) أداء حق الله فيها. وظهرت القبائح، وكثرت الفضائح، وبدت المخازي، واشتهرت المساوي، وتركك الأهل والأقربون، ولم ينفعك مال ولا بنون، وأقبلت تجادل عن نفسك، وتحاصم عنها، وتطلب المعاذير لها، وقد أسلمت وأفردت، واشتغل كل إنسان عنك بنفسه، وترك ما حل بك لما حل به. وأنشدوا:

خليلي ما أقضي وما أنا قائل	إذا جئت عن نفسي بنفسي اجادل
وقد وضع الرحمن في الخلق (٢٩) عدله	وسيق جميع الناس واليوم باسل (٣٠)
وجيء بجرم النار خاضعة له	وثلت عروش عندها ومجادل (٣١)
فيا ليت شعري ذلك اليوم هل أنا	أأغفرام أجزي، بما أنا فاعل
فإنك مجزيا فعدل وحجة	وانيك غفران ففضل ونائل (٣٢)
٧٤/ب وأعلم أنه بقدر ما تيسر على أخيك المسلم في الدنيا (٣٣) ييسر عليك في ذلك اليوم، وبحسب ما تلتمس له العذر في الدنيا يلتمس لك العذر في ذلك اليوم.	

(٢٨) في ي وهل أدى.

(٢٩) في ي في الحشر.

(٣٠) باسل: شديد.

(٣١) مجادل: جمع مجدل وهو القصر.

(٣٢) نائل: معروف.

(٣٣) في الدنيا: ساقطة من ي.

وهبك يا ابن آدم أنه قد غفر لك وستر عليك ، ألم تقم هذا المقام ، وتشاهد هذا المشهد ، وقرع سمعك هذا النداء ، وخلع قلبك هذا الروح ، أقام خوفك هذا بأمنك في الدنيا؟ أقام حزنك هذا بفرحك في الدنيا؟ أقام ذلك هذا بعزك في الدنيا أين يقع هذا منه؟ أين يبلغ هذا منه؟ (٣٤) أيقوم تعظيم الخلق لك في الدنيا باحتقار الله لك في ذلك اليوم؟ أتقوم نعمتك في الدنيا ببؤسك في ذلك اليوم؟ فكيف إن نوقشت الحساب؟ ووجب عليك العذاب؟ وضرب بينك وبين ربك عز وجل بحجاب؟ وسد بينك وبين رحمته بباب ليس كالأبواب؟ .

هناك لا دعاء يُسمع ، ولا شفاعة تنفع ، ولا عذاب عن البائس المرتهن يرفع ، إلا أن تكون ممن سبقت له العناية بالإيمان عند الموت ، وتداركته الرحمة به (٣٥) قبل الفوت ، فإن الشفاعة ستخلصك من ذلك الاسار، (٣٦) وتستخرجك من سوء ذلك القرار ، يكون منك قبل ذلك ما كان ، ويدور عليك قبل ذلك ما دار .



(٣٤) أين يبلغ : ساقطة من ش .

(٣٥) به : ساقطة من ش .

(٣٦) الاسار: الأسر .

فصل

ذكر أول ما يحكم فيه يوم القيامة وأول من يدعى للخصومة

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء . (١)
ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة ، يريد قصته ومبارزته (٢) هو وصاحبه مع الثلاثة من كفار قريش ، وذلك أن علي بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب ، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنهم بارزوا يوم بدر من كفار قريش ثلاثة : شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فبارز علي الوليد فقتله ، وبارز حمزة شيبة فقتله ، واختلف بين عبيدة وبين عتبة ضربتان ، أثبت كل واحد منهما صاحبه ، فكرر حمزة وعلي على عتبة فأتما عليه واحتملا عبيدة ، فمات من ضربته في طريق المدينة في رجوع النبي ﷺ من غزوته تلك ، ونزلت فيهم هذه الآية : ﴿ هذان خصمان اختصموا ﴾ (٣) والخبر بها مشهور صحيح .



-
- (١) مسلم رقم ١٦٧٨ في القيامة ، والبخاري ١٢/١٦٦ في الديات وفي الرقاق ، والنسائي ٨٣/٧ في تحريم الدم ، والترمذي رقم ١٣٩٦ في الديات .
(٢) ومبارزته : ليست في ش .
(٣) آية ١٩ الحج .

فصل

- الخصومة بين المسلمين، ورد المظالم والانتصاف منها

بالحسنات والسيئات

روى من حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال : سمعت ٧٥/أ رسول الله ﷺ يقول : يحشر العباد - أوقال الناس - وأوماً بيده الى الشام حفاة عراة غرلاً بُهْمًا، قلنا: ما بُهْمًا؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد ، ويسمعه من قُرب ، أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة ، حتى اللطمه ، قلنا : كيف وإنما تأتي الله حفاة عراة غرلاً؟ قال : بالحسنات والسيئات ، ذكره الحارث بن أبي أسامة .

وقوله غرلاً : يريد به غير مختونين .

وأما مطالبة الكافر المؤمن فإنما تكون لمن ظلم من أهل الذمة والعهد ، أو تكون فيما لم يأذن الله به من غيرهم ، والله أعلم .

قد تقدم لك ذكر هول يوم الموقف وخطره وغرره ، وإنك لا تدري إلى ما تصدر عنه ، ولا إلى أي مكان تسير منه ، فتفكر فيه ، وأطل الفكرة ، فقد وجدت مكان التفكير ذا سعة ، ومجال الفزع ممتداً ، وميدان الخوف عريضاً ، ثم تفكر فيك بينما أنت واقف في تلك الحال التي حُدِّثَتْ عنها ، وتَقَدَّمَ لك ذِكْرُها ، إذ وثب عليك خصماًؤك ، وهجم عليك طالبوك وأحاطوا بك ، ومدوا أيديهم إليك ، فهذا يأخذ بيدك ، وهذا بشعرك ، وهذا بما أمكنه مما أذن الله تعالى له أن يأخذه منك ، فواحد يقول : يارب هذا ضربني ، وثان يقول : يارب هذا شتمني ، وثالث يقول : يارب هذا اغتابني ، هذا احتقرني ، هذا غصبني حقي وظلمني ، هذا

قتلني ، هذا عاملي فغشني ولم ينصحي ، هذا رأيي مظلوما وقد رعى نصرتي فلم ينصرتي ، هذا علم أي جائع وكان قد رعى على أن يطعمني فلم يطعمني .
وكيف ما كانت معاملتك مع الناس ، وكيف ما كانت معاشرتكم لهم .
فبينما أنت كذلك لا تدري ما تقول ، ولا تدري ما تعمل ولا تدري إلى أين تفر ،
ولا كيف تتخلص ، وقد أهتكت الأمر وأذهشتك الحال ، اذ سمعت نداء المنادي :

اليوم تجزي كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ، إن الله سريع الحساب ، فلا تسأل عن انخلاع قلبك ، واضطراب^(١) صدرك ، وقلة أنصارك ، وعدم الدافعين عنك ، فما شئت من ضلوع تنخرق ، وأكباد تحترق ، وأحشاء تصطفق ، وهموم تنبعث عليك وتندفق . وقد علمت أن الأذى لا يرفع عن نفسك هناك بالدينار ولا بالدرهم ، وإنما هي حسناتك التي تعبت فيها في الدنيا ، إن كانت قد قبلت منك تعطى منك لخصمك وتُدفع لمطالبك ، وإن لم يكن لك حسنات أخذ من سيئاتهم فحملت عليك ، وألقيت على كاهلك^(٢) .

ولعلك جرأت مسلما على معصية ، أو حملته على ارتكاب خطيئة أو كنت له سببا في ترك سنة واعتقاد بدعة ، فيجتمع ذلك كله لك ويناط بك ويحمل على ظهرك ، قال تعالى : ﴿وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(٣) .
فانظر وتدبر كيف يكون حالك ، وقد أضيفت إلى سيئاتك سيئات أخرى ، وإلى أوزارك أوزار أخرى ، فاجتمعت عليك السيئات ، وأحاطت بك الخطيئات ، وانكسر ظهرك ٧٥/ب من ثقلها ، ولم تستطع النهوض بسببها ، واستغثت فلا مغيث ، واستعنت فلا معين . وإلى الله نرغب في المعونة فالتوفيق بيده ، والفضل فضله ، واليه يرجع الأمر كله ،^(٤) لا رب غيره ولا معبود سواه .

-
- (١) في ش واضطراب .
(٢) الكاهل : أعلى الظهر مما يلي العنق .
(٣) آية ١٣ من سورة العنكبوت .
(٤) سقطت من ش .

فصل

في الموازين والكتب

أصلح بهذي الدار ميزانكا	وليكن العدل به شأنكا
فإن فيه ربحك المرتجى	في تلكموالدار وخسرانكا
وليس خسرانك مالا ولا	أهلا فيضني السقم جثمانكا
لكنها نفسك فانظر لها	واجمع على ذلك أعوانكا
من عزمات صادقات ومن	صبر يشد اليوم إيمانكا
ولإنما أصبحت في مهلة	فاجمع الى فرضك إحسانكا
واحم على قلبك نار الأسى	واغسل بماء الدمع أجفانكا
فربما أضحك طول البكا	ويردّت نارك نيرانكا

ذكر الترمذي من حديث أنس بن مالك قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل إن شاء الله، قلت: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبي عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبي عن الحوض، فإني لا أخطيء هذه الثلاثة مواطن. (١) قال: حديث حسن غريب.

وذكر الترمذي أيضا من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر

(١) الترمذي رقم ٢٤٣٥ في صفة القيامة، وإسناده حسن جامع الأصول ١٠/٤٧٤. وهذا الحديث أسقطته نسخة ش وثابت في ي.

من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول الله تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم [عليك] اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله الا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء. (٢)

وذكر أبو بكر البزار من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: ملك موكل بالميزان، فيؤتى بابن آدم، فيوقف بين كفتي الميزان، فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

وروى عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداً ومعاريض، وأما الثالثة [فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله]. (٣) ذكره أبو بكر البزار أيضاً. وقال الترمذي: جداً ومعاذير، رواه من حديث الحسن عن أبي هريرة.

وذكر أبو جعفر العقيلي من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: الكتب كلها تحت العرش، فإذا كان الموقف بعث الله ريحاً فتطيرها بالآيات والشئائل، أول خط فيها: ﴿أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾. (٤)

٧٦/ أ وذكر ابوداود من حديث عائشة أنها قالت: ذكرت النار فبكيْتُ، فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك؟ قلت: ذكرت النار فبكيْتُ

(٢) الترمذي رقم ٢٦٤١ في الايمان، وإسناده صحيح، رواه أيضاً ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم والبيهقي وغيرهم، جامع الأصول ٤٥٩/١٠.

(٣) أخرجه الترمذي وإسناده ضعيف، جامع الأصول ٤٥٥/١٠ وقال الحافظ في الفتح: أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عن ابن مسعود موقوفاً.

(٤) آية ١٢ الاسراء.

فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه، في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم [حتى يجوز] (٥).

وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال: يدعى أحدهم، فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعا، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأأ، فينطلق إلى أصحابه، فيرونه من بعيد، فيقولون: اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا، فيأتيهم فيقول: أبشروا لكل رجل مسلم مثل هذا، قال: وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد في جسده ستون ذراعا، على صورة آدم، فيلبس تاجا من نار فيراه أصحابه، فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، قال: فيأتيهم، فيقولون اللهم أخره، فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا.

وقد تقدم تقرير المؤمن بذنوبه وتعريفه بها.

وأنشدوا:

<p>أمدد يمينك من دنياك آخذا فلست تدرك ما هناك من أمل فان تكاسلت أو قصرت في طلب يا نائم القلب عن أمريراده واشدد حزيمك واكشف ساعدك له كم رابح بكتاب كان املاه فظل مرتقبا ادراج مكرمة وطلعة الموت تبدي عن حقيقة ما</p>	<p>كتاب فوزك إذ تحتل أخراك إلا بواسطة من دار دنياك كنت المخيب والمطلوب اذ ذاك نبهه ويحك إن الامر حاذك فربما حُمدت بالجد عقباك هنا بما شاء برا أو آفاك في عدن او نازلا في النار ادراكا تملي فياك ان تنساه إياك (٦)</p>
---	---

(٥) جملة حتى يجوز ليست في نسخ أبي داود المطبوعة وقد زادها صاحب جامع الأصول والحديث عند أبي داود رقم ٤٧٥٥ في السنة، وهو حديث حسن انظر جامع الأصول ١٠/٤٧٥.

(٦) هذه الأبيات انفردت بها نسخة «ل».

فصل

ذكر ما يتكلم من الإنسان ، وما جاء في شهادة جوارح ابن آدم عليه يوم القيامة

ذكر أبو بكر بن أبي شيبة من حديث معاوية بن حيدة القشيري أن النبي ﷺ قال : تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام ، فأول ما يتكلم من الانسان فحذه وكفه .

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال : قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال : هل تضارون^(١) في رؤية الشمس في الظهيرة؟ ليست في سحابة؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا : لا ، قال : فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، قال : فيلقى العبد فيقول : أي قل^(٢) ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذكرك ترأس وترتع؟ فيقول : بلى ، فيقول : أفظنت أنك ملاقي؟ فيقول : لا فيقول : إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني ، فيقول : أي قل ، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذكرك ترأس وترتع؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : أفظنت أنك ملاقي؟ فيقول : لا ، فيقول : إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع ، فيقول : ها هنا إذا ، قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليه؟ فيختم على فيه

(١) تضارون بتشديد الراء وتخفيفها ومعناها على الأول هل تضارون غيركم في حالة الرؤية أو مخالفة في الرؤية وغيرها لحفائه . ومعناها على التخفيف . هل يلحقكم في رؤيته ضير ، وهو الضرر .

(٢) أي قل : معناها يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس .

ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنتطق فخذهُ ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المناق ، وذلك الذي يسخط الله عليه . (٣)

١٧٦ ب وذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرون مم أضحك؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارب ألم تجزني من الظلم؟ قال : يقول : بلى ، قال : فيقول : فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني ، قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبتين شهدوا ، قال : فيختم على فيه ، ويقال لأركانها : انطقي ، قال : فتنتطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بعدا لكن وسحقافعنكن كنت أناضل (٤) .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أني لأعلم آخر رجل من أمتي يجوز الصراط ، رجل يتلوى على الصراط كالغلام حين يضربه أبوه ، تزل يده مرة فتصيبها النار ، وتزل رجله مرة فتصيبها النار ، قال : فتقول له الملائكة : أرايت إن بعثك الله من مقامك هذا فمشيت سوياً ، أتخبرنا بكل عمل عملته؟ فيقول : أي وعزته لا أكتمكم من عملي شيئاً ، قال : فيقولون له : قم فامش سوياً ، (٥) فيقوم فيمشي حتى يجاوز الصراط ، فيقولون له : أخبرنا بأعمالك التي عملت ، فيقول في نفسه : إن أخبرتهم بما عملت ردوني إلى مكاني ، فيقول : لا وعزته ما أذنت ذنباً قط ، فيقولون له : إن لنا عليك شهدوا ، قال : فيلتفت يمينا وشمالاً هل يرى من الآدميين أحداً ممن كان يشهد عليه في الدنيا ، فلا يرى ، فيقول : هاتوا بينتكم ، فيختم الله على فيه ، وتنطق يداه ورجلاه وفخذه بعمله ، فيقول : أي وعزتك لقد عملتها وإن عندي للعظام المضمرات ، قال : فيقول الله تعالى له : اذهب فقد غفرت لك .

(٣) الحديث رقم ١٩٣٢ مختصر صحيح مسلم بتحقيق الألباني .

(٤) الحديث رقم ١٩٣٣ نفس المرجع .

(٥) سوياً : مستوياً .

فصل ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه

ذكر أبو بكر بن أبي شيبة من حديث عائشة قالت : قلت يا رسول الله ، أتذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ قال : أما عند ثلاث فلا ، عند الكتاب ، وعند الميزان ، وعند الصراط .^(١)

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ يجمع الله الناس ، فيقوم المؤمنون ، حتى تزلف^(٢) لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى ابني ابراهيم خليل الله ، قال : فيقول ابراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلا من وراء وراء ، اعمدوا الى موسى الذي كلمه الله تكليما ، فيأتون موسى عليه السلام ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك ، قال : فيأتون محمدا ﷺ فيقوم ويؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم ، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا ٧٧/ أ فيمر اولكم كالبرق ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي أي شيء كالبرق؟ قال : ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرجال^(٣) تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول : رب سَلِّمْ سَلِّمْ حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكدوس في النار ، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا^(٤) .

(١) رواه أيضا أبو داود رقم ٤٧٥٥ بألفاظ فيها بعض اختلاف فذكر الحوض بدل الكتاب . انظر جامع الأصول ١٠/٤٧٥ .

(٢) تزلف : تقرب وتذني .

(٣) شد الرجال : عذوهم .

(٤) مسلم رقم ١٩٥ في الايمان . جامع الأصول ١٠/٤٨٦ .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وذكر الصراط ومرور الناس عليه، قال: فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر حديث الشفاعة، قال: ويضرب الصراط بين ظهرائي جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ الا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازي حتى يُنَجَّى، وذكر الحديث.

قد سمعت رحمك الله بهذا الطريق الحرج، والمسلك الشاق، والقنطرة المضطربة التي لا تثبت (٥) عليها الأقدام، ولا تجوزها الأوهام، إلا قدم تثبت على التقوى، ووهم جاز في الملكوت الأعلى.

ولعلك تظن ان هذ الطريق من طرق الدنيا الصعبة، وسبلها الوعرة، بل هو أَحَدٌ من السيف وأدق من الشعرة، فما ظنك بك وقد حُمِلَتْ عليه، وكُلِّفَتْ المرور به، ومهواه جهنم تحتك، وقد ملأ زفيرها أذُنك، ومنظرها الهائل قلبك وعينك، وأردت المرور فلم تقدر، والنهوض فلم تستطع، واضطرب بك اضطرابا، والتهب ذلك السعير تحتك (٦) التهابا، ولم تجد الى النجاة سبيلا، ولا الى الخلاص بابا، ولا ينهض بك الا سعيك الذي سعيت، ولا جرى بك الا عملك الذي عملت، ومركوبك الذي في الدنيا ركبت، فلتتخير الآن أي المراكب تركبها، وأي الأبواب تدخلها، وأي الطرق تأخذ فيها وتسلكها. والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٧٧/ب وأنشدوا:

للسبق يوم يفوز الناس بالسبق
أولمحة البرق اذ يجتاز بالأفق
عنان صدق رمي في فتية صدق

اجنب جيادا من التقوى مضمرة
تمر مر الرياح الهوج عاصفة
واركض الى الغاية القصوى وخل لها

(٥) تثبت: في ي تسلك.

(٦) تحتك: ليست في ي.

ولست تنهض الا ويك بالعنق^(٨)
بقصدك اليوم عن مسلوكة الطرق^(١٠)
وخلفوك حليف الحزن والفرق
وضاحكا والردى منه على حنق
ومن أمامك ليل دائم الأرق
عقلا تراه غدا في غاية الخرق

فإن خلفك أعمالا مثبطة^(٧)
كم حل عزمك من دنيا معرجة^(٩)
وفاز من فاز لا حزن ولا فرق
ياغافلا والمنايا منه في ذكر
قطعت عمرك في سهو وفي سنة
ورب رأي تراه اليوم في سفه

(٧) مثبطة : معوقة .

(٨) العنق : بفتح العين والنون : المشي السريع .

(٩) معرجة : مائلة .

(١٠) الفرق : الخوف .

فصل

ما جاء في أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون

ذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري^(١) قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، قال : يقول له أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال : فذلك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، قال : فاشتد ذلك عليهم ، قالوا : يا رسول الله ، أينما ذلك الرجل؟ فقال : أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ، ومنكم رجل ، قال : ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فحمدنا الله عز وجل ، وكبرنا ، ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فحمدنا الله وكبرنا ، ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر^(٢) أهل الجنة ، وإن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالرقمة في ذراع الحمار . وفي بعض ألفاظ هذا الحديث من الزيادة : اللهم قد بلغت .

وفي بعض طرقة من غير كتاب مسلم : وذكر بعث النار ، فقال رجل : ومن الناجي بعد ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ : ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير.^(٣)

-
- (١) هكذا في النسخ الخطية . في جامع الأصول ١٨٤/٩ : رواه الترمذي عن عمران بن حصين .
(٢) شطر : نصف .
(٣) الترمذي : رقم ٣١٦٨ في تفسير سورة الحج . وقال الترمذي : هذا حديث سنن صحيح .
جامع الأصول ١٨٤/٩ .
والرقمة : بقعة ذات لون مخالف .

فصل ما جاء في أهل الفترة

ذكر أبو بكر البزار في مسنده عن الأسود بن سريع عن النبي ﷺ قال :
يعرض على الله تبارك وتعالى الأصم الذي لا يسمع شيئا والأحمق والهرم ورجل
مات في الفترة، فيقول الأصم : رب جاء الاسلام وما أسمع شيئا، ويقول
الأحمق : رب جاء الاسلام وما أعقل شيئا، ويقول الذي مات في الفترة : رب ما
أتاني لك من رسول . قال أبو بكر : وذهب عني ما قال الرابع ، قال : فيأخذ
موثقهم ليطيعوه ، فيرسل اليهم تبارك وتعالى ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد
بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما .

قد جاء هذا الحديث وهو صحيح فيما أعلم ، والآخرة ليست دار تكليف
ولا عمل ، ولكن الله يختص من شاء بما شاء ، ويكلف من شاء بما شاء ، وحيث
شاء ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

فصل في سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه

حَدَّثَ عَنْ الْجُودِ وَعَنْ فَيْضِهِ فَلَأَمَرَ مَبْنِي عَلَى الْجُودِ
وَأَذْكَرَ لَنَا بَعْضَ أَعْجَابِهِ فَلَسْتُ تَحْصِيهِ بِتَعْدِيدِ
هِيَهَاتَ مَا جُودُ مَلِكِ الْوَرَى وَخَالِقِ الْخَلْقِ بِمَحْدُودِ
حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَمَا الْبَحْرُ فِي بَعْضِ أَيْدِيهِ بِمَوْجُودِ
٧٨/ أَوْ مِنَ الَّذِي أَفَاضَ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ؟ وَأَتَى بِهِذِهِ الْخَيْرَاتِ، وَمَنْ بِهِذِهِ
النَّعْمِ الَّتِي مَلَأَتْ مَا بَيْنَ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَخْرِجُ مِنْ
ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، وَيَسْتَنْقِذُ مِنْ غَمَرَاتِ الْجَهْلِ، وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيَسْتَرُ الْعُيُوبَ،
وَيَنْفُسَ عَنِ الْمَكْرُوبِ، وَيُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَلَا يَبَالِي أَطَاعَهُ عَبْدُهُ أَمْ عَصَاهُ،
مَنْ هُوَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ.

ذكر مسلم عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره قال: سمعت رسول
الله ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل
في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة
حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.

ولمسلم في لفظ آخر: كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فإذا كان
يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة. ذكره من حديث سلمان الفارسي. (١)
وذكر مسلم أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لما خلق الله

(١) مسلم رقم ٢٧٥٢ في التوبة. والبخاري ٣٦٢/١٠ في الأدب، وفي الرقاق، والترمذي رقم
٣٥٣٥ و٣٥٣٦ في الدعوات. جامع الأصول ٤/٥١٩.

الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي . (٢)
 وذكر البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ما خلق الله تعالى من شيء إلا وقد خلق ما يغلبه ، وخلق رحمته تغلب غضبه .
 ومن مسند البزار أيضا عن عمر بن الخطاب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه ، فبينما هم يسرون إذ أخذوا فرخ طير ، فأقبل أحد أبويه ، حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ ، فقال رسول الله ﷺ ألا تعجبون لهذا الطير؟ أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم ، والله لله أرحم بخلقه من هذا الطائر بفرخه .

لا نعلم له طريقا غير هذا الطريق .

وذكر مسلم بن الحجاج عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يخرج من النار أربعة ، فيعرضون على الله عز وجل ، فيلتفت أحدهم ، فيقول : أي رب ، إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها ، قال : فينجيه الله تعالى منها . (٣)

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلين ممن يدخل النار يشتد صياحهما فيها ، فيقول الرب عز وجل : أخرجوهما ، فلما خرجا قال لهما : لأي شيء اشتد صياحكما؟ فيقولان : فعلنا ذلك لرحمتنا ، فيقول : إن رحمتي إياكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما في النار ، فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه في النار ، فيجعلها الله عليه بردا وسلاما ، ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه ، فيقول له الرب تبارك وتعالى : ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك نفسه؟ فيقول : رب ، إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد أن أخرجتني منها ، فيقول الرب سبحانه : لك رجاؤك فيدخلان الجنة معا برحمة الله .
 وهذا الحديث ذكره الترمذي وغيره . (٤)

(٢) مسلم رقم ٢٧٥١ في التوبة . والبخاري ٣٢٥/١٣ في التوحيد وفي بدء الخلق . والترمذي رقم ٣٥٣٧ في الدعوات . جامع الأصول ٥١٨/٤ .
 (٣) مسلم رقم ١٩٢ في الايمان . جامع الأصول ٥٥٢/١٠ .
 (٤) الترمذي رقم ٢٦٠٢ في صفة جهنم ، وإسناده ضعيف . انظر جامع الأصول ٥٥٣/١٠ .

وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده، لو لم تذبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون فيغفر لهم. (٥)

٧٨/ب ويروى عن ابراهيم بن أدهم قال: طُفَّت ليلة بالبيت الحرام، وكانت ليلة مطيرة شديدة الظلمة، وقد خلا الطواف وطابت نفسي فوقفت عند الملتزم أدعو، فقلت: اللهم اعصمني حتى لا أعصيك، فهتف بي هاتف يا ابراهيم أنت تسأله العصمة، وكل عباده يسأله العصمة، فإذا عصمهم فعلى من يتفضل؟ ولمن يغفر؟.

* * *

(٥) مختصر صحيح مسلم رقم ١٩٢٢ وفي نسخ الأصل أنه مروي عن أبي أيوب الأنصاري وهو سهو من المؤلف أو من النساخ، أنظر جامع الأصول ٣٨/٨.

فصل كثرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم

ذكر مسلم بن الحجاج عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً . (١)
وذكر أبو بكر البزار من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : يأتي معي من أمتي يوم القيامة مثل الليل والليل ، فيحطم الناس حطمة فتقول الملائكة : جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأنبياء .

وذكر مسلم بن الحجاج عن عبد الله بن مسعود قال : خطبنا رسول الله ﷺ فأسند ظهره الى قبة آدم ، فقال : ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، اللهم هل بلغت ، اللهم اشهد ، أتحبون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا : نعم . يارسول الله ، قال : أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا : نعم . يارسول الله . قال : فإني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر . (٢)
وذكر الترمذي قال : قال رسول الله ﷺ أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم . (٣)

-
- (١) مسلم رقم ٢٠٠ في الإيذان وله تكملة هي : وأنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة ، انظر جامع الأصول ٤٧٥/١٠ .
(٢) مسلم رقم ٢٢١ في الإيذان . والبخاري ٣٣٥/١١ و ٣٣٦ في الرقاق . والترمذي رقم ٢٢٥٠ في صفة الجنة ، جامع الأصول ١٨٧/٩ .
(٣) الترمذي رقم ٢٥٤٩ في صفة الجنة . جامع الأصول ١٩٢/٩ .

فصل ذكر كم يدخل الجنة بغير حساب

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: عرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقليل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقليل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقليل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة. (١)

وذكر أبو بكر البزار عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران ابن حصين عن عبد الله بن مسعود، قال: تحدثنا عند رسول الله ﷺ ذات ليلة، حتى أكثرنا الحديث، ثم تراجعنا إلى البيوت، فلما أصبحنا غدونا إلى النبي ﷺ فقال ﷺ:

(١) مسلم رقم ٢٢٠ في الايمان، والبخاري ١٧٩/١٠ في الطب، والترمذي رقم ٢٤٤٨ في صفة القيامة. وانكر ابن تيمية لفظه يرقون في الحديث انظر جامع الأصول ٥٧٢/٧.

عرضت عليّ الأنبياء الليلة باتباعها من أممها ٧٩/أ، فجعل النبي يمر معه الثلاثة من قومه، والنبي ومعه العصاة من قومه، والنبي ومعه النفر من قومه، والنبي ليس معه من قومه أحد، حتى أتى عليّ موسى بن عمران في كوكبة من بني إسرائيل، فلما رأيتهم أعجبوني، فقلت: يارب من هؤلاء؟ فقال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل، قلت: رب وأين أمي؟ قيل: انظر عن يمينك، فإذا الضراب ضراب مكة قد سد بوجوه الرجال، فقلت: يارب من هؤلاء؟ قيل لي: أمتك، فقيل لي: هل رضيت؟ فقلت: رب رضيت، رب رضيت، ثم قيل لي: انظر عن يسارك، فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقلت: رب من هؤلاء؟ قيل: أمتك، قال: فقيل لي: هل رضيت، فقلت: يارب رضيت، ثم قيل لي: ان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، فأنشأ عكاشة بن محصن رجل من بني اسد بن خزيمه، فقال: يا رسول الله، ادع الله ان يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعله منهم، ثم أتى رجل آخر، فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة.

قال رسول الله ﷺ فِدَى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي، إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ فَكُونُوا، وَإِنْ عَجَزْتُمْ أَوْ قَصَرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الضَّرَابِ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ أَوْ قَصَرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأَفْقِ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَنْاسًا يَتَهَوِّشُونَ كَثِيرًا، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ تَبْعِي مِنْ أُمَّتِي رُبْعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا الشُّطْرَ، فَكَبَّرْنَا، فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فَتَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا نَرَاهُمْ إِلَّا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَزَالُوا يَعْمَلُونَ بِهِ حَتَّى مَاتُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَنَحْنُ حَدِيثُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَيْسَ كَذَا وَلَكِنْ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.

وذكر مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً، تضئء وجوههم إضاءة القمر ليلة

البدر، (٢) وذكر الحديث .

كذا في هذا الحديث : يدخل من أمي زمرة ، ولم يقل الجنة ، وقال : الجنة في طريق آخر . (٣)

وقال في حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ : متماسكون آخذٌ بعضهم ببعض ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ووجوههم على صورة القمر ليلة البدر . (٤)

وذكر أبوداود الطيالسي من حديث رفاعة بن عرابة قال : كنا مع النبي ﷺ حتى إذا كنا بقرية جعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم ، فأذن لهم ، وحمد الله ، ثم قال : ما بال رجال شق الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض اليهم من الشق الآخر ، فلم ير عند ذلك من القوم إلا باكيا ، فقال رجل : يا رسول الله ، إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه ، ويروى لشقي ، قال : فحمد الله وقال خيرا ، وقال : أشهدُ عند الله أن لا يموت عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ٧٩/ب صدقا من قلبه ، ثم يسدد ، إلا سلك في الجنة ، ثم قال : وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن الجنة .

وذكر الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفا ، وثلاث حثيات من حثيات ربي . (٥)

وذكر أبوبكر الشافعي من حديث حذيفة بن اليمان ، قال : غاب عنا رسول الله ﷺ يوما ، فلم يخرج ، حتى ظننا أن لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت ، فلما رفع رأسه قال : إن ربي عز وجل

(٢) أخرجه البخاري ومسلم . وله تنمة . انظر جامع الأصول ٩/١٩٠ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) رواه البخاري ١١/٣٥٩ في الرقاق . جامع الأصول ٩/١٨٩ .

(٥) الترمذي رقم ٢٤٣٩ في صفة القيامة ، وإسناده حسن ، ورواه ابن حبان في صحيحه والطبراني . جامع الأصول ٩/١٩٠ .

استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ قلت: ما شئت يارب هم خلقك وعبادك، فاستشارني الثانية، فقلت له كذلك، ثم استشارني الثالثة، فقلت له كذلك، فقال: إني لم أخزك في أمتك، وبشّرني أن أول من يدخل الجنة زمرة من أمتي، سبعون ألفا، مع كل ألف سبعون ألفا، ليس عليهم حساب ثم أرسل اليّ ربي: ادْعُ تُحِبُّ، وسل تعطه، فقلت لرسوله: أو مُعْطِيّ ربي عز وجل سؤلي؟ قال: ما أرسل اليك إلا ليعطيك، ولقد أعطاني ربي من غير فخر أنه غفر لي ما تقدم وما تأخر، وشرح صدري، وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تُغلب، وأنه أعطاني الكوثر نهرًا في الجنة يسيل في حوضي، وأنه أعطاني العزة والنصر والرعب، وأنه أعطاني بأني أول الأنبياء دخولا الجنة، وطيب لي ولأمتي الغنيمة، وأحل لنا كثيرا مما شدد على من كان قبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج، فلم أجد شكرا إلا هذه السجدة.

قوله عليه السلام: أعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تُغلب: أي لا تجوع كلها، ولا تُغلب كلها، إنما هو إن جاعت في أرض شبت في أخرى، وإن غلبت في موضع غلبت في موضع آخر.

وذكر أبو بكر البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا، مع كل واحد من السبعين ألفا سبعون ألفا.

وعن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن ربي عز وجل أعطاني سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عمر بن الخطاب: فهلا استزدته؟ فقال: [استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا، قال: فهلا استزدته؟] (٦) فقال: أعطاني هكذا وبسط باعه، فقال: هذا من الله تعالى لا يُدرِي ما عدده.

(٦) ما بين المربعين سقط من ش.

الباب التاسع عشر

الشفاعة الثانية في الخروج من النار، وذکر خروج من يدخلها من الموحدين

٨٠/ أ اعلم رحمك الله أنه قد وجب في الحكم الأول والقضية السابقة، دخول النار على طوائف من المؤمنين، ممن أوبقتهم سيئاتهم وأحاطت بهم خطيئاتهم، فلم تمحها عنهم عقوبات الدنيا ولا عذاب القبر ولا أهوال يوم الحشر، وكل إنسان منهم تنال منه النار بمقدار عمله، وتأخذ منه إلى الحد الذي أمرت به.

ثم إن الله تعالى بفضله ورحمته يقبل فيهم شفاعة الشافعين ورغبة الراغبين، وسؤال السائلين من الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، والعلماء العاملين، وكل من له عند الله جاه ومنزلة قد بلغها بعمله، ونالها بصالح سعيه، فإن له شفاعة في أهله وبنيه، وأقربائه وأوليائه، بل ربما في الرجل كان يعرفه في الدنيا ولم يكن بينهما صحبة ولا كثير معرفة.

واعلم أن الجاه الذي تكون به الشفاعة، ويقبل به السؤال، وتقضى به الحوائج، وتحصل به المنزلة عند الله تعالى، إنما يكون اكتسابه في الدنيا، وتحصيله هنا بالعمل الصالح، على الحد الذي حد له فيه، والطريق الذي أمر أن يسلكه إليه.

ومن ذلك العمل التواضع للمسلمين ولين الجناح لهم، واحتمال الأذى منهم، والصبر عليهم، وإسقاط المنزلة عندهم، وطلبها عند خالقهم جل جلاله.

وقد تقدم حديث مسلم بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً. وذكر ابو عيسى الترمذي من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله

ﷺ: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. (١)

ويروى عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: نعم الرجل أنا لشرار أمتي، قالوا: فكيف أنت لخيارها؟ قال: أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم، وأما شرار أمتي فيدخلون الجنة بشفاعتي.
ذكره أبو الحسن الدارقطني.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ كان يحرسه أصحابه، قال: فقممت ذات ليلة فلم أره في منامه، فأخذني ما حدث وما قدم، فقممت أنظر، فإذا معاذ بن جبل قد لقي مثل الذي لقيت، فسمعت صوتاً مثل هزير الرحاوين تحرهما، فوقفا على مكانيهما، فجاء رسول الله ﷺ من قبل البيوت، فقال: هل تدريان أين كنت أوفيم كنت؟ قالاً: أين كنت؟ قال: أتاني آت من ربي، يخبرني بين أن يدخل شطر أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، فقالا: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا في شفاعتك، قال: أنتم في شفاعتي، فدعاهما، فأقبل وأقبل معه، فكلما لقيه رجل سألته، حتى استقبله معظم الناس، فأخبرهم، فقالوا: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا في شفاعتك، قال: أنتم في شفاعتي، ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً فهو في شفاعتي.

وذكر الترمذي بإسناده عن الطفيل بن أبي عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبیین وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم من غير فخر.

٨٠/ب وذكر مسلم بن الحجاج من حديث يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد، نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، فمررنا بالمدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث الناس جالساً إلى سارية عن رسول الله ﷺ، فاذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارَ

(١) الترمذي رقم ٢٤٣٧ في صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، وأبو داود رقم ٤٧٣٩ في السنة، باب في الشفاعة، وابن ماجه رقم ٤٣١٠ في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وهو حديث صحيح. جامع الأصول ٤٧٦/١٠.

فقد أخزيتة ﴿﴾ و﴿﴾ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها ﴿﴾ فما هذا الذي تحدثون؟ قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ الذي بعثه الله عز وجل؟ قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك إلا أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، فيدخلون نهرا من أنهار الجنة، فيخرجون كأنهم القراطيس، (٢) فرجعنا، فقلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟! فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد. أو كما قال.

أراد بالرأى الذي شغفه من رأى الخوارج، تكذيبهم بالشفاعة وقولهم إنه من دخل النار من المذنبين فلن يخرج منها.

وذكر مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم، حتى يدخلوا الجنة. (٣)

وذكر البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، ويسمون الجهنميين. (٤)

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: ليصين أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته إياهم، فيقال لهم: الجهنميون. (٥)

وذكر أبو داود الطيالسي من حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: ليخرجن أقوام من النار منتنون قد امتحشوا، فيدخلون الجنة برحمة الله وشفاعة الشافعين، فيسمون الجهنميين.

(٢) القراطيس: جمع قرطاس وهو الصحيفة البيضاء.

(٣) مسلم رقم في الأيمان. جامع الأصول ٥٤٩/١٠.

(٤) البخاري ٣٨٤/١١ في الرقاق. وأبو داود رقم ٢٧٤٠ في السنة باب في الشفاعة، والترمذي رقم ٢٦٠٣ في صفة جهنم. جامع الأصول ٥٥٧/١٠.

(٥) البخاري ٣٧١/١١ في الرقاق وفي التوحيد. جامع الأصول ٥٥١/١٠.

وذكر أبو بكر البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين يريد الله إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها ، فيلقون على نهر الحياة ، فيرش عليهم من مائها ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين ، فيدعون الله تعالى ، فيذهب ذلك الاسم عنهم .

وذكر مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ٨١/ أثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمما ، قد امتحشوا ، فيلقون في نهر الحياة ، فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟ (٦) .

وذكر الترمذي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ يعذب ناس من أهل التوحيد في النار ، حتى يكونوا فيها حمما ، ثم تدرهم الرحمة ، فيخرجون ، ويطرحون على أبواب الجنة ، قال : فيرش عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة . (٧)

وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن عمرو بن ميمون أن ابن مسعود حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : يكون قوم في النار ما شاء الله ، ثم يرحمهم الله ، فيخرجهم ، فيكونون في أدنى الجنة ، فيغتسلون في نهر الحياة ، يسميهم أهل الجنة الجهنميين ، لو أضاف أحدهم أهل الأرض لأطعمهم وسقاهم ، وأحسبه قال : وزودهم ، لا ينقصه ذلك شيئا .

وذكر أبو بكر الشافعي بإسناده من حديث أبي أمامة الباهلي ، عن النبي ﷺ قال : إن من المؤمنين من يدخل بشفاعته الجنة أكثر من ربعة ومضر .

(٦) مسلم رقم ١٨٤ في الإيمان ، باب إثبات الشفاعة . والبخاري ٦٨/١ في الإيمان انظر جامع الأصول ٥٥٠/١٠ .

(٧) الترمذي رقم ٢٦٠٠ في صفة جهنم ، باب رقم ١٠ وقال الترمذي : حديث حسن صحيح وهو كما قال . جامع الأصول ٥٤٨/١٠ .

وذكر البزار عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ :
إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : إن من أمتي لمن يشفع في
الفئام من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم
من يشفع للرجل وأهل بيته ، ^(٨) [حتى يدخلوا الجنة] .

وذكر الطحاوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفًا ، وأهل النار صفوفًا ، فينظر
الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة ، فيقول له :
يا فلان ، ألا تذكر يوم اصطنعت معروفًا إليك في الدنيا؟ فيقول : اللهم إن هذا
اصطنع إلي معروفًا في الدنيا ، قال : فيقال له : خذ بيده فأدخله الجنة برحمة الله
عز وجل ، قال أنس : أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله .

وذكر الطحاوي أيضًا من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال :
أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم ، فذكر حديثًا طويلًا من حديث يوم القيامة ، ثم
ذكر فيه شفاعة الشهداء ، وقال ثم يقول الله عز وجل : أنا أرحم الراحمين ،
انظروا في النار هل فيها من أحد عمل خيرًا قط ، [فيجدون في النار رجلاً ، فيقال
له : هل عملت خيرًا قط؟] ^(٩) فيقول : لا ، غير أني قد أمرت ولدي إذا أنا متُّ
فاحرقوني بالنار ثم اطحنوني ، حتى إذا كنت مثل الكحل ، فاذهبوا بي إلى
البحر فاذروني في الريح ، فوالله لا يقدر عليّ رب العالمين أبداً فيعاقبني إذا
عاقبت نفسي في الدنيا عليه ، قال الله تعالى : لم فعلت ذلك؟ قال : من
مخافتك ، فيقال : انظر ملكاً أعظم ملك ، فإن لك مثله وعشرة أمثاله .

وذكر أبو بكر البزار ^(١٠) من حديث أبي بكرة ^(١١) الثقفي عن النبي ﷺ

(٨) رواه الترمذي رقم ٢٤٤٢ في صفة القيامة . وفيه : ومنهم من يشفع للواحد بدل : للرجل وأهل
بيته ، وليس في نسخ الأصل : حتى يدخلوا الجنة .

انظر جامع الأصول ٢٠٠/٩ ومعنى الفئام : الجماعة من الناس .

(٩) ما بين المربعين سقط من ش .

(١٠) في ي : مسلم . ولم أجده في صحيح مسلم مما يدل على أن الصواب ما ذكرته نسخة ش من
نسبة الحديث إلى أبي بكر البزار .

(١١) أبو بكرة : اسمه نفع بن الحارث ، وقيل ابن مسروح ، صحابي له ترجمة في الإصابة رقم
٨٧٩٣ .

قال : يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فتتقاع بهم^(١٢) جنبنا الصراط تقاع الفراش في النار، ثم يؤذن للملائكة والنبين والشهداء والصالحين، فيشفعون ويخرجون من كان في قلبه ما يزن ذرة من إيمان .

وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : نعم فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْواً ليس معها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صَحْواً ليس فيها سحب؟ قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : فما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى لم يبق إلا من كان يعبد الله من بروفاجر، وغُبر أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيزا ابن الله ، فيقال : كذبتُم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا : عطشنا يارب فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تردون؟ فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتُم ، ما اتخذ الله من صاحبة^(١٣) ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بروفاجر، أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال : فما تنظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا ، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئا - مرتين أو ثلاثا - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق ، فلا يبقى أحد ممن كان يسجد

(١٢) تقاع بهم : أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض . اللسان - قدح . وذكر الحديث .

(١٣) صاحبة : زوجة .

الله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود، ولا يبقى أحد ممن كان يسجد اتقاءً ورياء، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رآوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم ٨٢/أ وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلِّمْ سلِّمْ، قيل: يارسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة،^(١٤) فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة^(١٥) تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لآخوانهم الذين في النار فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال [دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا احدا]،^(١٦) ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا.

وكان ابوسعيد الخدري يقول: ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم: «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما»^(١٧).

(١٤) دحض مزلة: زلقة تزل فيها الأقدام.

(١٥) حسكة: نبتة شائكة.

(١٦) ما بين المربعين انفردت به نسخة «ل» وأوده صحيح مسلم.

(١٧) آية ٤٠ من سورة النساء.

فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ، قد عادوا حمما ، فيلقيههم في نهر في أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، الا ترونها كيف تكون الى الشجر او الحجر؟ فما يكون الى الشمس أصيفروأخضر ، وما يكون منها الى الظل يكون أبيض؟ فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة ، فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : يا ربنا ، أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول : رضاي فلا أسخط عليكم (١٨) أبدا . (١٩)

قال مسلم : قال أبو سعيد الخدري : بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف .

(١٨) رواه مسلم رقم ١٨٣ في الايمان . انظر جامع الأصول ٤٤٦/١٠ .

(١٩) شرح الغريب في هذا الحديث :

غَبَر : جمع غابر ، وهو الباقي ، وَغَبَرَات جمع الجمع .

الحطيم : الكسر والدق ، أي ينكسر بعضها على بعض .

اتقاء : فعلت ذلك اتقاء أي : خوفا .

طبقة : صحيفة واحدة .

دحض : الدحض : الزلق ، وهو الماء والطين .

مزلة : موضع الزلل وان لا تثبت القدم على شيء فيسقط صاحبها .

خطاطيف : الخطاطيف كالكلاليب المعقفة المعوجة .

أجاويد الخيل : الجواد : الفرس الرائع للذكر والأنثى ، والجمع جياذ وأجاويد وكان أجاويد

جمع الجمع .

مخدوش : مجروح .

مكدوس : من الكدس ، وهو المجتمع من الطعام ، فكأن الانسان تجمع يده ورجلاه ،

ويشد ، ويلقى في النار .

حمما : جمع حمه ، وهي الفحمة .

وذكر مسلم أيضا من حديث أبي هريرة، أن ناسا قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، يا رسول الله قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من [كان] يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، وذكر الحديث.

قال: ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يحيز، ولا يتكلم يومئذ الا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عَظَمِها إلا الله، تحطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجى، حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد ان يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد ان يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم، إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، (٢٠) فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فانه قد قشبنى ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسييت ان فعلت ذلك بك ان تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله ان يسكت، ثم يقول: أي رب، قدمني الى باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت

(٢٠) امتحشوا: احترقوا.

عهودك وموآثيقك ان لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب، ويدعو الله، حتى يقول له: فهل عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء من عهود وموآثيق، فيقدمه الى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: اي رب ادخلي الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيتَ عهودك وموآثيقك! أن لا تسأل غير ما اعطيت؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: اي رب، لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك ٨٣/أ الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله تعالى منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمناه، فيسأل ربه ويتمنى، حتى ان الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه. (٢١)

قال عطاء بن يزيد وأبوسعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً، حتى اذا حدث أبوهريرة ان الله تعالى قال لذلك الرجل: «ومثله معه»، قال أبوسعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبوهريرة: ما حفظت الا قوله: ذلك لك ومثله معه، قال أبوسعيد: أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله» قال أبوهريرة: وذلك الرجل آخر أهل [النار] دخولا الجنة. (٢٢)

وذكر عن عبدالله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل

(٢١) أخرجه البخاري أيضا: انظر الأصول ١٠/٤٤٠. وتأتي رواية مسلم عن عطاء بن يزيد كما سأشير في التعليق التالي إن شاء الله.

(٢٢) رواه مسلم. انظر مختصر صحيح مسلم بتحقيق الألباني رقم ٨٦. والبخاري ٣٨٧/١١ انظر جامع الأصول ١٠/٤٤٠.

شرح الغريب:

السُّعدان: نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل جانب.

امتحنوا: احترقوا. قشبي: سمني وأذاني واهلكني.

ذكاؤها: لُهبها، واشتعالها وشدة وهجها.

انفهقت: انفتحت واتسعت.

الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكب مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، وقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب، ادني من هذه الشجرة فلا أستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم، لعلني إن أعطيتها سألتني غيرها، [فيقول لا يارب، ويعاهده إن لا يسأله غيرها] (٢٣) وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، ادني من هذه فلا أستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، وهي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها، وربه عز وجل يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني (٢٤) منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب، أتستهزئ بي وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود وقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ بك، ولكني على كل شيء قدير. (٢٥)

(٢٣) سقط من ش.

(٢٤) ما يصريني منك: أي ما الذي يرضيك ويقطع مسألتك، وأصل التصرية: القطع والجمع، ومنه الشاة المصرة، وهي التي جمع لبنها، وقطع حلبه.

(٢٥) مسلم رقم ١٨٧ في الايمان، باب آخر أهل النار خروجاً. جامع الأصول ٥٥٦/١٠.

وعن أبي سعيد الخدري ٨٣/ب عن النبي ﷺ في هذا الحديث قال فيه :
ويذكره الله تعالى سل كذا وكذا ، فإذا انقطعت به الأمانى ، قال الله : هولك ،
وعشرة أمثاله ، قال : ثم يدخل بيته ، فتدخل عليه زوجته من الخور العين ،
فتقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا ، وأحيانا لك ، قال : فيقول : ما أ عطى
أحد مثل ما أ عطيت . (٢٦)

وذكر مسلم من حديث معبد بن هلال العنزي ، قال : انطلقنا الى أنس
ابن مالك ، وتشفعنا بثابت ، فانتبهنا اليه وهو يصلي الضحى فاستأذن لنا ثابت ،
فدخلنا عليه ، وأجلس ثابتا معه على سريريه ، فقال له : يا أبا حمزة ، إن اخوانك
من أهل البصرة يسألونك ان تحدثهم حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ
قال : إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض ، فيأتون آدم ،
فيقولون : اشفع لذريتك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه
خليل الله ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى ، فإنه
كليم الله ، فيؤتى موسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسى ، فإنه روح
الله وكلمته ، فيؤتى عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأؤتى
فأقول : أنا لها ، ثم أنطلق فاستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه ،
فأحمده بمحمد لا أقدر عليها إلا أن يهلمنيها الله ، ثم أخرجه ساجدا ، فيقول :
يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول :
يارب أمي أمي فيقول : انطلق ، من كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من
إيمان فأخرجه منها ، فانطلق فأفعل ، ثم أرجع الى ربي فأحمده بتلك المحامد ،
ثم أخرجه ساجدا ، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه
واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمي أمي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه
مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها ، فانطلق فأفعل ، ثم أعود الى ربي
فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرجه ساجدا ، فيقال لي يا محمد ، ارفع رأسك وقل
يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمي أمي ، فيقال :

(٢٦) مسلم رقم ١٨٨ في الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة . نفس المرجع .

انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنتلق فأفعل .

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبان، (٢٧) قلنا، لوملنا الى الحسن فسلمنا عليه وهو مُستخفٍ في دار أبي خليفة؟ قال : فدخلنا عليه فسلمنا عليه، فقلنا : يا أبا سعيد، جئنا من عند أخيك أبي حمزة، فلم نسمع بمثل حديث حَدَّثناه في الشفاعة، قال : هيه، فحدَّثناه الحديث، فقال : هيه، قلنا : ما زادنا قال : قد حدثنا به منذ عشرين سنة ٨٤/أ وهو يومئذ جميع، (٢٨) ولقد ترك شيئاً ما أدري : أنسي الشيخ، أم كره أن يحدثكم فتكملوا؟ قلنا له : حدثنا، فضحك وقال : خُلِقَ الانسان من عَجَل، وما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه، قال : ثم أرجعُ إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ ساجداً، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول : يارب، ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله، قال : فليس ذلك لك، أو قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله، قال : فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك - أراه قال : قبل عشرين سنة - وهو يومئذ جميع . (٢٩)

(٢٧) الجبان : والجبانة : المقابر .

(٢٨) جميع : رجل جميع : أي مجتمع الخلق قوي ، لم يهرم ولم يضعف .

(٢٩) مسلم رقم ١٩٣ في الايمان، والبخاري ٣٩٥/١٣ في التوحيد، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار، انظر جامع الأصول ٤٧٧/١٠ .

فصل

ذكر من يخرج من النار برحمة الله من غير شفاعه أحد

قد تقدم حديث مسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ وذكر خروج من يخرج من النار بشفاعة الملائكة والنبين وغيرهم، قال: فيقول الله عز وجل: قد شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوما، لم يعملوا خيرا قط.

وذكر الحديث.

وقوله عز وجل في الحديث قبل هذا: وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال: لا إله إلا الله.

وروى سنان بن حرب العسبي أنه سمع ابن عمر عن النبي ﷺ قال: اشتكت النار إلى ربها ضيقها بها فيها من أهلها، وحرها وزمهريرها^(١)، فغمزها، فقال: حس على عبادي، فأخرج منها عدد الجراد والذباب، ذكره أبو الحسن الدارقطني.

ذكر أبو بكر البزار عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: يأتي على جهنم زمان تحفق أبوابها، ليس فيها أحد - يعني من الموحدين - هكذا رواه موقوفا من قول عبد الله بن عمرو، وليس فيه ذكر النبي ﷺ.

وروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز - بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية. وروى في مسند أحمد بن خالد.

(١) الزمهرير: البرد الشديد.

فصل ما أول طعام أهل الجنة

ذكر البخاري من حديث أنس بن مالك، أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ [المدينة]، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط^(١) الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟

قال: أخبرني جبريل بهن أنفا، قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إليه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إليها، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، قال: يارسول الله، إن اليهود قوم بهت، فسلمهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاء اليهود ودخل عبد الله البيت فقال ﷺ: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي ﷺ: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاده الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، ونقصوه، قال: هذا كنت أخافه يارسول الله. (٢)

(١) أشراط: علامات.

(٢) البخاري ٢٦١/٦ في الأنبياء. جامع الأصول ٣٨٢/١١.

الباب العشرون في صفة الجنة وما أعد الله لأهلها

قال الله عز وجل : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون^(١)﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا^(٢) ﴿*﴾
﴿إن المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمين *﴾
ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين^(٣) ﴿*﴾
﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب^(٤)﴾
﴿إن المتقين في مقام أمين * في جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة آمين * لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم * فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم^(٥)﴾

(١) آية ٢٥ من سورة البقرة.

(٢) آية ٥٧ من سورة النساء.

(٣) الآيات من ٤٥ - ٤٨ من سورة الحجر.

(٤) الآيتان ٣٤ و ٣٥ من سورة فاطر.

(٥) الآيات من ٥١ - ٥٧ من سورة الدخان.

﴿والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين * على سرر موضونة * متكئين عليها متقابلين * يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يُصدّعون عنها ولا يُنزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عِين * كأمثال اللؤلؤ المكنون * جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً * وأصحاب اليمين * ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * إنا أنشأناهنّ إنشاء * فجعلناهنّ أبكاراً * عُرُباً أَتْرَاباً * لأصحاب اليمين﴾^(٦)

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَاقُ أَعْنَابٍ * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابٍ * وَكَأَسَادِهَا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَاباً * جَزَاءُ مَنْ رَبُّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾^(٧)

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خَتَمَهُ مَسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنَا يَشْرِبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٨)

٨٥/أ ﴿وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ * لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاجِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَهَارٌ مَصْفُوفَةٌ * وَزُرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ﴾^(٩)

[وذكر أبو بكر البزار من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: خلق الله تبارك وتعالى الجنة، لبنه من ذهب، ولبنه من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك.

وذكر البزار أيضاً من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: خلق الله الجنة

(٦) الآيات من ١٠ - ٣٨ من سورة الواقعة .

(٧) الآيات من ٣١ - ٣٦ من سورة النبأ .

(٨) الآيات من ٢٢ - ٢٨ من سورة المطففين .

(٩) الآيات من ٨ - ١٦ من سورة الفاشية .

لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك رواه هناد بن [السري].
 وذكر الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلت يارسول الله، مم خلق الله الخلق؟ قال: من الماء، قلت: والجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتراها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يهأس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم. (١٠)

وذكر مسلم عن أبي سعيد الخدري أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة، قال: درمكة بيضاء، مسك خالص. (١١)
 ومن حديثه قال: قال رسول الله ﷺ لابن صياد: ما تربة الجنة؟ قال: درمكة بيضاء يا أبا القاسم، قال صدقت.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (١٢)

وإذا تراها المسك، فيها جناذب من لؤلؤ. والجناذب: القباب
 وذكر مسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ (١٣).

وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: ﴿أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ (١٣).

(١٠) الترمذي رقم ٢٥٢٨ في صفة الجنة، وفي سنده جهالة وانقطاع، ولكن له شواهد يقوى بها، وهو مشتمل على عدة أحاديث، ظمن أوله إلى قوله: ولا يفنى شبابهم رواه أحمد والدارمي وبيان حبان في صحيحه، والطبراني في الأوسط، ورواه مسلم بلفظ من يدخل الجنة ينعم ولا يهأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابهم. انظر جامع الأصول ٤٩٧/١٠.

(١١) مختصر صحيح مسلم رقم ٢٠٤٢ معناه في البياض درمكة وفي الطيب المسك، والدرمك: الدقيق الحواري، الخالص البياض.

(١٢) الكلام مقطوع في نسخ الأصل، ولم أعثر على بداية هذا الحديث.

(١٣) آية ١٧ من سورة السجدة.

وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾، وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾^(١٤).

٨٥/ب وذكر مسلم من حديث سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، قال أبو حازم: فحدثت به النعمان بن أبي عياش الزرقى فقال، حدثني أبوسعيد الخدري عن النبي ﷺ: إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها.

وذكر البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن في الجنة لشجرة، يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقروا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾^(١٥)، ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب^(١٦).

وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب ومن مسند البزار عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ إن في الجنة شجرة مستقلة على ساق واحدة، عرض ساقها اثنتان وسبعون سنة.

وذكر ابن المبارك عن سليم بن عامر، قال: كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: إنه لينفعنا الله بالأعراب ومساثلهم أقبل أعرابي يوما، فقال: يارسوب الله، لقد ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: وماهي؟ قال: السدر، فإن له شوكا مؤذيا، فقال رسول الله ﷺ: أوليس يقول الله عز وجل: ﴿في سدر مخضود﴾^(١٧) خضد

(١٤) الترمذي رقم ١٣٩٥ في التفسير، ومثله عند البخاري ومسلم ببعض اختلاف في اللفظ. جامع الأصول ٤٩٤/١٠.

والآية ١٨٥ من سورة آل عمران.

(١٥) آية ٣٠ من سورة الواقعة.

(١٦) البخاري ٢٣٢/٦ في بدء الخلق، ب اب ما جاء في صفة الجنة وفي تفسير سورة الواقعة، ومسلم رقم ٢٨٢٦ في صفة الجنة، والترمذي رقم ٢٥٢٥ في صفة الجنة جامع الأصول ٥٠٣/١٠.

(١٧) آية ٥٦ من سورة الواقعة.

الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمرا، تتفتح الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر. وثمرنا بالثاء المثلثة فيها كلها.

وذكر مسلم بإسناده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا. (١٨)

وذكر مسلم أيضا من حديث أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ ٨٦/أ قال: إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تراءون الكوكب الدري العابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين. (١٩)

وذكر مسلم عن محمد بن سيرين، قال: إما تفاخروا، وإما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أمن النساء؟ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب. (٢٠)

وذكر الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة، وضوء وجوههم على مثال ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم

(١٨) مختصر صحيح مسلم رقم ١٩٦٠، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(١٩) ناس المرجع رقم ١٩٦١، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف.

(٢٠) رواه مسلم رقم ٢٨٣٤ في الجنة. ١٠ ٥٢٦ جامع الأصول.

زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من ورائها^(٢١).

وذكر مسلم بن الحجاج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة^(٢٢) وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء.

وذكر مسلم أيضا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل، لا يتغوطون ولا يبولون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون، أمشاطهم الذهب، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على طول أبيهم آدم ستون ذراعا^(٢٣).

ويروى على خلق.

وذكر أيضا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ٨٦/ب أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون، ولا يتغوطون، أنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا^(٢٤).

(٢١) الترمذي رقم ٢٥٣٧ في صفة الجنة، كما أورده المنذري منجوه في «الترغيب والترهيب» من رواية الطبراني عن عبد الله بن مسعود.

(٢٢) مسلم رقم ٢٨٣٤ في الجنة. جامع الأصول ١٠/٥٢٦. ومعنى الألوة: اللانجوج: من أساء العود الذي يتخر به.

(٢٣) نفس الرواية السابقة والمراجع ذاتها.

(٢٤) أخرجه البخاري ومسلم. وسبق تخريجه. انظر جامع الأصول ١٠/٥٢٦.

وذكر من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، لا يتفلون ، ولا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون ، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد ، كما يلهمون النفس (٢٥) .

وذكر النسائي من حديث زيد بن أرقم ، قال : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال : يا أبا القاسم ، أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ فقال : أي والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجسم والشهوة ، قال الرجل : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أذى ، فقال النبي ﷺ : حاجة أحدهم رشح يفيض من جلده ، فإذا بطنه قد ضم .

وذكر الترمذي من حديث أنس بن مالك ، قال : سئل رسول الله ﷺ : ما الكوثر ؟ قال : ذلك نهر أعطانيه الله ، يعني في الجنة ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر ، قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ آكلها أنعم منها .

ومن مسند البزار عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنك لتنظر إلى الطير في الجنة ، فتشتهيه ، فيجيء مشويا بين يديك .

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : يبعث أهل الجنة على صورة آدم ، في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة ، جردا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة ، فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم .

وذكره الترمذي (٢٦) ، وحديث أبي بكر أكمل .

وذكر الترمذي أيضا عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين في الجنة ، لا يزيدون

(٢٥) مسلم رقم ٢٨٣٥ في صفة الجنة . جامع الأصول ١٠/٥٢٧ .

(٢٦) الترمذي رقم ٢٥٤٢ في صفة الجنة ، وهو حديث حسن بشواهد . جامع الأصول ١٠/٥٢٨ .

عليها أبدا، وكذا أهل النار (٢٧). كذا قال: «ثلاثين» والأول أحسن إسنادا.
 ٨٧/ أ وذكر مسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه (٢٨).

وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، ينادي مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل: ﴿ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (٢٩).

وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس (٣٠) عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها [في السماء] ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا. (٣١)
 وذكر مسلم، حدثنا أبو عبد الصمد، حدثنا أبو عمران بهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ قال: إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن. (٣١)

وذكر الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية إلى صنعاء (٣٢).

وذكر الترمذي من حديث علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لغرفا، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام إليه أعرابي،

(٢٧) الترمذي رقم ٢٥٦٥ في صفة الجنة، وإسناده ضعيف.

(٢٨) مسلم رقم ٢٨٣٦ في الجنة. جامع الأصول ١٠/ ٥٣٠.

(٢٩) أخرجه مسلم رقم ٢٨٣٧ في صفة الجنة، والترمذي رقم ٣٢٤١ في التفسير والآية ٤٣ من سورة الأعراف. جامع الأصول ١٠/ ٥٣١.

(٣٠) عبد الله بن قيس: هو أبو موسى الأشعري.

(٣١) رواه البخاري ٢٢٩/ ٦ في بدء الخلق، باب صفة الجنة، ومسلم رقم ٢٨٣٨ في صفة الجنة.

(٣٢) الترمذي: رقم ٢٥٦٥ في صفة الجنة. وإسناده ضعيف. جامع الأصول ١٠/ ٥٣٢.

فقال : لمن هي يارسول الله؟

قال : لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام . (٣٣)

وعن عبدالله بن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ إلى ربها ناظرة (٣٤) .

وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا .

وذكر الترمذي أيضا عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : لغدوة في سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاعت الدنيا ، ولألت ما بينها ريحا ، ونصيفها - يعني خمارها - خير من الدنيا وما فيها . (٣٥)

٨٧/ب وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال : لو أن ما يقل ظفرا مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره ، لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم . (٣٦)

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : إن عليهم التيجان ، إن أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين المشرق والمغرب .

وذكر الترمذي أيضا عن عبدالله بن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة ، حتى يرى غمها ،

(٣٣) الترمذي رقم ١٩٨٥ في البر والنصلة . جامع الأصول ٥٥٠/٩ .

(٣٤) أخرجه الترمذي رقم ٢٥٥٦ في صفة الجنة ، وإسناده ضعيف . جامع الأصول ٥٣٢/١٠ .

(٣٥) أخرجه الترمذي رقم ١٦٥١ في فضائل الجهاد ، ورواه بنحوه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم . جامع الأصول ٥٠٤/١٠ ومعنى قَدَّه : سوطه .

(٣٦) أخرجه الترمذي رقم ٢٥٤١ في صفة الجنة ، ورواه أحمد في المسند ١٦٩/١ جامع الأصول ٥٠٥/١٠ .

وذلك أن الله عز وجل يقول : كأنهن الياقوت والمرجان (٣٧) . فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه (٣٨) .
ويروى هذا عن عبدالله بن مسعود من قوله .

وذكر مسلم من حديث عبدالله بن مسعود، قال : قال رسول الله ﷺ :
إني لأعرف آخر أهل الجنة خروجاً من النار، رجل يخرج منها زحفاً، فيقال له :
انطلق فادخل الجنة، قال : فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا
المنازل، فيقال له : أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول : نعم، فيقال له : تمن،
فيتمنى، فيقال له : لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول : أتسخر بي
وأنت الملك؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه (٣٩) .
وعنه (٤٠) قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها،
وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له : اذهب
فادخل الجنة، قال : فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول : يارب
وجدتها ملأى، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة، قال فيأتيها، فيخيل إليه
أنها ملأى، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى، فيقول الله له : اذهب فادخل
الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا قال :
فيقول : أتسخر بي - وأنت الملك؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى
بدت نواجذه، فكان يقال (٤١) : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة (٤٢)

-
- (٣٧) آية ٥٨ من سورة الرحمن .
(٣٨) الترمذي رقم ٢٥٣٥ و ٢٥٣٦ و ٢٥٣٧ في صفة الجنة، ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه
رقم ٢٦٣٢ «موارد» في صفة الجنة . جامع الأصول ١٠/٥٠٦ .
(٣٩) مسلم رقم ١٨٦ في الايمان، باب آخر أهل النار خروجاً، جامع الأصول ١٠/٥٥٤ .
(٤٠) عنه : أي عن عبدالله بن مسعود .
(٤١) «وكان يقال» : قائل هذه العبارة هو الراوي، كما ذكر الحافظ في الفتح، وأما قائل المقالة
المذكورة فهو النبي ﷺ .
(٤٢) أخرجه البخاري ٣٨٦/١١ في الرقاق، وفي التوحيد، ومسلم رقم ١٨٦ في الايمان كما سبق
في التعليق الثالث آنفاً . جامع الأصول ١٠/٥٥٣ .

وذكر مسلم أيضا عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال : سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال : هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب ، كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مُلْك من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت ربي ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتئت نفسك ، ولدت عينك ٨٨/أ ، فيقول : رضيت رب ، قال ربي فأعلاهم منزلة ، قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم ترعين ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصادقه في كتاب الله عز وجل : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (٤٣) .

وذكر النسائي من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع ، قالوا : يارسول الله أويطيق ذلك؟ قال : يعطى قوة مائة (٤٤) .

وذكر البزار في مسنده عن أبي هريرة قال : قيل يارسول الله ، أنفضي إلى نساءنا في الجنة؟ فقال : والذي نفسي بيده إن الرجل ليفضي في اليوم الواحد إلى مائة عذراء .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا .

وذكر الترمذي من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه ، أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، هل في الجنة من خيل؟ قال : إن الله أدخلك الجنة فلا

(٤٣) رواه مسلم رقم ١٨٩ في الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي رقم ٣١٩٦ في التفسير ، باب ومن سورة السجدة . جامع الأصول ٥٣٣/١٠ .

(٤٤) أخرجه الترمذي رقم ٢٥٣٩ في صفة الجنة ، ورواه الدارمي بإسناد صحيح انظر جامع الأصول ٥٣٠/١٠ وليس فيه أن الراوي النسائي .

(٤٥) الترمذي رقم ٢٥٤٦ في صفة الجنة . جامع الأصول ٥٠٨/١٠ .

تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء ، تطير بك في الجنة حيث شئت إلا كان ، فقال آخر: هل في الجنة من إبل؟ فلم يقل له ما قال لصاحبه ، فقال : إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتئت نفسك ، ولذت عينك .

وذكر الترمذي من حديث عبادة بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ قال : إن في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس (٤٦) .

وذكر الترمذي أيضا من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين مائة عام . (٤٧)

وذكر الترمذي أيضا عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : إن في الجنة مائة درجة ، لو أن العالمين اجتمعوا في أحداهن لوسعتهم (٤٨) .

وذكر البزار من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك ، رواه هناد بن السري عن عثمان بن زفر عن زهير عن معاوية عن رجل ، وهو سعد الطائي عن أبي مجاهد عن أبي المدله عن أبي هريرة ، قال : قلنا يا رسول الله ، أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال : لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، ملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، من يدخلها ينعم ولا يئأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا يفنى شبابه ، ولا تبلى ثيابه . وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن ابن صباد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة ، قال : در مكة بيضاء ، ومسك خالص (٤٩) .

ومن حديث أبي سعيد الخدري أيضا ، قال : قال رسول الله ﷺ ٨٨/ب لابن صياد : ماتربة الجنة؟ قال : درمكة بيضاء ، ومسك خالص ، يا أبا القاسم ، قال : صدقت (٥٠)

(٤٦) أخرجه الترمذي : رقم ٢٥٣٣ في صفة الجنة ، وهو حديث صحيح . انظر جامع الأصول ٥٠٠/١٠ .

(٤٧) الترمذي رقم ٢٥٣١ في صفة الجنة . وهو حديث حسن . نفس المرجع .

(٤٨) الترمذي رقم ٢٥٣٤ في صفة الجنة . وإسناده ضعيف . نفس المرجع .

(٤٩) سبق تخريجه .

(٥٠) سبق تخريجه .

وذكر النسائي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن شرب في آنية الذهب والفضة في الدنيا، لم يشرب بها في الآخرة، ثم قال رسول الله ﷺ: لباس أهل الجنة، وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة (٥١).

وذكر مسلم من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (٥٢).

وذكر الترمذي عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد (٥٣).

ويروى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لأنهار الجنة تخرج من تلال، أو جبال مسك. ذكره العقيلي.

وذكر الترمذي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن في الجنة لمجتمعاً للحوار العين، يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبئد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له (٥٤).

(٥١) لم أجد هذا الحديث مجتمعاً ولكن تحريم الحرير ورد بهذا اللفظ في حديث البخاري ومسلم، وتحريم الخمر ورد في حديث آخر، رواه الخمسة ومالك، انظر جامع الأصول ١٠/٦٧٩ في الأول و ٩٨/٥ و ١٠٠ في المذساني. أما تحريم الشرب في آنية الذهب والفضة فقد ورد في حديث آخر رواه الخمسة انظر جامع الأصول ١٠/٣٨٥.

(٥٢) مسلم رقم ١٨٠ في الأيمان.

(٥٣) الترمذي رقم ٢٥٧٤ في صفة الجنة، ورواه أيضاً الدارمي ٢/٣٣٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. جامع الأصول ١٠/٥٠٧.

(٥٤) الترمذي: رقم ٢٥٦٧ في صفة الجنة. والحوار: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين، الشديدة سوادها. والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين. جامع الأصول ١٠/٥٠٩.

وذكر البخاري عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال : إن في الجنة ثمانية أبواب ، منها باب يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون (٥٥) .
وذكر الترمذي عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة ، كان حمله ووضع وسنه في ساعة [واحدة] كما يشتهي .
قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ : إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي ، ولكن لا يشتهي .
يريد أنه لا توالد في الجنة ، كما جاء عن النبي ﷺ (٥٦) .



(٥٥) أخرجه البخاري ٩٥/٤ و ٩٦ في الصوم . جامع الأصول ٤٥٨/٩ .
(٥٦) الترمذي رقم ٢٥٦٦ في صفة الجنة . جامع الأصول ٥٢٩/١٠ .

فصل ما جاء أن أهل الجنة لا ينامون

ذكر البزار في مسنده عن جابر بن عبد الله قال : قيل : يا رسول الله ، أينام أهل الجنة ، قال : لا ، النوم أخو الموت ، زاد أبو الحسن الدارقطني : والجنة لا موت فيها ، ذكره من حديث جابر أيضا .

فصل ما جاء في زيارة أهل الجنة ربهم عز وجل

ذكر الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة ، فقال : سعيد : أفيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون ربهم ٩٩ / أ ويبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم - وما فيهم دني - على كثران المسك والكافور ، وما يرون أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا .

قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله ، وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتهاون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : كذلك لا تتهاون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة ، حتى يقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان ، أتذكر يوم كذا وكذا ، إذ قلت كذا وكذا ؟ فيذكره

ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يارب، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمرت عليهم طيبا، لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا بغير بيع ولا شراء، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا، قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة، فيلقى من هودونه - وما فيهم دني، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه ليس ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فتتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبا وأهلا، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فنقول: إنا زرنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله، وبحق لها أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. (١)



(١) الترمذي رقم ٢٥٥٢ في صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، وقال الترمذي: هذا حديث غريب. جامع الأصول ٥١١/١٠.

فصل [في رؤية أهل الجنة ربهم]

ذكر الترمذي من حديث صهيب عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(١) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعدا ، قالوا : ألم يبيض وجوهنا وينجنا من النار ، ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى ، فيكشف الحجاب ، قال : فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إلى [ربهم تبارك وتعالى] .^(٢)

وذكر البزار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم ، فقال : السلام عليكم أهل الجنة ، فذلك قوله : ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ قال : فينظر إليهم وينظرون إليه ، لا يلتفتون إلى شي من النعيم ، ويبقى نوره في ديارهم .

(١) آية ٢٦ من سورة يونس .

(٢) الترمذي رقم ٢٥٥٥ في صفة الجنة ، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم جامع الأصول ١٠ / ٥٦٠ وفيه : يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ، بدل : نادى مناد : إن لكم عند الله موعدا .

فصل ما جاء أن في الجنة سوقا

ذكر مسلم من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثو في وجوههم وثيابهم ، ويزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا (٣) .

وأنشدوا :

لمن ظل بجنات الخلود	يبرد حر أنفاس العميد
يرد من الصبا ما كان غضا	ويطلع فوقه نجم السعود
ويجمع قاصيات (٤) للأمان	شردن عليك أيام الشرود
وزد ما شئت من أمل بعيد	فقد أسعفت بالأمل البعيد
لمن تلك القصور مشيدات	وليس كما عهدت من المشيد
قصور ما قصور ما قصور	تريك عجائب الملك الحميد
ذهبت لوصفها فعجزت عنه	كعجز الماء يذهب للصعود
لمن تلك القباب مكلمات	بطيب العيش والعمر المديد
أمان من تصاريف الليالي	وإسعاد جديد في جديد
ملئن بكل قاصرة لعب	تلا لأفوق مطلعها السعيد
كأن الحسن خص بها رواها	فليس على رواها من مزيد

(٣) مسلم رقم ٢٨٣٣ في صفة الجنة ، باب في سوق الجنة . جامع الأصول ٥٠٩/١٠ .

(٤) قاصيات : بعيدات .

تماشى من شذاها في رياض
يحار الطرف من نظر إليها
عجبت لها ولي تدنو وأنأى
وما هذاكمو إلا لأنى
وأعظم حسرة من ذاك جهلي
ولو أنى استضأت بنور علم
لأثرت الاله ولم ألاحظ
ولكني وردت حياض دنيا
على علم وردت بسوء رأي
فمن لي والمنى حلوجناها
بعلم مؤيد فطن لبيب
تريه البدر في ظلم الدياجي
لعل عوارف الرحمن تصفو
فتورده موارد صافيات
وإلا صُبَّ في مهوى عميق

وتخطر من سناها في برود
ويشخص في حدود أو قدود
وتدعوني وأعرض في صدود
نزلت بهامتي تحت الصعيد
بخالقها وجهلي بالوعيد
يوفقني على الرأي السديد
سواه من طريف أو تليد^(٥)
شرعت بهن في ماء صديد
وجهلي بالمقاصد والعقود
ومنهلها شهى للورود
وتوبة حازم جلد شديد
وتنهضه بأثقال العهود
بذاك على سؤال مستزيد
كطعم المسك بالعذب البرود
ودُحرج من ذرى طود بعيد

(٥) سقط هذا البيت من زوال الطريف: المال المحدث: والتليد: القديم والموروث.

الباب الحادي والعشرون

في صفة النار، وصفة أهلها، وما أعد الله لهم فيها

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نَصْلِيهِمْ نَارًا كَلِمًا نَضْجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ * لهم من جهنم مهاد من فوقهم غواشٍ وكذلك نجزي الظالمين (٢) . ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ * بل تأتيهم بغتة فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم يُنْظَرُونَ (٣) ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٤) . ﴿تَلْفَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ﴾ (٥) . ﴿أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٦) .

(١) آية ٥٦ من سورة النساء .

(٢) الآيات ٤٠ - ٤١ من سورة الأعراف .

(٣) الآيات ٣٩ - ٤٠ من سورة الأنبياء .

(٤) الآيات ١٩ - ٢٢ من سورة الحج .

(٥) آية ١٠٤ من سورة المؤمنون .

(٦) آية ٧٢ من سورة غافر .

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾ * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نُعمِّركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير^(٧) ﴿

﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صُوبُوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم^(٨) ﴿ .

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ * في سَموم وحميم * وظلٌّ من يَحْموم * لا باردٍ ولا كريم^(٩) ﴿ .

﴿خذوه فَعْلُوهُ﴾ * ثم الجحيم صَلُّوهُ * ثم في سلسلة دَرَعُهَا سبعون ٩٠/أ ذراعا فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحضُّ على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعامٌ إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون^(١٠) ﴿ .

﴿إن لدينا أنكالا وجحima * وطعاما ذا غُصَّة وعذاباً أليماً^(١١)﴾ .

﴿إن جهنم كانت مِرْصادا * للطاغين مآبا﴾ * لا بشين فيها أحقابا * لا يذوقون فيها بَرْدًا ولا شرابا * إلا حميما وغساقا * جزاء وفاقا * إنهم كانوا لا يرجون حسابا * وكذبوا بآياتنا كِذَابا * وكل شيء أَجْصيناه كتابا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا^(١٢) ﴿ .

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ * وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية * تسقى من عين آنية * ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع^(١٣) ﴿ .

(٧) الآيات ٣٦ - ٣٧ من سورة فاطر .

(٨) الآيات ٤٣ - ٤٩ من سورة الدخان .

(٨) الآيات ٤١ - ٤٤ من سورة الواقعة .

(١٠) الآيات ٣٠ - ٣٧ من سورة الحاقة .

(١١) الآيات ١٢ - ١٣ من سورة المزمل .

(١٢) الآيات ٢١ - ٣٠ من سورة النبأ .

(١٣) الآيات ١ - ٧ من سورة الغاشية .

وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لما خلق الله الجنة ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فحفها بالملكاه ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال : ولما خلق الله النار ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع قال : وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها (١٤) .

وذكر مسلم من حديث سفيان عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (١٥) .

ومن حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله ، قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها (١٦) .

وقال سفيان بن عيينة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولولا أنها ضربت بالماء مرتين لما كان لأحد فيها منفعة .

(١٤) الترمذي رقم ٢٥٦٣ في صفة الجنة ، وقال هذا حديث حسن صحيح . كما رواه النسائي ٣/٧ في النذور ، وزاد فيه عبارة : « وإلى ما أعددت لأهلها فيها » بالنسبة للجنة وللنار ، ورواه أبو داود رقم ٤٧٤٤ في السنة باب في خلق الجنة والنار ، ورواه ابن حبان والحاكم . جامع الأصول ٥٢٠/١٠ .

(١٥) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رقم ٢٨٤٢ في صفة الجنة ، والترمذي رقم ٢٥٧٦ في صفة جهنم . جامع الأصول ٥١٩/١٠ .

(١٦) مسلم رقم ٢٨٤٣ في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم ، والبخاري ٢٣٨/٦ في بدء الخلق ، باب صفة النار ، والترمذي رقم ٢٥٩٢ في صفة جهنم . جامع الأصول ٥١٢/١٠ .

وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة (١٧) .

ومن حديث مسلم عن أبي هريرة قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة ، فقال : أتدرون ما هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجر ٩٠/ب رمي به في النار منذ سبعين خريفا ، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها . (١٨)

ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار ، حتى يطيروا كما يطير الشرر ، فإذا رفعهم أشرفوا على الجنة ، وبينهم حجاب « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، قالوا : نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (١٩) » ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٢٠) ، فتردّهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر جهنم .

قال بعض المفسرين : هو معنى قوله تعالى ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون . (٢١) ولعلك تقول : وكيف يرى أهل الجنة أهل النار؟ وأهل النار أهل الجنة؟ وبينهم ما بينهم من المسافة؟ وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من المسافة وغلظ الحجاب؟!

فيقال لك : لا تقل هذا ، فإن الله تعالى يقوي أبصارهم وأسماعهم ، حتى يرى بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم بعضا ، وهذا قريب في القدرة جدا ، وإذا تأملته وجدته .

(١٧) الترمذي رقم ٢٥٩٤ في صفة جهنم . وإسناده ضعيف . جامع الأصول ١٠/٥١٣ .

(١٨) مختصر صحيح مسلم رقم ١٩٧٧ .

(١٩) آية ٤٤ من سورة الأعراف .

(٢٠) آية ٥٠ من سورة الأعراف .

(٢١) آية ٢٠ من سورة السجدة .

وذكر الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (٢٢) فقال رسول الله ﷺ: لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامهم؟!

ومن حديثه أيضا عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض - وهي مسيرة خمسمائة سنة - لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار، قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها. (٢٤)

ومن حديث قاسم بن أصبغ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: لو أن دلوا من [غساق] يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا. (٢٥)

وهذا الإسناد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره. (٢٦)

والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا، ثم يهوي كذلك أبدا. قال قاسم بن أصبغ: وهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: لو أن مقمعا من حديد وضع على الأرض، فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض. وهذا الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال: لو ضرب بمقمع من حديد الجبل لتفتت فصار غبارا.

(٢٢) آية ١٠٢ آل عمران.

(٢٣) الترمذي رقم ٢٥٨٨ في صفة جهنم، وقال: هذا حديث حسن صحيح. جامع الأصول ٥١٦/١٠.

(٢٤) الترمذي رقم ٢٥٩١ في صفة جهنم، باب رقم ٦، قال الترمذي: هذا إسناد صحيح. جامع الأصول ٥١٤/١٠.

(٢٥) الترمذي رقم ٢٥٨٧ في صفة جهنم، وإسناده ضعيف، جامع الأصول ٥١٧/١٠.

(٢٦) الترمذي رقم ٣١٦٤ في التفسير، باب ومن سورة الأنبياء، وإسناده ضعيف. جامع الأصول ٥١٦/١٠.

وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج عُنُق من الناريوم القيامة، له عینان تبصران، وأذنان تسمعان ولسان ينطق، يقول: إني وكلت ٩١/أ بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين (٢٧).

وذكر الترمذي من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله [تعالى]: ﴿وَيَسْقَىٰ مِنَ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يَسِيقُهُ﴾ (٢٨) قال: يقرب إلى فيه، فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره، يقول الله عز وجل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ (٢٩) ويقول: ﴿وَأَن يَسْتَفِشُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣٠).

وذكر من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان. وذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخابني كعب يجر قصبه في النار (٣١). وقد تقدم. والقصب: الأمعاء.

ومن حديث مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل الناريوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال

(٢٧) رواه الترمذي رقم ٢٥٧٧ في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. جامع الأصول ١٠/٥١٨.

(٢٨) الآيتان ١٦ - ١٧ من سورة إبراهيم.

(٢٩) آية ١٥ من سورة محمد.

(٣٠) آية ٢٩ من سورة الكهف. وهذا الحديث رواه الترمذي رقم ٢٥٨٦ في أبواب صفة جهنم عن أبي أمامة الباهلي وليس عن أبي سعيد الخدري انظر جامع الأصول ١٠/٢٠١.

(٣١) مسلم رقم ٢٨٥٦ جامع الأصول ٢/١٢٧.

له : يا ابن آدم ، هل رأيت بؤسا قط ؟ هل مريبك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يارب ، ما مريبى بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط . (٣٢) .

وذكر البزار في مسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لو كان في المسجد مائة ألف أويذدون ، ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم .
ومن حديث مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ضرس الكافر - أوناب الكافر - مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث . (٣٣) .

وذكر مسلم أيضا من حديث أبي هريرة يرفعه ، قال : ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (٣٣) .

وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه في جهنم كما بين مكة والمدينة . (٣٣)

وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يلقي على أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون ، فيغاثون بطعام من ضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع ٩١/ب فيستغيثون بالطعام ، فيغاثون بطعام ذي غصة ، فيتذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب ، فيدفع إليهم الحميم بكلايب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم عساهم يخففون عنا فيقولون لهم : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى ، قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (٣٤) فيقولون ادعوا مالكا ، فيقولون : ﴿يا مالكا ليقض علينا ربك﴾ فيجيئهم ﴿إنكم ماكثون﴾ (٣٥) .

(٣٢) مسلم رقم ٢٨٠٧ في المنافقين ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار جامع الأصول ٥٩٠/١٠ .

(٣٣) مسلم رقم ٢٥٨١ والترمذي رقم ٢٥٨٠ و ٢٥٨١ و ٢٥٨٢ في صفة جهنم . جامع الأصول ٥٤١/١٠ .

(٣٤) آية ٥٠ من سورة غافر .

(٣٥) آية ٧٧ من سورة الزخرف .

قال سليمان بن مهران الأعمش : نبئت أن بين دعائهم وإجابة مالك لهم مقدار ألف عام ، قال : فيقولون : ادعوا ربكم ، فلا أحد خير منه ، فيقولون : ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ (٣٦) .

قال : فيجيبهم : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ (٣٧) فعند ذلك يشؤا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل (٣٨) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين ، يتوطؤه الناس (٣٩) .

ويروى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فبكاؤا ، فإن أهل النار يكون في النار الدموع حتى تنقطع ، ثم يكون الدماء حتى تصير الدماء في خدودهم كأمثال الجداول ، ولو أجريت فيها السفن لجرت . ذكره الترمذي وغيره .

وذكر مسلم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : يقول الله عز وجل : لأهون أهل النار عذابا : لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ، أن لا تشرك ، أحسبه قال : ولا أدخلك النار ، فأبيت إلا الشرك .

وذكر البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال : يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة : لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا ، فأبيت إلا الشرك (٤٠) .

(٣٦) الآيتان ١٠٦ - ١٠٧ من سورة المؤمنون .

(٣٧) آية ١٠٨ من سورة المؤمنون .

(٣٨) الترمذي رقم ٢٥٨٩ في صفة جهنم . وإسناده ضعيف مرفوعا وموقوفا جامع الأصول ٥٤٠/١٠ .

(٣٩) الترمذي رقم ٢٥٨٣ في صفة جهنم . جامع الأصول ٥٤٢/١٠ .

(٤٠) البخاري ٣٦٧/١١ في الرقاق ، ومسلم رقم ٢٨٠٥ في المنافقين . جامع الأصول ٥٩١/١٠ .

ويروى من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن جهنم لما سيق إليها أهلها
تلقتهم بعنف ، فلفحتهم لفحة لم تترك لحماً على عظم إلا ألقتة على العرقوب .

* * *

فصل ذكر أهون أهل النار عذابا

ذكر مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟
قال : نعم ، هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار^(١) .

وذكر مسلم أيضا من حديث عبد الله بن الحارث ، قال : سمعت العباس يقول : ٩٢/أ قلت : يا رسول الله ، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك ، فهل نفعه ذلك؟ قال : نعم وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح^(١) .

وذكر مسلم عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل ، ما يرى أن أحدا أشد عذابا منه ، وإنه لأهونهم عذابا .
وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبوطالب ، فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبه ، يغلي منه دماغه^(٢) .

(١) البخاري ١٤٨/٧ في فضائل الصحابة وفي الأدب وفي الرقاق ومسلم رقم ٢٠٩ في الأيمان .
جامع الأصول ٢٣٩/٩ .

(٢) البخاري ١٤٩/٧ في فضائل الصحابة ، وفي الرقاق ، ومسلم رقم ٢١٠ في الأيمان . جامع
الأصول ٢٣٨/٩ .

وذكر مسلم أيضا من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، وهو متعل بنعلين من نار ، يغلي منها دماغه (٣) .
وذكر مسلم أيضا من حديث النعمان بن بشير ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان ، يغلي منها دماغه (٤) .

(٣) مسلم رقم ٢١٢ في الايمان . جامع الأصول ٢٣٨/٩ .
(٤) مسلم رقم ٢١٣ في الايمان ، والبخاري ٣٧٢/١١ في الرقاق . والترمذي رقم ٢٦٠٧ في صفة جهنم .

فصل ذكر من أشد الناس عذابا

ذكر قاسم بن أصبغ من حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة رجل قتل نبيا، أو قتل نبي، أو مصور يصور التماثيل^(١).

(١) رواه البخاري ٣٢١/١٠ و ٣٢٢ ومسلم رقم ١٢٠٩ في اللباس. والنسائي ٢١٦/٨ جامع الأصول ٨٠٠/٤.

فصل أخذ النار المعذنين على قدر أعمالهم

ذكر مسلم من حديث سمرة بن جندب أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى عنقه.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته.

وذكر البزار من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إن أهون أهل النار عذابا رجل متعل بنعلين من نار، يغلي منها دماغه^(١).

(١) سبق تخريجه.

الباب الثاني والعشرون ذكر الخلود

ذكر الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيتمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون، فيطلع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا تتبعون الناس، فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا، هذا مكاننا حتى نرى ربنا، وهو يأمرهم ويثبتهم، قالوا: وهل نراه يارسول الله؟ قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، يارسول الله، قال: فإنكم لا تضارون في رؤيته ٩٢/ب تلك الساعة، ثم يتواري، ثم يطلع فيعرفهم نفسه، ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقوم المسلمون، ويوضع الصراط، فيمر عليه مثل جياذ الخيل والركاب، وقولهم عليه: سلّم سلّم، ويبقى أهل النار، فيطرح منهم فيها فوج، ثم يقال لها: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد، حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها، وأزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قط، قالت: قط، فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، أتى بالموت مُلَبَّيًّا، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين، ثم يقال يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين، يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون، هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه، هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت.

وذكر هناد بن السري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال : يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال : هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ربنا هذا الموت، فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كلاهما : خلود فيما تجدون، لا موت فيها أبداً .

وذكر مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح^(٢)، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا : فيشرئبون^(٣) وينظرون، ويقولون : نعم هذا الموت، ثم يقال : يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون : نعم، هذا الموت، قال : فيؤمر به فيذبح، ثم يقال : يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وأُنذِرهم يوم الحسرة إذا قضى الأمرهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وأشار بيده إلى الدنيا^(٤) .

وذكر مسلم من حديث نافع أن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول : يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار، لا موت، كل خالد فيما هو فيه .

وذكر أيضاً من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة، لا موت، ويا أهل النار، لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم .

وذكر الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، رفعه قال : إذا كان يوم

(٢) أملح : أسود يعلو شعره بياض .

(٣) يشرئبون : يمدون أعناقهم .

(٤) مسلم رقم ٢٨٤٩ في الجنة . والبخاري ٣٢٥/٨ في تفسير سورة مريم والترمذي رقم ٢٥٦١

في الجنة . جامع الأصول ٤٩٢/١٠ .

القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح ، فيوقف بين الجنة والنار، فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحدا مات فرحاً مات أهل الجنة ٩٣/أ ، ولو أن أحدا مات حزناً مات أهل النار.

وذكر البزار من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من كتب عليه الخلود لم يخرج منها . يعني من النار.

وأنشدوا :

أما سمعت بأهل النار في النار
أما سمعت بأكباد لهم صدعت
أما سمعت بأغلال تناط بهم
أما سمعت بضيق في مجالسهم
أما سمعت بحيات تدب بها
أما سمعت بأنفاس لهم حبست
أما سمعت بأجساد لهم نضجت
أما سمعت بما يكلفون به
حتى إذا ما علوا على شواهدقها
أما سمعت بزقوم يُسَوَّغُه
يسقون منه كئوساً ملئت سقمًا
يشوي الوجوه وجوها ألست ظلمًا
ولا ينامون إن طاف المنام بهم
إن يستقيلوا فلا تقال عثرتهم
وإن أرادوا خروجاً رُدَّ خارجهم
فهم إل النار مدفوعون بالنار
ما أن يخفف عنهم من عذابهم
فهذه صدعت أكباد سامعها
ولو يكون إلى وقت عذابهم
فيا إلهي ومن أحكامه سبقت

وعن مقاساة ما يلقون في النار
خوفاً من النار قد ذابت على النار
فيسحبون بها سحباً على النار
وفي الفرار ولا فرار في النار
إليهم خلقت من خالص النار
عن التنفس من حرارة النار
من العذاب ومن غلي على النار
من ارتقاء جبال النار في النار
صبوا بعنف إلى أسافل النار
ماء صديد ولا تسويغ في النار
ترمي بأمعائهم رمياً على النار
بئس الشراب شراب ساكني النار
ولا منام لأهل النار في النار
أويستغيثوا فلا غياث في النار
بمقمع النار مدحوراً إلى النار
وهم من النار يهرعون للنار
ولا تفتّر عنهم سورة النار
من ذي الحجي ومن التخليد في النار
في النار هوّن ذاكم لفحة النار
في الفرقتين من الجنات والنار

رحمك يارب في ضعفي وفي ضعتي فما وجودك لي صبر على النار
ولا على حر شمس إن برزت لها فكيف أصبر يا مولاي للنار
فإن تغمدني عفو وثقت به منكم وإلا فإني طعمة النار

ونحن نستعيد بالله من عذابه الذي لا يقوم له جميع الوجود، فكيف
الحشرات منه والدود، ومن غضبه الذي لا يستطيع ذكره ولا يقدر قدره، ونسأله
رحمته التي تنقلب منها بأفعالنا، وتتباعدها عنها بقبائح أعمالنا، بمنه وطوله، لا رب
غيره، ولا معبود سواه، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب
العالمين.

جاء في آخر نسخة اليمن الجنوبية ما نصه :
كامل كتاب العاقبة للإمام العلامة عبدالحق الأزدي المالكي الأندلسي بحمد الله
وحسن عونه ، وتوفيقه .
ووافق الفراغ منه في ثاني شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست وعشرين
وثمانمائة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ووارثيه وحزبه ومن تبعه
إلى يوم الدين ، وسلم .

تتميم كتابة هذا الكتاب المسمى كتاب العاقبة بقلم السيد العلامة محمد
بن عبدالرحم الزواوي ، وجله ماعدا المرقع بقلم سيدنا الشيخ الكبير محمد بن
الشيخ عبدالرحمن السقاف ، نفع الله بهم .
وجاء في آخر نسخة شستريتي ما نصه :

تم كتاب العاقبة ، بحمد الله تعالى وفضله ، وعونه وتوفيقه ومنه ، بتاريخ سلخ
ربيع الآخر من شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

حسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين

وجاء في آخر نسخة المكتبة الأزهرية ما نصه :

تم كتاب العاقبة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه على يد كاتبه
العبد المفتقر إلى رحمة ربه العلي أحمد بن علوي بن حمزة الحنبلي . . . ووافق
الفراغ منه في ليلة أسفر صباحها عن ثامن عشر رجب الفرد سنة خمس عشرة
وثمانمائة .



الفهرس

٢	مقدمة التحقيق
٥	ترجمة المؤلف
٦	كتبه
٧	كتاب العاقبة
٨	مخطوطات الكتاب
١٠	عملي في التحقيق
١١	مصورات المخطوطات
٢٣	مقدمة المؤلف عن الموت
١٣٩	الباب الأول : من أخبار بعض الأموات
١٤٣	الباب الثاني : ما يستحب من أحوال الميت
١٥٠	الباب الثالث : في الجنائز
١٥٧	الباب الرابع : في الثناء الحسن على الميت
١٦٣	الباب الخامس : ما يقال عند حضور الميت
١٧١	الباب السادس : ما يحذر من سوء الخاتمة
١٨٢	الباب السابع : تلقين الميت بعد الدفن
١٨٦	الباب الثامن : ذكر القبور
٢١١	الباب التاسع : زيارة القبور
٢٢١	الباب العاشر : منامات لبعض الصالحين
٢٣٢	الباب الحادي عشر : منامات تدل على سوء الحال
٢٣٥	الباب الثاني عشر : الأرواح وأين يذهب بها وعذاب القبر
٢٤٩	الباب الثالث عشر : يوم القيامة وأهواله
٢٥٢	الباب الرابع عشر : النفخ في الصور
٢٦٣	الباب الخامس عشر : انبعاث الناس من قبورهم

٢٨١	فصل : طول يوم القيامة
٢٨٦	الباب السادس عشر : ذكر الحوض
٢٩٢	الباب السابع عشر : الشفاعة الأولى
٢٩٥	الباب الثامن عشر : المسائلة والتقدير
٣٠٥	فصل : أول ما يحكم فيه يوم القيامة
٣٠٨	فصل : الموازين والكتب
٣١١	فصل : ما يتكلم من الإنسان وشهادة الجوارح
٣١٣	فصل : الصراط ودرجات الناس في المرور
٣١٦	فصل : بعث النار
٣١٧	فصل : أهل الفترة
٣١٨	فصل : سعة رحمة الله
٣٢١	فصل : كثرة أمة محمد
٣٢٢	فصل : كم يدخل الجنة بغير حساب
٣٢٦	الباب التاسع عشر : الشفاعة الثانية
٣٣٩	فصل : من يخرج من النار
٣٤٠	فصل : أول طعام أهل الجنة
٣٤١	الباب العشرون : صفة الجنة وما أعد الله لأهلها
٣٥٥	فصل : أهل الجنة لا ينامون
٣٥٥	فصل : زيارة أهل الجنة ربهـم
٣٥٧	فصل : رؤية أهل الجنة ربهـم
٣٥٨	فصل : في الجنة سوق
٣٦٠	الباب الحادي والعشرون : في صفة النار وما أعد الله لأهلها
٣٦٩	فصل : أهون أهل النار عذاباً
٣٧١	فصل : أشد الناس عذاباً
٣٧٢	فصل : أخذ النار المعذنين بقدر أعمالهم
٣٧٣	الباب الثاني والعشرون : ذكر الخلود

المراجع

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي	إحياء علوم الدين ١
أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني	الإصابة في تمييز الصحابة ٢
خير الدين الزركلي	الأعلام ٣
محمد بن أحمد بن رشد	بداية المجتهد ٤
أحمد بن عميرة الضبي	بغية الملتبس ٥
كارل بروكلمان	تاريخ الأدب العربي ٦
جلال الدين السيوطي	تاريخ الخلفاء ٧
محمد بن أحمد القرطبي	التذكرة في أحوال الموقى وأمور الآخرة ٨
أبو عبدالله شمس الدين الذهبي	تذكرة الحفاظ ٩
عبدالواحد المراكشي	تكلمة الصلة ١٠
محيي الدين النووي	تهذيب الأسماء واللغات ١١
محمد بن أحمد القرطبي	الجامع لأحكام القرآن ١٢
محمد بن الأثير الجزري	جامع الأصول ١٣
ابراهيم بن فرحون	الديباج المذهب ١٤
محمد بن اسماعيل الصنعاني	سبل السلام ١٥
سليمان بن الأشعث	سنن أبي داود ١٦
محمد بن عيسى الترمذي	سنن الترمذي ١٧
أحمد بن شعيب	سنن النسائي ١٨
أبو عبدالله شمس الدين الذهبي	سير النبلاء ١٩
ابن العماد الحنبلي	شذرات الذهب ٢٠
محمد بن اسماعيل البخاري	صحيح البخاري ٢١

مسلم بن الحجاج النيسابوري	صحيح مسلم	٢٢
أبو عبدالله الذهبي	العبر	٢٣
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	فتح الباري	٢٤
ابن شاکر الکتبي	فوات الوفيات	٢٥
مجدالدین الفيروز آبادي	القاموس المحيط	٢٦
حاجي خليفة	كشف الظنون	٢٧
محمد بن مكرم بن منظور	لسان العرب	٢٨
محمد بن أبي بكر الرازي	مختار الصحاح	٢٩
عبدالله اليافعي	مرآة الجنان	٣٠
ابن أبي شيبة	مسند ابن أبي شيبة	٣١
البزار	مسند البزار	٣٢
ونسك ولجنة من المستشرقين	المعجم المفهرس للحديث النبوي	٣٣
عمر رضا كحالة	معجم المؤلفين	٣٤
ابن قنفذ	الوفيات	٣٥